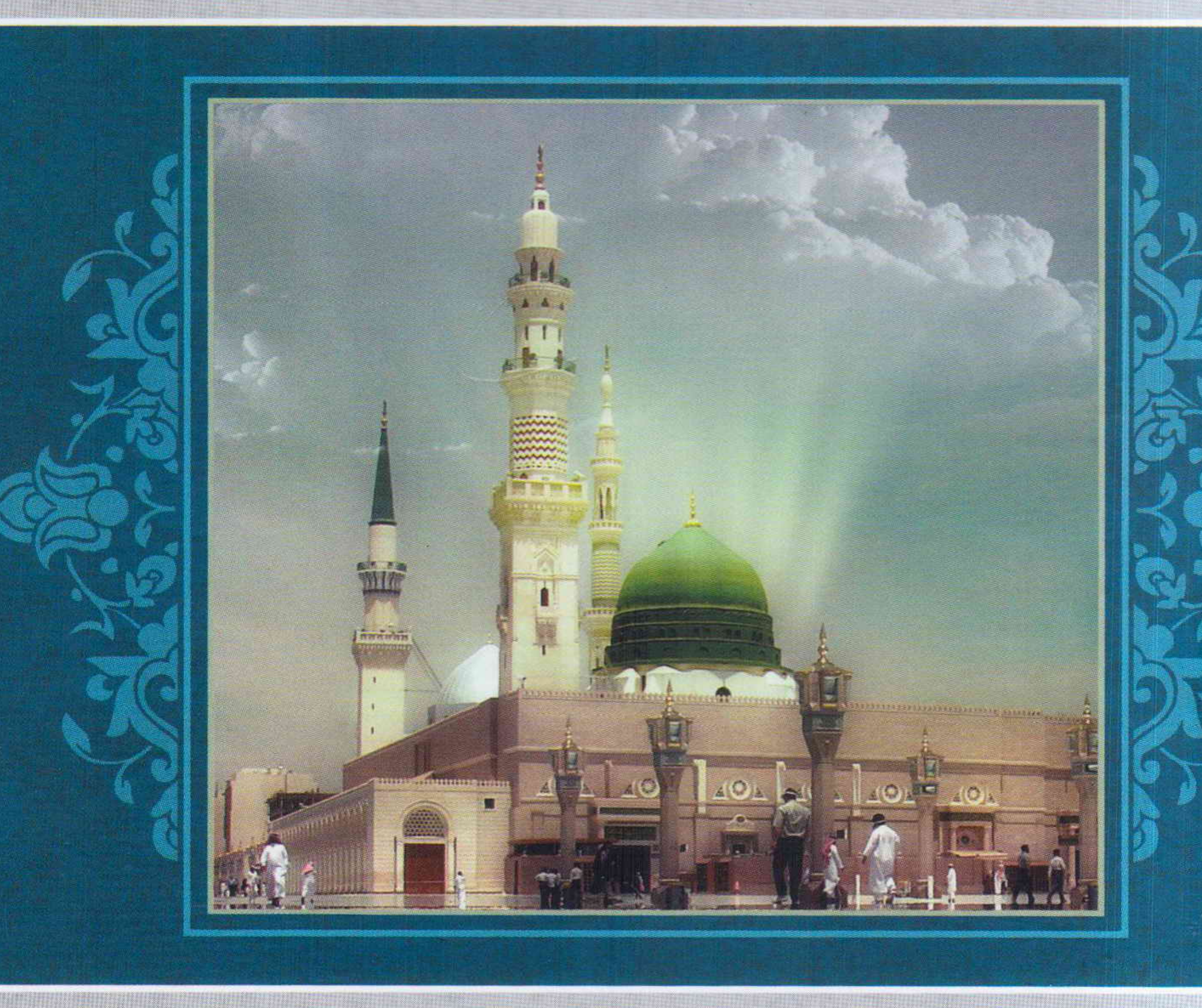
تقرير أبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله)




# مباحث حول النبوات



بقلم
حارث العذاري





# مباحث

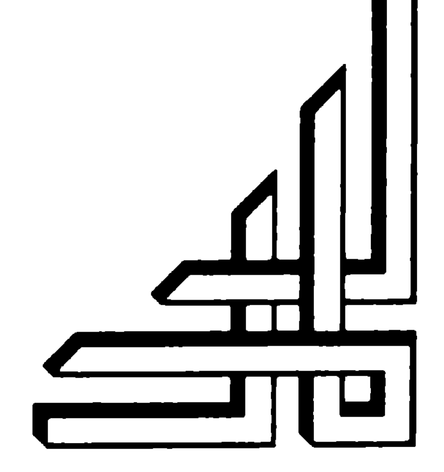
# حول النبوات


تقرير أبحاث المحقق الفقيه آية الله

الشيخ محمد السند

بقلم

حارث العذاري

| | |
|---|---|
| سرشناسه | سند، محمد، ۱۳۴۰ |
| عنوان | مباحث حول النبوات تقریر لأبحاث المحقق الفقیه آیة الله الشیخ محمد السند الجزء الثانی |
| تکرار نام پدید آور | بقلم حارث العذاری |
| مشخصات نشر | تهران: نشر کوخ، ۱۴۳۶ هـ =۲۰۱۵ م = ۱۳۹۴ ش |
| مشخصات ظاهری | ۴۱۶ ص. |
| بهاء | ۲۵۰۰۰۰ریال ISBN: ۹۷۸_۶۰۰_۶۷۰۱-۱۰-۳ |
| وضعیت فهرست نویسی | فیپا |
| یادداشت | ج ۱۰. مقامات النبی ﷺ و النبوة |
| یادداشت | عربی |
| یادداشت | کتابنامه به صورت زیرنویس |
| موضوع | نبوت |
| موضوع | محمدﷺ، پیامبر اسلام، ۵۳ قل از هجرت ۱۱ ق. معجزات |
| موضوع | نبوت خاصه |
| شناسه افزوده | ماحوزی، احمد، ۱۳۵۰ ـ مصحح |
| رده کنگره | ۱۳۹۴، ۲۲ م ۹ س/ ۲۲۰ Bp |
| رده دیویی | ۲۹۷/۴۳ |
| شمارهٔ مدرک | ۳۸۸۱۱۴۲ |

# مباحث حول النبوات (الجزء الثاني)

تقرير: أبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله)

المؤلف: حارث العذارى

الطبعة: الاولى- ۱۳۹٤ هـ.ش- ۲۰۱۵م

المطبعة: طاهر

عدد النسخ: ۱۰۰۰ نسخة

عدد الصفحات: ٤١٦ صفحة

ردمك: ۳-۱۰-٦٧٠١-٦٠٠-٩٧٨

الناشر: دارالكوخ للطباعة و النشر



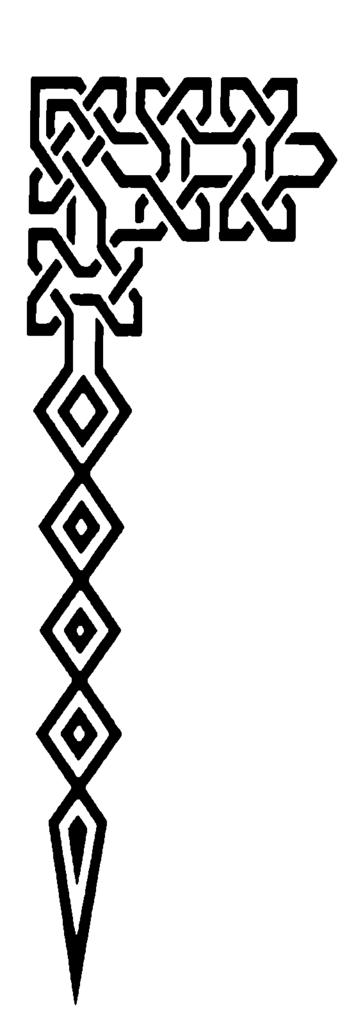
مراكز التوزيع: مؤسسة الصادق للطباعة و النشر

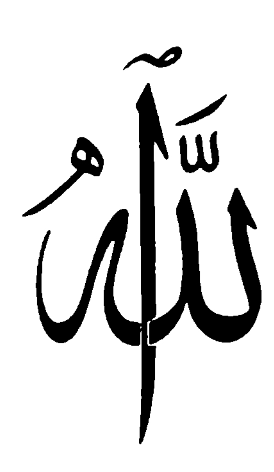
ايران- تهران- شارع ناصرخسرو- زقاق حاج نايب - سوق المجيدى

۰۲۱ ۳۳۹۳٤٦٤٤

ايران- قم- شارع معلم- مجمع ناشران رقم B٤٠

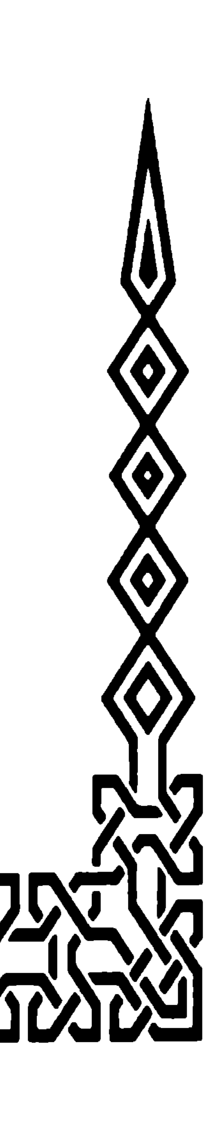
۰۲٥ ۳۷۸٤۲٥۷٤ - ۷٥





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾



# المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بفضل من الله تعالى تم الخوض بحثا وتحقيقا وصياغة وترتيبا في هذه الابحاث القيمة التي تناولها سماحة الشيخ الاستاذ اية الله محمد السند وهي وحسب ما اتوقع واسعى ستكون موسوعة عقائدية شاملة لعدد كبير من المسائل والابحاث الاعتقادية التي لا غنى للباحث المتبصر والقارئ المتدبر عنها .

ثم مما لا بد منه بيان بعض الملاحظات المهمة قبل الشروع في هذه الابحاث والتي تجلت لنا من خلال البحث والتحقيق ونود الفات نظر القارئ العزيز اليها وهي كثيرة منها :

**أوَّلاً: أنَّ الأصل** لهذا الكتاب انما هو محاضرات القاها سماحة الشيخ الاستاذ ومن ثم تم تدوينها بصورة شبه نسخيه على الورق وهذا الامر مما سيلاحظه القارئ العزيز من خلال الروح العامة للأبحاث نظما وطرحا .

وفي مسيرة التحقيق وبعد الاتفاق مع سماحة الشيخ الاستاذ عمدنا الى نفي هيكل تلكم المحاضرات واعتماد اسلوب البحث والتبويب العلمي بصورته الهندسية امام القارئ العزيز فكانت المحاضرات مادة خام نتعامل

معها بأسلوب الترتيب والتحقيق الذي وجدته امامك مما ادى بالتالي الى انهاء صورتها وازالة هيكلها وتغير صياغتها .

ولكن سيجد القارئ ان النفس العام للمحاضرة موجود وهو مما لا يمكن لنا نفيه ولا تغييره خصوصا في بعض الصياغات لبعض الجمل او الاطروحات بلفظها او بمعناها وهذا مما جعل امامنا الجهد بأضعاف واضفى علينا التزاما حقيقيا في ان نوازن بين الطابعين للبحث الذي اصله محاضرات متنوعة متناثرة المقاصد تسلسلا واستطرادا.

**ثانياً**: ان سماحته حين كان يلقي المحاضرات ولضرورة افهام السامع ولأجل بيان فكرته كان يستخدم بعض العبارات المباشرة التلقي التي لا يمكن ان تكون منسجمة مع صياغة البحث حال كونه بحث مقروء لا مسموع وهذا فرق جوهري يعرفه اي باحث في اي مجال ولكنه رغم ضرورته الا انه يشكل مشكلة للباحث فيما اذا ما كان مستعينا بالله تبارك وتعالى ومتمكنا من مواضيع البحث ومليا بها والا فان الباحث ان كان غافلا او متهاونا سيكون نتيجة غفلته وتهاونه ضياع الفائدة في كثير من تلك الابحاث تحت مطرقة الاسلوب وفي ثنايا الصياغة، لكننا سرنا في ذلك بين حذر وانتباه ومراجعه وتأمل حتى وصلت النتيجة المرجوة الى القارئ العزيز والتي سيجدها بعون الله وحسن توفيقه في هذا الكتاب.

**ثالثاً**: أنَّ مِنْ أهم الأُمُور التي أتعبنا انفسنا فيها هو قضية متن ومصادر الروايات وذلك لما نوهنا عنه قبل قليل من إن سماحة الشيخ الأستاذ حينما

كان يقلي محاضراته على المتلقي صوتيا لا كتابة لم يكن في صدد ذكر مصدر الرواية او سندها بل ان بعض الروايات تذكر بمضمونها المقارب لأصلها اللفظي الدقيق او ان الشيخ الاستاذ يكتفي بذكر مقطع من تلك الرواية تبعا لموضع الحاجة عند المرور عليه .

هذا مما الزمنا لضرورة إفادة القارئ العزيز وامعانا في الامانة العلمية واحترازا امام كلمات اهل بيت العصمة عليهم السلام ان نعيد ذكر تلك الروايات مضبوطة بالمتن الصحيح ونرجعها بعد ذلك الى سندها او مصدرها الذي وردت فيه، وهذا الامر سيجده القارئ جليا بعون الله جل جلاله في كافة أبحاث الكتاب .

بل إننا وتبعا لضرورة اتمام الفائدة اوردنا اكثر عدد من الروايات التي تتطلب الحاجة اليها ولم يتطرق لها الشيخ الاستاذ او يذكرها اساسا وهو امر لابد منه في ازجاء النفع ومما لا شك انه مما رحب به شيخنا الاستاذ .

**رابعاً**: ان صياغة الابحاث كان يتطلب التأني المسبوق بقراءة متمعنه لأصل المحاضرات واعادة إجالة النظر فيها اكثر من مرة ومن ثم تمر الصياغة بمراحل عديدة وهي بدورها تستلزم حذف وتعديل وتغيير كثير من العبارات، وهذا كله مرحلة مسبقة لمرحلة المراجعة التي تمر عبر ادوار عدة وليس ذلك إلا اتماما للصياغة وفق هندسة مبنية على رؤية صحيحة مناسبة لتلك الابحاث مفاهيما وترتيبا، وقد كان هذا مبني على اتفاق واذن وصلاحيات واسعة منحها لنا سماحة الشيخ الأستاذ مشكورا وهو ما

عرفناه عنه من دعم ورعاية حقيقية للباحث وإفساح للمجال امام جهده لتؤتي اعماله ثمارها بصورتها الحقيقية النافعة بعون الله تعالى .

**خامساً**: إن هذا الجزء إنما هو جزء من مجموعة اجزاء صدر منها الجزء الاول الذي كان بقلم الاخ العزيز الشيخ إبراهيم البغدادي وهو احد زملائي الاعزاء ومن طلبة الشيخ الاستاذ المبرزين وقد اجاد فيه مشكورا وماجورا ونحن وبتوفيق الله تعالى أتممنا الجزء الثاني الذي سيتبعه الجزء الثالث عن نفس الموضوع وهو ابحاث النبوة وموضوع هذا الجزء حول النبوات بصورتها العامة شاملا لجميع الانبياء وموضوع الجزء الثالث المزمع انجازه قريبا حول نبوة سيد الانبياء صلى الله عليه وآله.

ومن ثم ان وفقنا الله تعالى سنستمر مع باقي محاضرات الاعتقادات من التوحيد والعدل والامامة والمعاد وابحاث اخرى متعلقة بذلك كأبحاث الاعتبار وغيرها ونسأله تبارك وتعالى العون والسداد للإتمام ونرجوه جل جلاله ان يجعلها مما ينتفع بها من قبل القراء الاعزاء .

**سادساً**: الشيء المهم ايضا الذي لابد ان يعرفه القارئ العزيز ان المحاضرات إنما هي بالأصل بنيت على المحاججة النبوية المشهورة مع أهل الاديان وقد استطاع الشيخ الاستاذ ببراعة علمه ان يجعلها محورا تدور حوله الابحاث وتتفرع من ثناياها وهذا ما سيراه القارئ العزيز في كثير من مواضيع الكتاب وان كنا حاولنا ان نرفع هذا الالتصاق قدر الامكان حتى تبدو الابحاث بصورتها العلمية الرصينة.

طبعا هذا ما سيراه القارئ من خلال نصوص متناثرة لتلك المحاججة الشريفة وقد ذكرناها مجزأ هناك وفقا للموضوع الذي يتطلبه الجزء المنقول حينها، ولكن امانة منا ولضرورة النفع وحسب مقتضى الامانة العلمية نورد للقارئ العزيز النص المروي لتلك المحاججة الشريفة التي رويت في كتاب الاحتجاج الجزء الاول الصفحة (١٦).

**احتجاج الرسولﷺ مع رجال خمسة أديان:**

قال الصادقعليه السلام في رواية حدثني ابي الباقر، عن جدي علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين سيد الشهداء، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنه اجتمع يوما عند رسول اللهﷺ أهل خمسة أديان: اليهود، والنصارى، والدهرية، والثنوية، ومشركو العرب.

**فقالت اليهود:** نحن نقول: عزير ابن الله، وقد جئناك يا محمد لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك .

**وقالت النصارى:** نحن نقول: المسيح ابن الله اتحد به، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

**وقالت الدهرية:** نحن نقول: الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل،

وإن خالفتنا خاصمناك.

**وقالت الثنوية:** نحن نقول: إن النور والظلمة هما المدبران، وقد جئناك لننظر ما تقول: فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك.

**وقال مشركو العرب:** نحن نقول: إن أوثاننا آلهة جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وان خالفتنا خاصمناك.

**فقال رسول الله ﷺ:** آمنت بالله وحده لا شريك له، وكفرت بالجبت وبكل معبود سواه، ثم قال لهم: إن الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيرا ونذيرا وحجة على العالمين، وسيرد كيد من يكيد دينه في نحره.

**احتجاجه ﷺ مع اليهود:**

**ثم قال لليهود:** أجئتموني لأقبل قولكم بغير حجة؟ قالوا: لا، قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيزا ابن الله؟ قالوا : لأنه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه.

**فقال رسول الله ﷺ:** فكيف صار عزيز ابن الله دون موسى وهو الذي جاءهم بالتوراة ورؤي منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزيز ابن الله لما أظهر من الكرامة بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوة أحق وأولى، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب إنه ابنه

فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة، وإن كنتم إنما تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطي آبائهم لهن فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا، وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه، قالوا: لسنا نعني هذا، فإن هذا كفر كما ذكرت، ولكنا نعني أنه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة، كما يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة عن غيره: يا بني: وإنه ابني؟ لا على إثبات ولادته منه، لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب بينهُ وبَينه، وكذلك لما فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتخذه أبنا على الكرامة لا على الولادة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فهذا ما قلته لكم: إنه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإن هذه المنزلة لموسى أولى، وإن الله يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجته.

واما ما احتججتم به يؤديكم إلى أكبر مما ذكرته لكم، لأنكم قلتم: إن عظيما من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه: يا بني، وهذا ابني، لا على طريق الولادة، فقد تجدون أيضا هذا العظيم يقول لأجنبي آخر: هذا أخي ولآخر: هذا شيخي وأبي، ولآخر: هذا سيدي و يا سيدي على سبيل الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخا لله أو شيخا له أو أبا أو سيدا لأنه قد زاده في الإكرام مما لعزير كما أن من زاد رجلا في الإكرام قال له: يا سيدي و يا

شيخي و يا عمي و يا رئيسي على طريق الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، أفيجوز عندكم أن يكون لموسى أخا لله، أو شيخا، أو عماً أو رئيسا، أو سيدا أو أميرا؟ لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدي، أو يا عمي، أو يا أميري، أو يا رئيسي؟ قال: فبهت القوم وتحيروا وقالوا. يا محمد أجلنا نتفكر فيما قلته لنا، فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف يهديكم الله.

### احتجاجه صلى الله عليه وآله على النصارى:

ثم أقبل صلى الله عليه وآله على النصارى فقال: وأنتم قلتم: إن القديم عَزَّ وَجَلَّ اتحد بالمسيح ابنه، فما الذي أردتموه بهذا القول؟ أردتم أن القديم صار محدثا لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قديما لوجود القديم الذي هو الله؟ أو معنى قولكم: إنه اتحد به أنه اختصّه بكرامة لم يكرم بها أحدا سواه؟ فإن أردتم أن القديم تعالى صار محدثا فقد أبطلتم، لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثا، وإن أردتم أن المحدث صار قديما فقد أحلتم، لأن المحدث أيضا محال أن يصير قديما وإن أردتم أنه اتحد به بأن اختصه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله، لأنه إذا كان عيسى محدثا وكان الله أتحد به بأن احدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى متحدين، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه، قال فقالت النصارى: يا محمد إن الله تعالى لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة

ما أظهر فقد اتخذه ولدا على جهة الكرامة، فقال لهم رسول الله ﷺ: قد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه، ثم أعاد ﷺ ذلك كله، فسكتوا إلا رجلا واحدا منهم قال له: يا محمد أو لستم تقولون: إن إبراهيم خليل الله؟ قال: قد قلنا ذلك، فقال إذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول: إن عيسى ابن الله.

فقال رسول الله ﷺ: إنهما لم يشتبها، لأن قولنا إن إبراهيم خليل الله قائما هو مشتق من الخلة أو الخلة فأما الخلة قائما معناها الفقر والفاقة، وقد كان خليلا إلى ربه فقيرا، وإليه منقطعا، وعن غيره متعففا معرضا مستغنيا، وذلك لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام وقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء فقال: كلفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك فقال بل حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه؟ فسماه خليله أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه. و إذا جعل معنى ذلك من الخلة وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به وبأموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله؟ وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله؟ وأن من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده؟ لأن معنى الولادة قائم؟ ثم ان وجب لأنه قال: إبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم فتقولوا: إن عيسى ابنه وجب أيضا أن تقولوا له ولموسى أنه ابنه، فإن الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى، فقولوا: إن موسى أيضا ابنه، وإنه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى: إنه شيخه وسيده

وعمه ورئيسه وأميره كما ذكرته لليهود. فقال بعضهم لبعض: وفي الكتب المنزلة أن عيسى قال: أذهب إلى أبي، فقال رسول الله ﷺ: فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون فإن فيه: أذهب إلى أبي وأبيكم، فقولوا: إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه، ثم إن ما في هذا الكتاب يبطل عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من جهة الاختصاص كان أبنا له، لأنكم قلتم: إنما قلنا: إنه ابنه لأنه اختصه بما لم يختص به غيره، وأنتم تعلمون أن الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: أذهب إلى أبي وأبيكم، فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى، لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى وأنتم إنما حكيتم لفظة عيسى وأولتموها على غير وجهها، لأنه إذا قال: أبي وأبيكم فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه، وما يدريكم لعله عنى: أذهب إلى آدم أو إلى نوح إن الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم، وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح، بل ما أراد غير هذا، فسكتت النصارى وقالوا: ما رأيناك كاليوم مجادلا ولا مخاصما وسننظر في أمورنا.

### احتجاجه ﷺ على الدهرية:

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الدهرية فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال؟ فقالوا: لأنا لا نحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء محدثا فحكمنا بأنها لم تزل، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنها لا تزال، فقال رسول الله ﷺ: أ فوجدتم لها قدما أم وجدتم لها بقاءً أبد الأبد؟ فإن قلتم: إنكم وجدتم ذلك أثبتم لأنفسكم

أنكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبّكم العالمون الذين يشاهدونكم، قالوا: بل لم نشاهد لها قدما ولا بقاءً أبد الأبد، قال رسول اللهﷺ فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائما؟ لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها أولى من تارك التميّز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدوث والانقضاء والانقطاع، لأنه لم يشاهد لها قدما ولا بقاءً أبد الأبد، أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم، فقال: أفترونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم، قال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا، فَقَالَﷺ: فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جاريا بعده، فقالوا: كذلك هو، فقال: قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار ولم تشاهدوهما فلا تنكروا الله قدرة ثم قَالَﷺ: أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناهٍ أم غير متناهٍ؟ فإن قلتم: غير متناهٍ فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوّله، وإن قلتم: إنه متناهٍ فقد كان ولا شيء منهما، قالوا: نعم، قال لهم: أقلتم: إن العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم، قال رسول اللهﷺ: فهذا الذي نشاهده من الأشياء بعضها إلى بعض مفتقر، لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما ترى البناء محتاجا بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما نرى، قال: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثا كيف كان يكون؟ وماذا كانت تكون صفته؟ قال: فصمتوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة

يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم، فوجموا وقالوا: سننظر في أمرنا.

### احتجاجه صلى الله عليه وآله على الثنوية:

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الثنوية الذين قالوا: النور والظلمة هما المدبران فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟ فقالوا: لأنا قد وجدنا العالم صنفين: خيرا وشرا، ووجدنا الخير ضدا للشر، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضده، بل لكل واحد منهما فاعل، ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن تبرد فأثبتنا لذلك صانعين قديمين: ظلمة ونورا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أفلستم قد وجدتم سوادا وبياضا وحمرة وصفرة وزرقة؟ وكل واحد ضد لسائرها لاستحالة اجتماع اثنين منهما في محل واحد، كما كان الحر والبرد ضدين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد؟ قالوا: نعم قال: فهلا أثبتتم بعدد كل لون صانعا قديما ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟! قال: فسكتوا.

ثم قال: وكيف اختلط هذا النور والظلمة وهذا من طبعه الصعود وهذا من طبعه النزول؟ أرأيتم لو أن رجلا أخذ شرقا يمشي إليه والآخر غربا يمشي إليه أكان يجوز أن يلتقيا ما داما سائرين على وجوهما؟ قالوا: لا، فقال: وجب أن لا يختلط النور والظلمة، لذهاب كل واحد منهما في غير جهة الآخر، فكيف حدث هذا العالم من امتزاج ما محال أن يمتزج؟ بل هما مدبران جميعا مخلوقان، فقالوا: سننظر في أمورنا.

**احتجاجهﷺ على مشركي العرب:**

ثم أقبل على مشركي العرب وقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى فقال: أو هي سامعة مطيعة لربها، عابدة له، حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ فقالوا: لا، قال: فأنتم الذين نحتموها بأيديكم فلأن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم و عواقبكم والحكيم فيما يكلفكم، قال: فلما قال رسول اللهﷺ هذا اختلفوا فقال بعضهم: إن الله قد حل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور فصوّرنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حل فيها ربنا.

**وقال آخرون منهم:** إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا، فمثلنا صورهم وعبدناها تعظيما لله.

**وقال آخرون منهم:** إن الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له كنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة، ففاتنا ذلك فصورنا صورته فسجدنا له تقربا إلى الله تعالى كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة ففعلتم، ثم نصبتم في ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها وقصدتم الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم بالكعبة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لا إليها.

فقال رسول اللهﷺ: أخطأتم الطريق وضللتم، أما أنتم وهو يخاطب الذين قالوا: إن الله يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي

صورناها، فصورنا هذه نعظمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا- فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات، أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك الشيء؟ فأي فرق بينه إذن وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفته؟ ولم صار هذا المحلول فيه محدثا وذلك قديما دون أن يكون ذلك محدثا وهذا قديما؟ وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال وهو عَزَّ وَجَلَّ كما لم يزل؟ وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال أما ما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء لان ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه وجميع ذلك يغير الذات، فإن كان لم يتغير ذات الباري عَزَّ وَجَلَّ بحلوله في شيء جاز أن لا يتغير بأن يتحرك ويسكن ويسود ويبيض ويحمر ويصفر وتحفه الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميع صفات المحدثين ويكون محدثا- عزّ الله تعالى عن ذلك- ثم قال رسول الله ﷺ: فإذا بطل ما ظننتموه من أن الله يحل في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم، قال. فسكت القوم وقالوا: سننظر في أمورنا.

ثم أقبل على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم له وصليتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لرب العالمين؟ أما علمتم أن من حق من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده؟ أرأيتم ملكا أو عظيما إذا ساويتموه بعبيده في التعظيم والخشوع والخضوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم، قال: أفلا تعلمون أنكم من

حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون على رب العالمين؟ قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمورنا.

ثم قال رسول الله ﷺ للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولا سواء، وذلك لأنا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا، وننزجر عما زجرنا، ونعبده من حيث يريده منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا ولم يأذن لنا، لأنا لا ندري لعله أراد منا الأول وهو يكره الثاني، وقد نهانا أن نتقدم بين يديه، فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعنا ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا، فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتباع أمره، والله عَزَّ وَجَلَّ حيث أمرنا بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه، لأنكم لا تدرون لعله يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به؟ ثم قال لهم رسول الله ﷺ: أرأيتم لو أذن لكم رجل في دخول داره يوما بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره؟ أو لكم أن تدخلوا دارا له أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وهب لكم رجل ثوبا من ثيابه أو عبدة من عبيده أو دابة من دوابه ألكم أن تأخذوا ذلك؟ فإن لم تأخذوه أخذتم آخر مثله قالوا: لا، لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأول، قال: فأخبروني: الله أولى بأن لا يتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا. بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير إذنه، قال: فلم فعلتم، ومتى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم: سننظر في أمورنا و سكتوا.

### قوة الإقناع في الرأي:

وقال **الصادق**عليه السلام: فو الذي بعثه بالحق نبيا ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلا من كل فرقة خمسة وقالوا: ما رأينا مثل حجتك يا محمد، نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال **الصادق**عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾[1] فكان في هذه الآية رداً على ثلاثة أصناف منهم، لما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فكان رد على الدهرية الذين قالوا: الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة، ثم قال ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فكان ردا على الثنوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبران، ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ فكان ردا على مشركي العرب الذين قالوا: إن أوثاننا آلهة، ثم أنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2] إلى آخرها، فكان ردا على من ادعى من دون الله ضدا أو ندا.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: قولوا: «إياك نعبد» أي نعبد واحدا لا نقول كما قالت الدهرية: إن الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة، ولا كما قالت الثنوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبران، ولا كما قال مشركو العرب: إن أوثاننا آلهة، فلا نشرك بك شيئا، ولا ندعي من دونك

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١.
(٢) سورة الإخلاص: الآية ١.

إلها كما يقول هؤلاء الكفار، ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى: إن لك ولدا، تعاليت عن ذلك. قال : فذلك قوله: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[1] الحديث.

وهذه المحاججة هي محور المحاضرات في كافه اجزاء هذه الموسوعة الاعتقادية وبعض منها بنيت عليه ابحاث هذا الجزء من هذا الكتاب.

والله تعالى الموفق للسداد وبه نستعين.

١٣/ربيع الأول/١٤٣٦هـ

حارث العذاري

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

# مدخل

إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثا، بل خلقهم لغاية فليس من عبث في ساحة الكريم واوجدهم لمصلحة تعود عليهم بالنفع قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1] ومن هنا شاء بلطفه أن يرسل إليهم من يوضح لهم سبيل الوصول الى غايته تعالى من خلقهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2] ومن ثم ان البشر لا يستطيعون بعقولهم ادراك تلك السبل فهذا لا يتم إلا ببعث الأنبياء.

وفي التجربة المتواترة عبر الاجيال الناس مختلفون في أهوائهم وطبائعهم وآرائهم ويكثر بينهم الخلل وظلم القوي للضعيف فتركهم بلا نظام عادل متكامل يؤدي الى اختلال النظام وخراب حياتهم الدنيا فضلاً عن ضياع هدفهم الحقيقي في الاخرة.

ولازالت البشرية عبر البحث والتنقيب تسعى للوصول إلى معرفة

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٥.

الصواب في كافة جوانب حياتها ومع ذلك تتوالى الزلات والاخطاء الذي ربما يتدارك شيء منه بالتعديل والتبديل وفي كل مرة تثبت البشرية عجزها عن ايجاد قانون سليم يضمن حقوقها ويحدد واجباتها افرادا وجماعات من هنا فلابد ان يكون الله تعالى هو المرجع الوحيد في التقنين لأنه أعرف من الناس كلهم بما يصلحهم وما يفسدهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[(١)] وهو العالم بحقائق الأشياء.

ان المحاججة النبوية المبحوث بها معهم كانت في جوهرها العام حول تنوع الاديان واختلافها وهذا يستتبع بطبيعته الحديث عن الانبياء وقد وصل بنا الكلام الى ابحاث النبوة فنقول:

أن دعوات الأنبياء انما هي رحمة وليست دعوات نقمة ولا بطش ولا سطوة، لأنه ليس من هدفهم الغلبة والانتقام والتشفي والبطش والتعالي او تحقيق المصالح الذاتية والشخصية، وإنما يلتجئ إلى تلك الأساليب من تكون غاياتهم مثل تلك الأمور، أما من يهدف إلى هداية البشر والعناية بهم والرحمة بهم فهو بالتالي بالعكس سيكون كالطبيب المداوي وليس مهاجم قاتل أو مهلك، ففرق بين منطلق منهاج السماء ومشروع الأديان السماوية وبين الدعوات الأخرى الأرضية أو المادية التي لا تركز على الحوار بقدر ما هو وسيلة في تطويع الطرف الأخر وإخضاعه تحت النفوذ والقدرة لان الهدف الغلبة والسيطرة، وهذا بخلاف منهاج السماء الذي ليس الهدف منه

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٠.

السطوة والبطش والنقمة.

بل ان اصل خلق الخلق في دار الدنيا هو لأجل الامتحان لنيل القرب من الله او البعد عنه فبإرادة واختيار يمتحن الله البشر من دون إلجاء وإرهاب، وقد يستخدم مشروع السماء ذلك لكنه ليس هو الحالة الطبيعية الأولية في منهاج السماء على عكس ما يقوله مبشرو النصارى اليوم، فالحالة الأولية لمناهج السماء دوما هو اعتماد الحوار والهداية، وإنما القصاص والحدود فهي حالات استثنائية، بخلاف الدعوات المادية فأن المنهاج الأولي هو استخدام القوة والإرهاب وما الحوار إلاّ لتسهيل الوصول إلى نفس المقصد، ويقول تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ أي ليعرفون وليتعلمون ويتحاور معهم ويحاججهم وهذا شيء فارق بينه وبين أن يتقاتلون فهو شيئاً آخر إذاً الفرق واضح بين المنهاجين.

وكان بناء كفار قريش أن دعوة النبي هي شبيه بدعوة أصحاب الملك والسيطرة وبسط النفوذ وتوسعتها، كلا ليس الأمر كذلك وإنما يراد منها الاحتجاج والحوار والتعليم «ليحيى من حيّ عن بينه ويهلك من هلك عن بينة»، لذلك الرسول في حروبه وأمير المؤمنين وسيد الشهداء كانوا يقولوا شعار «أكره أن أبدأهم بالقتال» مع انه وفق الظروف الموضوعية من السائغ له قتالهم واغلبه كان لرد العدوان والسطوة لكن مع ذلك يؤكدون على الحوار والاحتجاج لكي تتم الحجة البالغة ومن هنا فالقتال أسلوب استثنائي.

وسيمر في الحديث القدسي لخطبة الغدير «ما كنت لأدع خلقي بلا علم وحجة بيني وبين خلقي» فالعلم يعني السفير والوسيط بين الله وخلقه «لا اترك ارضي بغير ولي ولا قيم ليكون حجة في أرضي على خلقي» فالمراد من العلم يعني معلم اتصال وارتباط بين الخلق والخالق وعدة عبارات قد وردت بهذا التعبير، فالعلم هو المعلم الذي يؤدي إليه الناس ويهتدون به عندما يريدون الهداية الإلهية، إذاً أي استفسار أو أي استمداد أو أي سؤال منهم وطلب منهم عن الهداية إلى سبيل الله لابد من وجود موضع ومأوى يلجئون إليه ويأخذون منه الهداية والإجابة، وهو مثل معالم الطريق فإذا أراد الإنسان طريقا معين فانه ينظر إلى المعالم التي تؤدي إلى ذلك الطريق أو الغاية ولذلك يعبر «ليقيم عليا للناس علما ويبلغهم ما انزل الله في علي».

ونحن هنا سنخوض مع القارئ الكريم بمجموعة من الابحاث المتعلقة بالنبوات والانبياء ضمن اجواء تلك المحاججة النبوية ومنه تعالى نستمد العون والسداد:

## المبحث الأول: وساطة البشر بين الباري تعالى وخلقه

هذا المقطع من احتجاج النبي صلى الله عليه وآله مع قريش «ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وأما قولك لي ولو كنت نبيا لكان معك ملك» فأحد محاور الاحتجاجات بين كفار قريش وسيد الأنبياء يأتي عليها النَّبيّ صلى الله عليه وآله في كل مقطع من كلامه «بل لو أراد الله أن يبعث ألينا نبيا لكان أنما يبعث ملكا لا بشرا مثلنا» وهنا يبين له النبي صلى الله عليه وآله أن القابلية غير موجودة في توسيط الملك مع البشر، وهذا بحث عام في مباحث الأديان وانه لماذا جعل الباري تعالى بينه وبين البشر وساطة بشر، وهذا البحث ليس خاص بسيد الأنبياء بل سؤال يبرز في عموم الرسل وكأنما هذا الأشكال عام مع الرسل وانه الباري لماذا لم يرسل ملكا، وهذا ليس خاص بواسطة الرسل مع البشر في دار الدنيا بل هذا نستطيع أن نقرره انه عام في وساطة الرسل مع الأمم فالوسطاء البشريين بين الله وبين البشر حتى في عوالم عديدة كما سنستعرض الفقرات التي يقررها النبي صلى الله عليه وآله كأدلة لضرورة وساطة بشر بين الباري تعالى والبشر، لنفرض بذلك عالم البرزخ وفي الروايات حتى في عالم الذر أو الميثاق والعوالم السابقة كان الواسطة بين الباري تعالى وبين الرسل والبشر وهو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ولدينا روايات مثلا أن أنوار الخمسة أو الأربعة عشر كانوا وسطاء بين الباري تعالى والملائكة حتى المقربين منهم ومضمون

تلك الروايات «كبرنا فكبرت الملائكة وسبحنا فسبحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة» فمن ذلك علموا كيف هي عبادة الله تَعَالَى.

عن صفوان الجمال قال:

«دخلت على أبي عبدالله جعفر بن محمدعليه السلام وهو يقرأ هذه الآية: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم. ثم التفت الي فقال: يا صفوان إن الله تعالى ألهم آدمعليه السلام أن يرمي بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدسونه، فقال آدم: يا رب من هؤلاء ؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم. لو أن عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ثم توسل الي بحق هؤلاء لعفوت له.

فلما أن وقع آدم في الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأَشباح اغفر لي، فأوحى الله عز وجل إليه: إنك توسلت إلي بصفوتي وقد عفوت لك. قال آدم: يا رب بالمغفرة التي غفرت إلا أخبرتني من هم. فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لعظيم حقهم عندي اشتققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأَعلى وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإِحسان وهذا الحسين»[١].

ومن هنا فالأنبياء ومن قبلهم سيد الانبياء وآله هم واسطة بين الله تعالى وخلقه في نقل الشرائع وايصال الدين اليهم وهذه الوساطة جاءت وفق مقامات حصل عليها اولئك العباد العظام في القرب من الله تبارك وتعالى.

---

(١) شرح الأَخبار ج ٣ ص ٥١٤.

ومن لطف الله تعالى بعباده أنه تعالى أخبر على لسان الأنبياء والرسل بما يريده من عباده قبل القيامة وعن لهيب النار ونعيم الجنة، وأخبر عن الشيطان والإخبار بالغيب حجة بذاته، وبه يمتحن الله تعالى عباده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾[١].

ويرى بعض اهل المعرفة ان الفيض الإلهي تام وفوق التمامية لأنَّ الله (دائم الفضل على البرية وباسط اليدين بالعطية) ولكن ينبغي أن يتوفَّر الاستعداد لقبول الفيض الإلهي، وتلك القابلية إنَّما وصلت إلى مستواها عبر شخوص الانبياء والمعصومين، ثم ان استنزال الفيض الاعلى كان للنبي ﷺ بعد وصوله إلى مقام العبودية التام يقول سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)﴾[٢].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١.

# المبحث الثاني: المعجزة

## الاتجاه الأول: محاور أساسية من بحث المعجزة

بحث المعجزة من الابحاث المهمة في الاديان عموماً والاسلام خصوصاً ويمكن لنا الحديث من خلال مجموعة من المحاور وفي اجواء المحاججة المبحوثة عن النبي صلى الله عليه وآله:

### المحور الأول: تعريف المعجزة :

يقول النبي صلى الله عليه وآله «بل إنما بعث بشرا واظهر على يديه المعجزات التي ليست في طبائع البشر قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به انه معجزة» وهذه العبارة لعله هكذا تقرأ «الذين قد علمتم بضمائر قلوبكم» أي بوجدانكم أو علمتم أي علمتم ضمائر قلوبكم، ويمكن أن يكون المعنى أي علمتم أنتم باطن قلوب البشر باعتبار تشاهدون أنفسكم فتستعلمون بواطن الآخرين بعلامات ما تشاهدونه في أنفسكم، «فتعلمون بعجزكم عما جاء به انه معجزة وان ذلك شهادة من الله بالصدق له» بان

أمكنه من ذلك «ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم على أن في ذلك ليس في طباع سائر أجناس الملائكة» إذاً الملائكة بعضهم سفراء وبعضهم ليسوا بسفراء وحينما لا تميزون فان هذا عجز فيكم وليس من دليل على انه معجزة خاصة به دون غيره، وهذا تعريف دقيق للمعجزة.

فالمعجزة إنما يصدرها الباري على يد السفير منه بحيث يعجز أبناء جنسه عن ذلك، أما إذا صدر بعضه من الجن فان الجن يستطيعون ذلك، وفي قوله ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[1] فهذا مثلا عنده طي الأرض. وهناك زاوية أخرى في المعجزة وهي هل المعجز الذي يأتي به صاحب المعجزة من الله يعجز عنه جميع أجناس المخلوقات؟.

**المحور الثاني: تفريق المعجزة عن قدرة الجن:**

الجن يستطيعون أن يأتوا بشيء يعجز عنه البشر ومع ذلك عملهم لا يسمى معجزة، لان هذه هي طبيعة الجن، وهذا الامر مما يغرر به أصحاب الدجل والحيلة والنصب والغواية فيدعون بمدعيات ويأتون ببعض الخروقات عبر الجن ويظن الساذج بان هذا البشر ـ الدجال ـ يمتلك قدرة خفية ومن ثم يشتبهون انه حيث يعجز عنه بقية البشر فهذا صاحب دعوة صادقة، بل إنما أتى بذلك الجن أو العفاريت أو الشياطين وهم يستطيعون

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٩.

أن يأتوا بأفعال لا يختصون هم بها من بين أبناء جنسهم ولكن يعجز عنها البشر، وهنا ينبغي أن نعرف أفعال الجن والشياطين والجن وقد ذكرها القُرْآنُ الكريم فإنها أفعال مهولة، والقرين قد أثبته القُرْآنُ في سورة (ق)، ومعنى القرين يعلم ملف أعمالك من الصغر إلى ألآن، وليس معنى ذلك أن هذا معجزة، أو أن الجن حينما يستطيعون أن يسترقون السمع ولكن أكثرهم كاذبون وهذا يدلل أن لهم نسبة من الصدق ولو قليلة ولكن تمتزج بالكذب أما من جهة أغلبية الاخبارات أو جهة أغلبية الإفراد من الشياطين.

المعجزة لها عدة حدود وزوايا إذا لم تستكملها سيختلط حالها وربما يدلس بين المعجزة وغير المعجزة من شعوذة أو شعبذة أو أفعال سحر. نعم المعجزة أن يعجز عنها جميع المخلوقات من الثقلين، لأنهما مورد التكليف.

فالمقصود هنا ما يقع فيه عامة الناس من السذاجة انه يظنون أفاعيل العفاريت أو الجن أنها معاجز بينما النبيﷺ هنا يسلط الضوء على ذلك، وهذا أمر أدياني منذ القدم حيث تقع الناس في فخاخه إلى يومنا هذا ولا يلتفتون إلى ذلك.

## المحور الثالث: استمرار الحاجة لمعرفة حقيقة المعجزة:

ان بحث تعريف المعجزة غير مختص بزمان دون زمان، لأننا نحن في هذا الزمان وما يأتي من زمان بحاجة إلى تقرير تعريف المعجزة لكي

يستبينوا منها صدق سيد الأنبياء وصدق أولو العزم وصدق بقية الأنبياء والرسل، مثلا صالح له ناقة خرجت من الجبل والنبي عيسى يحيى الموتى وموسى تتبدل عصاه إلى حية، فهذه المعاجز التي أتى بها الأنبياء السابقين تعريفها كمعجزة يحتاج إليها كل أجيال البشر، وهذا من البحوث الوعرة، فنحتاج ان نميز المعجزة عن أصحاب والدجل والنصب، بل أكثر من ذلك وهي كيف نميز بين المعجزة والكرامة، مثلا نرى جماعة من الصلحاء تظهر منهم كرامات فهذا الصالح أو التقي والموقن لا يريد أن يحتال أو ينصب لكن الآخرين من سذاجتهم يتلقون هذه الكرامة كمعجزة وبالتالي يقمصون هذا الصالح أو التقي أو الموقن يقمصونه مناصب معينه في الحجية وبالتالي يتلقون كل سلوكياته كحجة من الحجج وهو برئ عن ذلك لكن الآخرين يقمصونه ذلك الشيء وربما يموت ولكن تبقى كل سلوكياته مضرب مثل كميزان الحجة فهذه سذاجة من الآخرين وليس منه، وهذه الحالة تحصل كثيرا.

اذن التفريق وتبين كل شيء بحدوده امر لازم حتى لا تختلط الاوراق وتتناقض او تتباين الحقائق.

**المحور الرابع: المعجزة ليست القدرة على المحال الذاتي:**

«وأنا يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان لا ليهلكوا بها فان ما اقترحت هلاكك و رب العالمين ارحم من عباده لأنفسهم بأنفسهم

واعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما يقترحون» وهذا مثل رب الأسرة فالطفل يطالب بالانتحار ووالده يمنعه ويخاف عليه أكثر من نفسه، «ومنها المحال الذي لا يصح» وهذه كلها حدود وضوابط المعجزة يبينها النبيﷺ « ولا يجوز كونه ورسول رب العالمين» فبعضهم يفسر المعجزة هي القدرة على المحال وهذا من الأخطاء في تعريف المعجزة.

المعجزة ليس القدرة على المحال بل المعجزة على ما يعجز عنه البشر وباقي المخلوقات لا على المحال الذاتي، إذاً المحال هو بلحاظ قدرة البشر لا المحال الذاتي الذي هو ليس تعريف للمعجزة، وبعض الملل والنحل القديمة تعرف المعجزة بالقدرة على المحال الذاتي وهذه نكتة مهمة، «ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل مخالفته ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه» الالتجاء هنا علمي لا تكويني فهو يسد باب الشك ويبين اليقين، «حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص» إذاً ضابطة المعجزة ليس هو المحال الذاتي وإنما البرهان واليقين يسد عليك أن هذه ممكن أن يقدر عليها البشر أو محتمله فيسد عليك الاحتمال لا انه يوجد لك المحال والفرق بينهما واضح بالتأمل.

### المحور الخامس: من شروط المعجزة:

إنَّ الشرط الذي بيّنهﷺ في المعجزة هو أن يكون من تظهر على يديه المعجزة من إفراد بني البشر كي يتبين بقية بني جنسه ونوعه أن هذا الفعل

لا يمكن أن يصدر بأسباب طبيعية أو حالة اعتيادية، ولذلك لو صدر الفعل من غير بني الإنسان كالجن مثلا لما أمكن إحراز أو استكشاف أن هذا الفعل معجزة، باعتبار أن الجنس الأخر كالجن أو الملائكة لا يطلع البشر على قدراتهم وأفعالهم كي يكون هذا الفعل من ذلك الفرد خارج عن قدرة الجن أو الملائكة، فتمييز المعجزة لو صدرت من غير بني الإنسان يكون تمييزها من قبل بني الإنسان صعب،وهذا بخلاف ما لو صدرت من بني الإنسان فان تمييزها يكون خارق للعادة بنحو أبين، وهذا الشرط لا ينافي وجود شروط أخرى من قبيل أن الفعل لا يصدر من بني الجن أو مخلوقات أخرى، ولنفترض أن الهدهد له قدرة على اكتشاف الآبار الارتوازية وشامة الكلب لها خواص وسامعة بعض الحيوانات لها خواص فهذه خارجة عن قدرة الإنسان ولكن ليس خارجة عن قدرة المخلوقات الأخرى، وهذه التفاته مهمة لابد من اشتراطها بنحو يتميز لنا أن الفعل هل صدر من الإنسان مباشرة أو استعان بمخلوق آخر، وقد يكون هذا الفعل وان كان غير اعتيادي أو طبيعي من الإنسان لكنه طبيعي من المخلوق الأخر.

**المحور السادس: اختصاصها بما يعجز عنه بني جنسه:**

قال صلى الله عليه وآله: «ولو شاهدتموه» يعني الملك وأردتم أن يكون الوسيط ملك بينكم وبيّن الله «بان يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل

هذا بشر لأنه إنما يظهر لكم بصورة البشر الذي قد الفتموه لتفهموا عنه مقالته» أي لابد أن يظهر لكم بصورة البشر كأنما يحادث ويتحاور معكم «وتعرفوا خطابه ومراده» لأنكم في قالب البشرية ولا تستطيعون أن تتعاطوا في الخطاب والكلام إلاّ بطريقة الآلة الموجودة في جسمكم وكيانكم «فكيف كنتم تعرفون صدق الملك وإنَّ ما يقوله حق» لا يمكن لأنه يشبه لكم بالبشر ومن قال أن هذا الملك ما عنده ليس عند بقية الملائكة «بل إنما بعث الله بشرا واظهر على يده المعجزات التي ليست في طباع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم أن ما جاء به معجزة وان ذلك شهادة من الله بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يديه ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم على أن ذلك ليس في طباع سائر أجناسه من الملائكة» فبالتالي لا يتحقق الشرط المهم في المعجزة وهو تميزه واختصاصه بما يعجز عنه بني جنسه.

### المحور السابع: قيدان يضعهما النبيﷺ للمعجزة:

يبين النبيﷺ قيدين لمعجزة (مع أن المعجزة لها عدة قيود وشروط)، ولكن الآن هو في صدد التركيز على هذين القيدين لرد شبهة قريش:

**القيد الأول:**

إنَّ الفعل صادر منه لا من أعوان أخرى من أجناس أخرى من

المخلوقات بل منه هو، وهذا الأمر يلتبس على كثير من عامة البشر فان الكثير يظن أن ما يصدر من الساحر وغيره انه صادر منه والحال انه صادر من الجن أو الشياطين.

**القيد الثاني:**

انه يصدر منه بنحو متميز بغير ما يصدر من الملك، لان ما يصدر من الملك ليس هناك وسيلة لتعرفنا أن هذا صادر من الملك المتميز عما يمكن أن يصدر عن بقية الملائكة، لأننا لا نعيش حياة الأجناس الأخرى من الملائكة فحيث لا نعيشها لا نعلم بان الذي صدر على يد هذا الملك لا يصدر عن بقية الملائكة، إذاً من شرائط الإعجاز أن يصدر هذا الإعجاز من بني البشر ولا يصدر ممن يستعين بهم من أجناس مخلوقة أخرى وإلا فليس هذا فعله ومكن الله منه ليعجز عنه الآخرين بل كل من أمكنه أن يتصل بتلك الأجناس يمكن أن يستصدر ذلك الفعل، والأمر الأخر هو أن يصدر من بشر لا من ملك ولو كان يصدر من ملك لما أمكن التعرف على سبيل أن هذا الفعل يصدر منه خاصة دون بقية إفراد وأنواع جنس الملائكة.

**المحور الثامن: تميز مهم في معجزة إبراد النار لإبراهيمعليه السلام:**

قد يقال بالنسبة إلى النبيصلى الله عليه وآله إبراهيم عندما جعلت له النار بردا وسلاما لمن يسند هذا الفعل هل لإبراهيم أم إلى الملك ؟ والجواب الفعل ابتداء لا يسند إلى الملك، مثلا الموت يسند إلى الباري تعالى ويسند إلى ملك

الموت ويسند إلى الملائكة الذين هم أعوان ملك الموت ولكن نسبة إصدار الفعل من الله عز وجل انه هو اقدر عزرائيل وأجرى الفعل على يديه وعزرائيل عندما يسند الفعل إليه ولو بتوسط أعوانه فالفعل ينسب إلى عزرائيل لان عزرائيل هو يقدر أعوانه بما اقدره الله عز وجل فنسبته إلى عزرائيل اشد من نسبته إلى الأعوان الذين يباشرون الجذب، وفي باب النفس مثلا يسند الكتابة إلى اليد أو النظر إلى العين لكن نسبته إلى الإنسان اقوى من نسبته إلى العين مع أن العين هي التي تباشر النظر، لأنه بمدد وهيمنة من ذات النفس بمراتبها العليا، وفي بحث الكاهن والساحر لا يكون الجن والعفاريت والشياطين آلة وأداة بل ذات الساحر والكاهن هو يكون أداة وآلة للشياطين والعفاريت لذلك السحرة والكهنة لا يستطيعون أن يتخطون مراسم معينة يمليها عليهم رؤساء الشياطين لو تخطاها تصيبه الهلوسة وما شابه ذلك، وهذا ما يعبر عنه القُرْآنُ الكريم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[1].

## المحور التاسع: ارتباط المعجزة بصاحبها:

قد تشاهد بعض الكرامات تصدر من النبي ﷺ تشاهدها عند بعض الأولياء كسلمان واويس وأبو ذر وعمار وغيرهم من الأولياء وبعضها لا يستطيع لها إلاّ المعصومين، وحتى المعصومين يتفاوتون في ظهور القدرة

---

(١) سورة الجن: الآية ٦.

على الإعجاز ويتفاوتون في اظهار الأقدار على الإعجاز، لذلك معجزة سيد الأنبياء تختلف عن بقية الأنبياء وهذه ترتبط بمكانة نفس الشخص، بعبارة أن الفعل الخارق أن كان معجزة أو غير معجزة يرتبط بالفاعل وصفاته ومكانته، مثلاً ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وهذا يعني انه يوجد غير الكتاب وإلا يوجد ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ فان حم من أسماء النبي ﷺ و (يس) من أسماء النبي ﷺ فهذه خواص للنبي ﷺ دون بقية المعصومين ومنها أيضاً ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ اسم للنبي و (طه) وهذه كلها صفات غيبية للنبي ﷺ مختص هو بها دون المعصومين وهذا غير الكتاب، إذاً المعجزة لها ارتباط وثيق بصاحب المعجزة صفةً ومكانةً ومقاما واقتدارا، ومن ثم أصحاب الشعبذة والسحر دوما أفعالهم بقدرهم ولا يمكن أن تفرض أنها معجزة، واللطيف أن النبي ﷺ يربط هذه الأفعال الخارقة بسابقة الإنسان نفسه كيف تكون ولاحقتها كيف ستكون.

### المحور العاشر: شرط الافهام هدف للمعجزة:

يقول ﷺ «ولو شاهدتموه بان يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر» أن من احد شرائط المعجزة يذكره النبي ﷺ بقوله «لأنه إنما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي قد ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده» فلابد ان يكون في المعجزة عامل تخاطب وتفاهم مع المتلقي وليس ألغاز ولا أن يغم ويبهم الأمر على الطرف الأخر فهذا

ليس هدف المعجزة فان هدف المعجزة هو الإفهام حتى تتم الحجية فيها.

«فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وإن ما يقوله حق بل إنما بعث الله بشرا واظهر على يديه المعجزات التي ليست في طباع البشر» وهذه من مقومات المعجزة وهو أن التخاطب والتواصل والتفاهم لابد أن يكون من عنده، وغرض المعجزة الذي تنتجه وهو أن يتبع صاحب المعجزة في مشروعه الإصلاحي السماوي،بينما عكسه صاحب السحر والكهانة، وسيذكر النبي صلى الله عليه وآله الفرق بين السحر وبين المعجزة، حيث يقول «هل رأيتم لي خزية قط أو زلة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفها من الرأي» ألاّ ترون هذه العصمة طيلة أربعين سنة فانه لا يمكن للإنسان من نفسه أن يعتصم عن ذلك، وهذا فرق المعجزة في مسار صاحبها عن مسار الساحر، فان مسار صاحب المعجزة عنده هدف ورسالة والتزام حقيقي بما يقول ويتهج.

**المحور الحادي عشر: المعجزة تتحدى البشرية إلى يوم القيامة:**

والآن نواصل حوار النبي صلى الله عليه وآله مع مشركي قريش فان الاقتراحات التي قدمتها قريش ليست مدروسة وليست مبنية على ضوابط وموازين وانما هي مجرد اقتراح فيقول النبي صلى الله عليه وآله أن هذه الاقتراحات منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته مثل تفجير الينابيع فقال لهم أليس في الطائف من فجر الينابيع قالوا نعم فقال هل تدل هذه على نبوته؟، إذاً هذه ليست معجزة فمجرد بعض الأفعال فيها نعمة أو كرامة ليس يعني أنها واجدة

لشرائط أو لماهية المعجزة، حيث يقول «منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته» ورسول الله ﷺ يرتفع أن يغتنم جهل الجاهلين او يستغلهم وهذه نكتة وعلامة على صدق النبي أو الوصي أو الحجة انه يأتي ببرهان فهمه البشر أو جهلوه ولا يستثمر جهل البشر لإثبات شيء، ومع ذلك يراعي الواقعية على ما هي عليه، يعني لو أتت أجيال وازدهرت في العلم إلى يوم القيامة سترى أن ما اعتمده ثابت كبرهان ومعجزة، وهذا يدل أن معاجز الأنبياء لا تتحدى أهل زمانهم فقط بل تتحدى البشرية إلى يوم القيامة لأنها لا تعتمد على جهل ذلك الزمان أو قصور قدرتهم، بل يتحدى علوم الأجيال إلى يوم القيامة.

لذلك يقول أن العلم مهما بلغ لا يصل إلى الوحي والى علومه وحكمه والى المعادلات التي يوصي بها الوحي، ولذلك الشيخ المفيد والطبرسي وجملة من الإعلام يستدلون بعلوم الأئمة الموجودة انها ليس تتحدى فقط أهل زمانهم بل كل الأزمنة، فصفاتهم في الأدب والشجاعة والسلوكيات ليست تتحدى وتسبق أهل زمانهم بل تتحدى أهل كل الأزمنة، فالإمام ليس أفضل اهل زمانه بل أفضل كل الأزمنة ويفوقهم،وفي دعاء الندبة توجد إشارة «يا بن الآيات البينات يا بن الدلائل الظاهرات الباهرات» ألآن هم دلائل ظاهرة فنفس تراثهم العلمي في كل علم من العلوم أورثوه للبشرية يتحدى كل المعادلات وكل أهل زمان مهما تطورت وتنامت وتقدمت العلوم، فيخبرك المعصوم عن السماء بكذا

ويخبرك عن طب الأسرة والمرأة والطفل والأرض والجن والإنس والروح فهذه علوم ثابتة تتحدى البشرية فهي إعجاز حاضر راهن وليس خاص بأهل زمانهم، وكذلك هذه التفسيرات لإعجاز القُرْآنُ وان علوم القُرْآنُ لا زالت تتحدى البشرية، فمن يستطيع أن يثبت عدم صحة شيء من معلومات القُرْآنُ ؟، مهما توصلت إليه البشرية من نظم تعجز عن أن تخطئ القُرْآنُ في نظام معين أو قوانين معينة، فهذه هي طبيعة المعجزة أنها تتحدى البشرية إلى يوم القيامة.

**المحور الثاني عشر: المعجزة ليست لأجل النقمة:**

يقولﷺ «منها لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته ورسول الله يرتفع عن أن يغتم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه ومنها لو جاءك به كان معه هلاكك» وهنا نكتة لطيفة وهي أن المعاجز ليست لأجل النقمة وإنما هي لأجل الرحمة والهداية والبصيرة، بينما هم لجهلهم وحماقتهم طلبوا ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ فإذا انزل كسفا فهو يدل على المعجزة لكنها معجزة نقمة لا رحمة وهذا يشير على أن المعاجز على أنماط منها ما هو نقمة أي إذا لم يرعوي الطرف الأخر لها تحل به سريعا بسخط الله ونقمته، وتوجد نكتة أخرى وهي قانون وسنة أن طبيعة المعجزة تشدد وتغلظ من مستوى الحجية، وكل شيء اشتدت فيه الحجية وأغلظت تكون العقوبة عليه اشد، فالعقوبة على العالم اشد من العقوبة على الجاهل والعقوبة على

الأعلم اشد من العقوبة على العالم، وكلما أزادت العلمية كانت العقوبة أكثر، ولذلك الحجية واقعا ذات مراتب ونستطيع أن نقول بالاصطلاح الحوزوي أنها تشكيكه،بعض الحجج إذا اشتدت تكون نقمة معجلة ولذلك ناقة صالح معجزة ولكن لم يرعوي لها فبالتالي سببت حصول النقمة، ومثال آخر عندما طلب الحواريين من النبي عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ فقد طلبوا زيادة البيان فازدادت المسؤولية، وهذا يعني أن زيادة الحجية تسبب زيادة المسؤولية، لأنها علم وهي سنة الهية جارية .

وبعض المعاجز من قبيل النقمة فإنها ليس فيها مهلة، لأنها تكون بدرجة عاليه من الوضوح بالتالي تكون نتيجة مخالفتها ونكرانها العقوبة، وتوجد معاجز نفسها نقمة كما كان حال ذلك الرجل المجادل للنبي صلى الله عليه وآله ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وفعلاً نزلت عليه الحجارة من السماء فهذا قد عاجل بنفس القضاء الأخروي عناداً وحسداً.

«لما بَلَّغَ رسول الله صلى الله عليه وآله غدير خم ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وبالصلاة، والصوم والحج، والزكاة، فقبلنا منك.. ثم لم ترضى بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت:

من كنت مولاه فعلي مولاه ! فهذا شيء منك أم من الله؟!

فقال رسول الله: والله الذي لا إله إلا هو إنَّ هذا من الله.

فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: سأل سائل بعذاب واقع.. الآية»[١]. انتهى.

**المحور الثالث عشر: المعجزة ليست للجاج أو حب الذات:**

هناك ضابطة اخرى «ومنها ما قد اعترفت على نفسك انك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة ولا تصغي إلى برهان» أن المعجزة ليست لأجل مباراة من يعاند وليست لأجل اللجاج والعناد والتغالب وحتى التحدي ليس لأجل العناد واللجاج وإنما هي إعجاز وغلبة لأجل إنارة الحق وبيان النور والهداية لإيضاح الطريق وليس لأجل نفس اللجاج.

«ومن كان كذلك فدوائه عذاب الله النازل من سماءه أو في جحيمه أو بسيوف أوليائه» و هذه عدة معادلات أو قواعد ذكرها النبي وهي كالاتي:

**أولاً**: أن غاية المعجزة ليس اللجاج والعناد، لان العناد واللجاج هي

---

(١) في نفحات الأزهار: ٧/ ٢٩١.

من أنشطة أفعال القوة الغضبية وهذا ليس فعل أو صفة متسامية ومتعالية، والعقل يربوا عن هذا المستوى، ولذلك الجدل بالباطل هو لأجل المغالبة ولأجل الكسر والانكسار، أما المجادلة بالتي هي أحسن إذا لم يكن فيها ثوران الغضب ولا هيجان النفس وإنما فيها تمام البرود والهدوء لأجل فقط الإيقاظ والتنبيه والإرشاد وإيضاح الطريق، لذلك الانفعال علامة عدم كون الداعي للحوار عقلي وإنما هو نفسي، إذاً المعجزة ليست غايتها الإسكات أو الإفحام أو ما شابه ذلك .

**ثانياً**: المعجزة غايتها الإنارة والهداية والبصائر، فصاحب المعجزة لا يوظف المعجزة لأجل الغلبة الذاتية ولا لأجل الترائي والسمعة، وهذه النكتة يلمسها العوام، فإذا كان لا يدركوا كون هذه معجزة فعلى الأقل يستدلوا بهذه العلامات التي يذكرها النبي، فإذا وظف الفعل الذي يدعى انه معجزة إلى مآرب وصفات نفسانية حيوانية دانية فحتما ان كنه هذا الفعل ليس بمعجزة، لان المعجزة ليست لأجل أغراض ودواعي نفسانية من قبيل العناد واللجاج التي تنطلق من غرائز نفسانية حيوانية.

**ثالثاً**: المعجزة فيها تسامي خلقي من صاحب المعجزة حتى في ظرف المعجزة فهو ملتزم بالقيم الاخلاقية التي يدعو لها وجبلت نفسه عليها ولا يخالفها لا قبل المعجزة ولا اثنائها ولا بعدها.

**رابعاً**: من ثم هي داعي إلى السبيل الحق لا الى النفس أو والغضب الذات، وهذه العلامة بسهولة يتدبرها عموم الناس لكن تحتاج قليل من

الفطنة والتدبر، وحتى صاحب الكرامات فهل هذه كرامة إلهيه أو كرامة رياضات، فإذا وظفت في سبيل الرياسة والدعاية والنشر فواضح أنها ليست في سبيل الله بل في سبيل المآرب والنفس، وهذه علامة استعلاميتها سهلة ولا تخطئ، فالمعجزة لا تقترن مع الانحطاط والرذائل الأخلاقية. إذاً صاحب المعجزة متنزه عن انانيات ذاته، لأنه أن هو إلاّ عبد مأمور من الله فلا يأتي بها يأتي بدواعي ذاته، وهذا شبيه بحادثة تأخر أمير المؤمنين عن قتل عمرو بن عبد العامري حينما اراد قتله لله وليس لغضبه، لأنه يريد أن يعيش دوما حالة انه عبد مأمور لا ملك قهور.

**المحور الرابع عشر: التقاء المعجزة والجدال بالأحسن في هدف واحد:**

يواصل النبي بيان الضوابط في المعجزة وخلل الاقتراحات التي أبداها كفار قريش وان ما يطلبه المحاور أو المستفهم إذا كان عن عناد فمن الواضح أنه ليس من الحكمة الاستجابة لما يكون عن عناد، لأنه ليس فيه التصبر والتثبت العلمي بل الهدف فيه يكون نوع من زيادة اللجاج وبالتالي فان هدف المحاجج هي المغالبة وليس هدفه تحري العلم والحقيقة، وبعبارة أخرى مر بنا التمييز بين المعجزة التي هي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالبرهان وأيضا تصح الدعوة بالمجادلة ولكن ليس المجادلة بالتي هي أسوء وإنما هي مجادلة بالتي هي أحسن والمجادلة بالتي هي أحسن والدعوة إلى سبيل الباري فيما إذا لم تكن هناك عناد أو لجاج أو مرائات،

ومن ثم الجدال للمرائات مذموم، لان ليس البغية فيه تحري الحقيقة بل تسود على الطرفين أو احدهما حالة من استهداف وابتغاء الغلبة كيفما كانت وليس هدفه التسليم للحقيقة كيفما كانت، فمن ثم يكون الحجاج عقيم أو خالي عن الهدف، لان الطرف الأخر لن يستجيب لما هو دليل أو برهان وليس في مبتغاه تحري الحقيقة ومن ثم الحكيم والحليم وذوي اللب من لا يدخل في جدال وفي مراء ومن ثم الحلم في موارد المراء ابلغ من الخوض في الجدال، وحتى المعجزة التي هي حق وبرهان بلحاظ ذوي اللجاج والعناد تكون عديمة الجدوى.

نعم في بعض الموارد قد تكون معاجز لقطع العذر أو لإتمام الحجة البالغة، وإلا نفس الجدال والحوار مع الطرف المعاند وعدمية استهداف الوصول إلى الحقيقة والتثبت من الحقيقة فلا فائدة ولا جدوى من ذلك إلاّ إذا كان هناك هدف سليم وهو ليس مغالبة الطرف الأخر وإنما هو قطع العذر عليه من اجل الهداية ونصرة الحق وطرف الصواب.

**المحور الخامس عشر: برهان المعجزة النظري:**

ان الفلاسفة والمتكلمين يترجمون البرهان الذي في المعجزة كالتالي بأنه «قدرة خارقة علمية أو طاقة خاصة يعجز عنها البشر»، وبيان البرهان أن هذه القدرة لما كانت يعجز عنها جميع البشر فالعقل يقبح من أن يمكن الباري تعالى شخص يدعي الوساطة والهداية اللطف منه تعالى للبشر من

أن يمكنه من كل ذلك وهو دجال او كذاب وهذا دليل العقل العملي، وهناك برهان نظري يذكروه في نفس معنى المعجزة فيبينون أن من يستطيع أن يأتي بمثل هذه القدرة لابد انه متصل بالعالم العقلي (العقل الفعال) وهذا الاتصال عبارة عنمعنى من معاني النبوة لان النبوة عبارة عن نوع من ارتباط بالغيب ودرجة خاصة وقابلية خاصة للنفس بان تسمع الكلام الإلهي والمعقولات في العقل هي الكلام الإلهي وهذه من النبوة، وان كان هذا التفسير عام ويشمل الإمامة واقعا والاصطفاء ولكن إجمالا هذا بيانهم في الحكمة النظرية.

**المحور السادس عشر: برهان المعجزة الحضوري:**

ويمكن أن يضاف شيء اخر إلى ما ذكروه لان هذه البيانات هي بيانات نظرية استدلالية لبرهانية المعجزة، وهناك بيان آخر فبدل أن يكون في العلم الحصولي هو بيان في العلم الحضوري وقد أشير إليه في الروايات والآيات ولعله يشير إليه بعض العرفاء، ففي الحقيقة المعجزة لا يحتاج المشاهد لها من صاحب المعجزة إلى مقدمات نظرية وفكرية وحصوليه كي يصل إلى النتيجة وان كان هذه لا بأس بها ولكن في جملة من المواد المعجزة عبارة عن انكشاف جانب من الغيب والقدرة الغيبية لمن يكون شاهد في مشهد الحدث ويرى المعجزة وهي لمعان لبريق قوة الغيب وهذا اللمعان هو شهود للغيب وبالتالي لا يحتاج إلى ترجمان بالعلم ألحصولي، شبيه من

يبصر ويحس بشيء وتحاول معه ان توصفه إليه بالأوصاف بينما هو لا يحتاج إلى أوصاف فانه لا يتكلم عن غائب وإنما هو مشاهد له، فالمعجزة لمن كان حاضر في المعجزة فهي بالنسبة إليه شهود للغيب أي يشاهد عملية ظهور وانكشاف لمعان وبريق للغيب في مشهد عيان له ومن ثم غالب الذين يكونون حاضرين في مشهد المعجزة يصيبهم نوع من القشعريرة حتى وان كانوا أهل تمرد وجحود ولجاج.

وبعبارة أخرى المعجزة شبيه بمشاهدة الآخرة أو الملكوت والعوالم الأخرى، فكيف تصيب المشاهد بالوجوم والاندهاش لان فيها عيان، هذا البيان في حقيقة هو برهان عياني والمعجزة فيه برهان عياني، لأنها من قدرة وطاقة الغيب، لذلك من تقام عليه المعجزة وهي حجة يشدد عليه في العذاب وهذا شبيه من تغرغرت روحه عند التراقي في سياق الموت إلى الأخرة فيشاهد ويعاين فلا يفيده الإيمان حينئذ ان لم يكن مؤمنا من قبل، فهو إنما يبرهن إليه لكي يؤمن بما هو غيب عنه، أما إذا عاين فقد بطل الامتحان ولا اثر للبرهان السابق بعدها، فصاحب المشاهدة عاين شيء من الغيب ومن ثم نتيجة لذلك يشدد الحساب عليه، القُرْآنُ الكريم معجزة حاضرة للعلماء أو لكل بحسب درجة علمه سيعاين القدرة الغيبية في القُرْآنُ، ولذلك ورد في الروايات أن كل من يقرأ القُرْآنُ بحال معنوي ويترقى حتى يكاد يسمع كلام الله مشافهة له، لان فيها عيان للغيب.

مثلاً عالم في علوم القانون أو الطبيعة أو الطب فانه شاهد من تعاليم

القُرْآنُ ما يبهره فيلمس عن قرب وكثب قدرة الغيب وإنها ليست قدرة بشر، فهذه الجامعية وهذا الأحكام والإتقان والحبك لم يشهد عند غيره ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾(١) وكل بحسب اختصاصه فالأديب أو النحوي والصرفي يشعر ويلمس ما في القُرْآنُ من عظمة ترتيب، والشعر عرف في علم اللغة والخطابة عرفت والنثر عرف ولسان الحكمة عرف، فالشعر ما يشتمل على التخيل والهيام في الخيال سواء في الوزن أو بالمادة، والغناء تعريفه معين بالمواد انه يوجب طرب سواء بالمواد أو بالوزن، والبرهان وما فيه نظم المعلومات يوصل إلى النتيجة، والخطابة فيها حماسة، وإلى ألآن علم اللغة لا يدرك حقيقة القُرْآنُ ما هي هل هي شعر أو غناء أو خطابة أو كلام برهان وحكمة، فإلى ألآن لم يضبط أدب القُرْآنُ تحت قواعد يستطيع البشر أن يحيط ويهيمن عليها، فلا تضبط أوزانه ولا مواده منضبطة في الشعر ولا في البرهان ولا في الخطابة ولا الغناء، فلم يستطيعوا أن يضبطوا بضابطة واحدة معينة، بينما القُرْآنُ يسميه ذكر ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾(٢) ولعدم ضبطهم له قالوا عنه انه سحر مع أنهم ماهرين في البلاغة والشعر والخيال وفي الغناء والطرب كل هذه لا تنضبط قواعدها على

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) سورة يس: الآية ٦٩.

القُرْآنُ، ولا استطاعوا أن يضبطوا مفاتيح وزن القُرْآنُ أو المواد القرآنية.

فالأديب يتبين له لمعان قدرة الغيب في الأدب القرآني، وهذا ليس في علوم اللغة بل حتى في علوم الالسنيات، فكتاب معين قد يدمج بالتاريخ، القُرْآنُ لا هو تاريخ ولا هو تجريد مطلق، ولا قصص ولا أمثال وضابطة الأمثال لا تنطبق عليه، وهذا بُعد من إبعاد إعجاز القُرْآنُ يلمس منه العيان والبرهان كل بحسب مستواه العلمي، لأن العلم نوع إدراك ويجعل له حضور ومشاهدة وكلما يرتقي علمه أكثر يشاهد من القُرْآنُ أفق اكبر ويعاين المعجزة في القُرْآنُ أكثر.

ذكر رسول الله الفتنة يوماً فقلنا: «يا رسول الله كيف الخلاص منها؟» فقال:

«بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار إلاّ قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ظل، وهو الحبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه»(١).

قال الإمام أمير المؤمنين علي واصفاً القرآن:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو

---

(١) مستدرك الوسائل ج٤ ص٢٣٩ باب٢ ح٤٥٩٥.

توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوئه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لايغيضها الواردون، ومنازل لا يظل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهانا لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلام، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»[(١)] .

المهم أن المائز بين المعجزة وغيرها انه في المعجزة عيان للغيب، غاية الأمر في نفسية الإنسان وحدود إدراكه النظري أو العلمي فمن عنده العلوم الروحية قوية لا يلتبس لديه الامر بل يفرق بين السحر والمعجزة، وسنشير لمَ الكثير من العوام تلتبس عليهم عندما يشاهدون بعض القدرات الروحية التي هي ربما من السحر أو الرياضات أو شعبذة فيلتبس

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٨ .

الأمر انه معجزة وسببه أن درجة العلم او الخبرة في العلوم الروحية على درجة متدنية.

## المحور السابع عشر: المعاجز علمية وعملية:

مر بنا أن المعجزة لابد أن تكون في ذاتها برهان وان المتكلمين والفلاسفة كانوا يخرجون برهانيه المعجزة من باب انها قسم في العقل النظري أو ألحصولي ولكن الصحيح أن المعجزة بيان من العلم الحضوري ولمعان الغيب، غاية الأمر في جملة المعاجز العلمية تصنف بمعنى أن تخريجها برهانها لابد من إدراك علمي فيها ودفع اللبس الالتباس لابد من بيان علمي فيها فبرهانيتها متوقفة على بيان علمي لكن تقسيمهم وتصنيفهم للمعاجز أن بعضها علمية وأخرى عملية المقصود كما في القُرْآنُ الكريم وجود بيانات علمية وما شابه ذلك فكلها إعجاز علمي ولكن توجد معاجز لا تتوقف على المعلومات والمعاني وإنما تتوقف على نفس انجاز عمل في الخارج فبالتالي تسمّى معاجز عملية.

## المحور الثامن عشر: جريان المعجزة

### بيد من له الولاية التكوينية:

يُؤكِّد الْنَّبِيّ ﷺ في كلامه أن المعجزة لمن يجريها الله على يديه فان له ولاية تكوينية، والفعل يسند بالأصالة إليه لا إلى أجناس أخرى من

المخلوقات وإنما هو نوع من الاستدعاء فقط، مثلا القُرْآنُ له نزولان نزول جملة وهذا لا دور فيه لجبرائيل وإنما الدور فيه لروح القدس، وحتى روح القدس هو شعبة من شعب أرواح المعصومين وهو قوة من قوى ذواتهم، ومن ثم فسر أم الكتاب بعلي بن أبي طالب وما فوق أم الكتاب من الحقائق من النبيﷺ وهذه فوق تنزيل جبرائيل ومنها ينحدر التنزيل ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي اغترف منه جبرائيل فنزّله.

عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال:

«كنت عند أبي الحسن موسى بن جعفرعليه السلام إذ أتاه رجل نصراني فقال: إني أسئلك أصلحك الله فقال: سل، فقال: أخبرني عن كتاب الله الذي أنزل على محمدﷺ ونطق به ثم وصفه بما وصفه فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾[(١)] ما تفسيرها في الباطن ؟ فقال: أما حم فهو محمدﷺ، وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه، وهو منقوص الحروف، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين عليعليه السلام، وأما الليلة ففاطمة (صلوات الله عليها)...»[(٢)].

إذاً الفعل في المعجزة بحسب نص هذا الاحتجاج يسند إلى نفس من أجرى الله على يده المعجزة لا إلى غيره وتميز دون بقية بني جنسه.

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣.

(٢) تفسير نور الثقلين/ للشيخ الحويزي ٤ / ٦٢٣.

## المحور التاسع عشر: المعجزة بين الدعاء والولاية تكوينية:

هناك بحث في المعجزة وهل هي دعاء وإجابة أو هي تصرف على نحو القدرة الذاتية لمن تجري على يديه بمعنى ان له ولاية تكوينية على بعض الاشياء والتحقيقات الأخيرة جعلت الدعاء والاستجابة والتصرف شيء واحد، فمن يقال عنه مستجاب الدعوة نظنه دعاء لفظي،بل هو مقام نفسي فعندما تتوجه النفس للاستفاضة بالطلب من العوالم العليا فاستعدائها يحتم الإفاضة وهذا نوع تصرف فان استجابة الدعاء هو نوع تصرف من الداعي في انجاز ما دعي به، وارتباط روحي من نفس الداعي بذلك المصدر الذي يفاض منه ذلك الفيض.

ومن باب المثال أن آثار الأعمال عندنا فإنها إيجاد تكويني من العمل إلى الأثر ولو بنحو الإعداد فبعض آثار الأعمال تظهر فيما بعد سواء أعمال سيئة أو أعمال حسنة، مثلا صلة الرحم توجب طول العمر وبالعكس، والحسد يوجب غم الإنسان نفسه وكذلك الغضب يوجب التوتر والحلم يوجب السكينة والوقار، وهذه آثار للإعمال، ودعاء المؤمن يستجاب لـــه وهذا نوع تصرف وتأثـير بالتكوين بمعنى قدرة تكوينية، فهذه كلها مراتب للولاية التكوينية،غاية الأمر الاستجابة السريعة يصير لها وضوح أكثر للولاية التكوينية كما في استجابة دعاء الإمام الحسين يوم العاشر من المحرم، وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله إبراهيم شاهد الملكوت فرأى أحوال الناس فشاهد الزناة وغيرهم فدعا عليهم فهلكوا فقال له الله عَزَّ وَجَلَّ يا إبراهيم

أنت مستجاب الدعوة فلا تفعل هذا بشكل كثير وهؤلاء عبادي ولي نظم فيهم فالدعاء يؤثر.

ورد:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ عن سلمان الفارسي قال: «لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فأوحى الله إليه ان يا إبراهيم مهلا فإنك رجل مستجاب لك وإني من عبدي على ثلاث خصال اما أن يتوب قبل الموت فأتوب عليه واما أن أخرج من صلبه ذرية يذكروني وأما ان يتولى فجهنم من ورائه»[١].

غايته استجابة التكوينية لدعاء المؤمن تكون في الآخرة وهذا نحو تصرف، القُرْآنُ يثبت أن الأعمال لها تصرف في الآخرة وأي ولاية تكوينية أكثر من ذلك ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وفي تعبير آخر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٢]، وفي الرواية الدنيا حرث الآخرة.

والتحقيقات الأخيرة تثبت أن استجاب الدعاء ترجع إلى نفس الولاية والتصرف التكويني، لان الولاية التكوينية عموما هي نوع من

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، ج٣، ص٢٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠.

الاستدعاء من المخلوق لان يفيض عليه الخالق قدرة ويكون هو ممر الفيض لها، فمثلا عين الحاسد كيف تؤثر؟، فهل توجد عند الحاسد قدرة بان يسخر جن فيؤثرون في المحسود، ولذلك كثير من الإحراز لدفع العين فيها تهديد أو قلع لآثار الشياطين والجن وفي المحسود، والسحر وان كان في تفسير حقيقته نظريات كثيرة لكن دخالة الجن فيه له سهم كبير،ويمكن التوفيق في تفسير السحر أو الحسد والعين وهو أن هذه الأفعال بقوة من نفس الساحر أو نفس الحاسد يسخر الجن فيجذبهم بالتالي يسيرهم ويسخرهم لإصدار فعله، بالتالي يكونوا هم نوع من المسخرين، أما كيف يتعايش الإنسان مع الشياطين من دون أن يشعر بذلك ؟، فإن القُرْآنُ يشير إلى مثل ذلك قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾[1] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾[2] فهو لا يدري بذلك فيتصور أنها خواطر أو قوى نفسه بينما هو يتحدث مع الشياطين.

إذاً أن معنى كون الإمام مستجاب الدعوة فهذه هي الولاية التكوينية لكن في كثير من الحقائق لها أوجه يفهمها الجمهور بصورة بسيطة أما كنهها فهو مقام الخطير وهو ما يعتقدون به ما إذا كشفته لهم فيكبر في أذهانهم وقلوبهم. فالدعاء له مصاديق عديدة وإلا فالداعي حينما يستجاب له هل لأجل هذه الأصوات أو لأجل التوجه والافتقار والضراعة إلى الساحة الربوبية بل حقيقية الدعاء والصوت نوع من المساعد على ما هو ذكر حقيقي، لذلك حتى الولاية التشريعية فان الكثير ينكرها بصورتها الصريحة

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٢٢.

أما في عناوين أخرى لا يلتفتون مع أنها ولاية تشريعية يقبلونها.

**المحور العشرون: المعجزة سرعة طي الاسباب:**

المعجزة ليست خرق لقانون أو نظام الأسباب وإنما هي سرعة في الأسباب، وبعضهم يفسر المعجزة ويقول ليست المعجزة كلها سرعة طي الأسباب سواء زمانية أو علوية وإنما في قسم كبير منها هو الاطلاع من قبل صاحب المعجزة على أسباب لا يطلع عليها غيره، إذاً المعجزة غير خارجة عن نظام السبب والمسببات بصورته وحقيقته العامة وأبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها الا اننا نجهل كل الاسباب التي حولنا في هذا الوجود ولا نعرف تلك القوانين التي يسير من خلالها نظام العوالم التي اوجدها الله تبارك وتعالى، ولذلك أول من امن بموسى عليه السلام هم السحرة لأنهم اطلعوا أن هذا الأمر ليس من باب السحر لأنهم يعرفون أسباب السحر، كذلك في عصر النبي صلى الله عليه وآله عيسى عليه السلام فأن الاطباء جزموا أن ما يقوم به النبي صلى الله عليه وآله عيسى هو معجزة لأنهم لم يطلعوا على أسباب طبه وإنما هي أسبابا مختصة بصاحب المعجزة.

ولاشك ان البشرية الى الان تجهل الكثير من القوانين التي تسير وفقها حياتنا الدنيا ناهيك عن اطلاعها على قوانين العوالم الاخرى التي لها مساس مباشر او غير مباشر بقوانين هذه النشأة.

الا ان اولياء الله يطلعون عليها بمقدار اعلام الله تعالى لهم ومن ثم

يؤثرون بها ويكون لهم نحو من الهيمنة عليها.

**المحور الواحد والعشرون: المعجزة ليست خاصة بالأنبياءعليهم السلام:**

إنَّ المعجزة في مدرسة أهل البيتعليهم السلام ليست خاصة بالنبوات والرسالة بل تعم الإمامة وحتى بعض السفراء للائمة والدليل على ذلك من القُرْآنُ في سورة البقرة في قصة طالوت يبين الباري بعثة إمامة وليست بعثة نبوة وبعد ذلك يقول ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[1] في إمامته وملكه للأمور، ونفس التابوت هو معجزة من المعاجز عند بني إسرائيل باعتباره يتحرك بسكينة من الملائكة وباعتبار أن فيه ريح لها وجه كوجه البشر، وهذا التابوت كان يقف عند أي بيت من بيوت بني إسرائيل يدل على أن صاحب ذلك البيت نبي أو وصي نبي وكان يحتفظ به ويرثه ذلك النبيصلى الله عليه وآله إلى أن ينتقل إلى من بعد وكانت هذه سنة إلهية في بني إسرائيل.

إذاً في سورة البقرة تدل أن الإمامة بمعجزة فكما أن دلائل الإمامة بالنص كذلك هي بالمعجزة أيضاً، والمهم أن هذه الزاوية يجب أن نلتفت إليها وقد ذكرناها سابقا وهي لابد في المعجز يعجز عنه الثقلين، وكما جاء

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

في القرآن ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠﴾[1] ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١﴾[2] بل لا يستطيعون اختراق قناة الوحي والتشويش عليها، أو الآيات التي تدل على عجز الشياطين والجن عن اختراق قناة الوحي هي آيات مبينة للمتشابه في تلك الآية من سورة الحج ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾[3] وقد فسر العامة بروايات مدسوسة قصة الغرانيق، فهذه الآية متشابه فان الامنية بأي معنى؟؟ فهل المنية بمعنى القلب أو المنية هي المتمني الخارجي بمعنى يأتي ويظل أمته ويحاول أن يعوق مشروع الهداية الإصلاح الذي هو منية وتمنيات الأنبياء والرسل فقوله ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي في مشروعه الذي يتمنى إقامته وانجازه، فالإضلال والغواية وما شابه ذلك، وهذا نظير السامري وما صنعه ببني إسرائيل، فهذه الآية متشابهة تبينها الآيات في السور العديدة التي تدلل على مصونية قناة الوحي عن دخول الشياطين.

## المحور الثاني والعشرون: المعجزة شهادة بالصدق من الله تعالى:

بعدها يقول عليه السلام «بل إنما بعث الله بشرا واظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١١.

(٣) سورة الحج: الآية ٥٢.

بعجزكم عما جاء به انه معجزة وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» فنفس المعجزة شهادة من الله له بالصدق، فاحد تعاريف المعجزة أنها شهادة من الله له، فهذه الشهادة يعني أفعال الله تعالى تعتبر شهادات سواء شهادة بمعنى التحمل أو الحضور في ساحة الحدث للمشاهدة، والشهادة تستعمل بمعنى الأداء أو توثيق الحدث والإدلاء بما حصل في الحدث فهنا «وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» بمعنى الأداء فواضح أن أفعاله تعالى هو كلامه تعالى كما ثبت ذلك في ابحاث عند علماء المعرفة، ومؤدى كلامه هو مؤدى الفعل، فأقدار الله عز وجل للنبي على إتيان المعجز هو تكلم من الله وشهادة منه على صدقه، إذاً في عالم الإمكان لا يمكن الله أحدا بما يعجز عنه الجميع إلاّ أن يكون حظيا عند الله وله قربى وزلفى عند الله، وهذه قاعدة تكوينية ولكن هذا المفاد قد يستغله أصحاب الطاغوت والطغيان والأغبياء أنهم ذوي زلفى عند الله بسبب ترفهم وغنائهم وسطوتهم وهذا خطأ، فان التفضيل في الرزق أو الملك الظاهر شيء والانفراد بقدرة ملكوتية في غير قدرة البشر هي أمر آخر وهي بالطبع لها شهادة في الصدق.

فإذا كانت معجزة خاصة وخارقة لا يستطيعها البشر والجن، وأما إذا لم يكن الأقدار بتلك الدرجة فلا شهادة فيها وإنما هي في خضم وعموم الامتحان الإلهي لمخلوقات ولبني البشر من تمكينهم من أمور كما مكن بعضهم مكن من سلف ومن غبر فليست هي إعجاز أو تحدي أو تفرد وامتياز، ولكن أصحاب منهج التظليل والإغواء ليشرعوا لطغيانهم وجبروتهم وفرعونيتهم يثيروا مثل هذه القاعدة، وهو تمسك مغالطي لا حقيقي.

ورد:

**«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»**[١].

**المحور الثالث والعشرون: الفرق بين المعجزة والكرامة:**

(وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم على أن ذلك ليس في طباع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزا) إذاً المعجز عبارة عن قدرة إلهية خاصة من اللدن الإلهي لا يعطي تلك الصلاحية إلاّ لذوي المهام الإلهية من قبله تعالى، وتكون المعجزة قدرة إلهية ما إذا كانت متفردة ومتميزة لا يستطيع التمكن منها أجناس المخلوقات، أما ما يصنعه العفاريت من طي الأرض وغيره فهذا ليس متفرد، لذلك طي الأرض لا يسمى معجزة وقد يكون كرامة أو غير كرامة، الفرق بين المعجزة والكرامة قد يكون هو أن الكرامة قد يتمكن منها حتى الكافر وتعطاه لأجل ممارسة رياضة أو ما شابه ذلك.

وكما ذكرنا أن المعجزة يأتي بها النبيﷺ في مقام التحدي ولا يضاهيه نظير، لذلك قراءة الضمير لا تعتبر من المعاجز بل كرامات أو آثار

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٤١.

لرياضات معينه، وورد في الحديث القدسي «لأعطين الحكمة من زهد في الدنيا، فأمّا المؤمن فهي حجّة له، وأمّا الكافر فهي حجّة عليه»[(١)].

وبمعنى ذلك أن الحكمة فيها جنبة لقراءة ما وراء المادة أو جنبة ملكوتيه نوعا ما، والنفس لها مفاتيح فمن مارس الارتياض تفتح له تلك المفاتيح لكنها لا تعتبر معاجز، وإنما تعتبر خاصيات وقدرات للروح.

وقد تصدر المعجزة من النبيﷺ أو الوصي لكن لا من باب التحدي فتسمى كرامة، وحسب ما في الروايات أن كل علامة باهرة معجزة وان لم يكن في مقام تجاذب مع الآخرين بل هي من باب الدلالة على النبوة والإمامة.

فاذا صدر العمل الخارق للعادة من عبد اللهّ لم يدع النبوة سمي «كرامة».

ومما ورد كدلاله بان عباد اللهّ الصالحين من غير الانبياء قادرين ايضا على الاتيان بالأعمال الخارقة للعادة قصة انتقال عرش بلقيس ملكة سبا في سرعة خارقه للعادة من اليمن الى فلسطين على يد فرد من اصحاب النبيﷺ سليمان (اصف بن برخيا) وقد اخبر القرآن الكريم بذلك: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[(٢)].

---

(١) الإمامة الإلهية، بحوث الشيخ محمد السند – ج ٣، لـ صادق محمد رضا الساعدي، ص ١٩٤.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٠.

قال العلامة الحلّي في كتاب أنوار الملكوت ما حاصله: (المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي، والتقييد بخارق للعادة ليتميّز المعجز عن غيره، وهذا القيد يُكتفى به عن التقييد بعدم المعارضة ليتميز به عن السحر والشعبذة إذ السحر والشعبذة ليس بخارق للعادة وإن كانت خفية على أكثر الناس. وقيّدنا الخارق للعادة بالاقتران بالتحدي ليتميز المعجز عن الكرامات)[١].

وسأل أبو بصير، الصادقعليه السلام: «لأيّ علّة أعطى الله عز وجل أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: (ليكون دليلاً على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب»[٢].

قال سماحة الشيخ المؤلف (دام ظله):

(فتحصّل مما تقدّم من كلمات الأعلام أن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بها من يدّعي النبوّة أو الإمامة إثباتاً لصدقه، وأن معجزات الأنبياء تتحدّى البشرية على مرَّ العصور إلى يوم القيامة بأن يأتوا بمثلها، فإخراج النبيصلى الله عليه وآله صالحعليه السلام للناقة من الجبل بانشقاقه تعجز البشرية مهما تطوّرت علومهم عن ذلك، وكذلك قلب العصا حيّة تسعى تلتقم سحر وإفك كل

---

(١) أنوار الملكوت في شرح الياقوت/ العلامة الحلّي: ١٨٤.

(٢) البحار ١١: ٧٠، نقلاً عن علل الشرائع، وعيون أخبار الرضاعليه السلام للصدوق.

ساحر من النبيﷺ موسىعليه السلام، وكذلك إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمه والأبرص من النبيﷺ عيسىعليه السلام، وكذلك شقّ القمر والقرآن الخالد لنبينا الأعظمﷺ.

إذاً لا بدَّ من ادّعاء، وأمر خارق للعادة، كي يتحقق معنى المعجزة، ومن هنا يتضح أن كرامات أولياء الله الصالحين لا تسمى معجزةً، لأنهم لا يدّعون لأنفسهم شيئاً، ولو ادعوا ما ليس لهم لما أعطاهم الله تلك الكرامات، وهذه السُنّة من الله تعالى حكمة بالغة كي لا تبطل حججه على عباده، ويتم الاحتجاج عليهم ببعث الرسل وبإقامة الأوصياء خلفاء الرسل )[١].

**المحور الرابع والعشرون: الفرق بين المعجزة والسحر:**

أن من احد الشبهات التي تثار أمام الأنبياء والرسل والأوصياء أن ما أتوا به سحر أو شعوذة أو كهانة أو تصرفات مجهولة، فتمييز الفعل المعجزة قد تعرف بلمعان وعيان لقدرة من قدرات الملكوت العليا، ومن يدرك المعجزة يعاين الملكوت فيها،وهو شبيه القُرْآنُ الكريم فقد (كلمكم الله في كتابه ألاّ تسمعون) فلمن يتدبر ويتمعن في القُرْآنُ الكريم يسمع هاتف الغيب الإلهي،لان فيه لمعان معجزة الباري تعالى فيمكن للإنسان أن يبصرها، فكيف تميز حينئذٍ المعجزة عن الشعبذة، يمكن أن نضفي لها عدة مقومات وشروط، فمن مميزات المعجزة حيث أنها من عالم الملكوت الأعلى

(١) مقال منشور بعنوان: الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة.

وان فيها سكينة ووقار وحكمة ومكرمة وصفاء ونور، بينما الشعبذة والسحر الغرض فيها خبيث وداني وطابعها ليس سكينة ووقار وفيها شطط وظلمانية، وعموما هذه صفات مهمة في التمييز،وحتى الكرامة تشترك مع المعجزة في بعض الصفات أي يوجد قواسم مشتركة بين المعجزة والكرامة تميزها عن الشعبذة والسحر والكهانة، ومن باب المثال فبعض الصالحين لكي يميز الكرامة عن السحر والشعبذة يقرؤون القُرْآنُ أمام من يدعي الكرامة فإذا أبطل مفعوله يفهم منه انه سحر، أو أن بعض الصالحين يمتحن المدعيين للكرامة أن يأتي له بمريض صالح فان سيطرة الجن والسحر عليه صعبة بخلاف إذا كان غير صالح أو صغير السن التأثير عليه سيكون أكثر.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله «وأما قولك ما أنت إلاّ رجل مسحور فكيف أكون كذلك» هذه الشبهة واجهها جل الأنبياء من قبل أممهم ويعنونها ويبديها كل من لا يسلم بالمعجزات فهي من الأمور الشائكة جداً في التميز بينها وبين المعجزة، وقد ذكرنا في بحث سابق أن في القُرْآنُ موردين يذكرهم الله كمعجزة وكفعل رباني خارق مع أن هذا الفعل في بادئ ذي بدء قد يتصور منه انه سحر،المورد الأول ما ذكره الله في سورة الأنفال في ذكر وقعة بدر ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ فما معنى هذا التقليل في العين وكيف يكون؟، وفي ذيل الآية ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ وهذا بحث آخر وهو ما ربط رؤية النبي صلى الله عليه وآله بالحدث خارجا فهذا أمر

عظيم وهو من شؤون النبيﷺ التي تتنزل عليه أو يريها ويقف عليها النبيﷺ وتؤثر على مستقبل أمته نظير ما ورد في روايات المعراج فحالات النبيﷺ تؤثر على مستقبل أمته، وكيفيه ربط هذه الأمور فكأنما هو قائد قوافل نفوس أمته وبحسب الحالات التي تنتابه تنعكس على أمته وللعرفاء اشارات لطيفة في هذا المجال منها ان بعض الاولياء لمجرد نواياهم تأثير على غيرهم.

في موضع آخر من القُرْآنُ الكريم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ يعني أن الله عز وجل ألقى شبه عيسى على يهوذا أو رجل أما من حوارية وأما من عدوه وفي الروايات انه واحد من أنصاره وافق أن يلقى عليه شبه عيسى ويستشهد ويكون معه في الجنة، فان معنى شبه لهم فهذا تصرف في العين وهذا جعل نوع من الإعجاز وفرقه عن السحر، فالسحر تصرف في الإدراك.

وَقَدْ وَرَدَ:

«في الرواية عن الإمام الصادقعليه السلام قال: إن عيسىعليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثني عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال: إن الله أوحى إليّ أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود، فإيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي، فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، فقال: فأنت هوذا، فقال لهم عيسى، أما إن منكم لمن

يكفر بي قبل أن يصبح اثني عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبي الله؟ فقال عيسى: أتحس بذلك في نفسك؟ فلتكن هو. ثم قال لهم عيسى: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال أبو جعفرعليه السلام إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، واخذوا الشاب الذي القي عليه شبح عيسىعليه السلام فقتل وصلب. وكفر الذي قال له عيسى، تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة»[١].

ولو أردنا صياغة التساؤل بشكل آخر ونوسعه فيقال أن عالم المثال في البرزخ وعالم الآخرة وعالم العقل الذي هو عالم تكويني اقوي من عالم المادة، فهذه كلها قائمة الادراكات أي أن هناك الفعل لا يصدر من إعداد سابق مؤثر في المادة كي يصدر الفعل أو كي يتخلق الشيء ويتكون، فتلك العوالم والإدراك هو والإيجاد هو يعني يتعقبه الإيجاد، وهو مثل ما يشرح الباري الحال في الجنة ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني ما أن يشاء أهل الجنة شيء إلاّ ويحصل، ففي تلك العوالم أن نفس الإدراك موجد وفاعل مباشر فهو قائم بالإدراك فكيف يفرق بينه وبين السحر أليس هو تصرف في الإدراك فما هو الفرق بينهما ؟.

---

(١) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج١، ص ٥٦٩.

الفرق مع السحر مع انه تصرف في الإدراك وبين المعجزة التي مر أن احد تعريفها أنها ظهور لمعان قدرة غيبية، فكأنما الغطاء يكشف عن قدرة من قدرات الغيب أي فعل من أفعال العوالم العلوية وهذا احد أجزاء تعريف المعجزة، فإذا كان الفعل من الأفعال العلوية قائم بالإدراك والسحر قائم بالإدراك فما الفرق بينهما؟،

الفرق هو أن السحر يخيل إليهم (سحروا أعين الناس) أي تصرف في خيال الناس ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فان عصيهم ليست تسعى كحيات ولكن (يخيل لهم) فهو تصرف للإدراك غير مستتبع بتصرف في المادة وهذه ضابطة السحر، فالشياطين لهم قدرة في التصرف في المخيلة ولهم قدرة في الارائة بان يحدثوا رؤية خيالية لبني البشر أو لبعضهم البعض في عالم الخيال وليس لها وجود في عالم المادة، وهذا نوع من التكوين لكن ليس في عالم المادة ولا في عوالم علوية وإنما فقط في عوالم المخيلة، وحسب تعبير الفلسفة أن هذا التخيل تكوين ولكن تكوين محدود في أفق عالم محدود وهو عالم الخيال.

وما هو الخيال ؟؟ هو مثال متصل الذي هو قوة من قوى النفس وأما الخيال المنفصل فهو نفس البرزخ سواء الصاعد في طريق الآخرة أو البرزخ النازل الذي هو من عوالم القضاء والقدر الذي منه نشاهد الرؤى المستقبلية إذا كانت صادقة، فهم يتصرفون في الخيال المتصل فقط الذي هو عرض من أعراض النفس، بينما الخيال المنفصل هو عالم جوهري كما في العلوم العقلية.

السحر له آثار تكوينية على المادة ولكن ليس مباشرة ولكن عبر المخيلة المتصلة مثلاً ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يغري بالعداوة بين بين البشر ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] أي إحداث البغضاء والشحناء أو الحب الكاذب فيزين الشيطان لهم المحبة الكاذبة كما في الغناء والطرب والرقص فتزين الأمور على غير ما هي عليه، أو تسوء الأمور على غير ما هي عليه أي اراءة كاذبة.

المهم السحر إنما يؤثر بتوسط المخيلة المتصلة.

نعم يستتبع آثار تكوينية كما تغري بالكلام الزوج على زوجته كما في شياطين الإنس ومثل النمام الذي يفتن ويشحن ويثير البغضاء والحقد والإحن، فأن حديث الشيطانين والجن في روع الإنسان يسبب نفس التأثير ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ فلعل المتكلم ليس قصده سيء لكنها ذات معنيين فالشيطان يوحي إلى الطرف الأخر السامع انه قد أهانك وانتقص منك...الخ، فيجعله ملتهب نارا أو أحياناً يكون بين الزوج والزوجة.

فعلى أي تقدير أن السحر وتخييل الشياطين وان كان في المخيلة ولكن هذا التأثير في المخيلة عندما يستجيب له الإنسان بالتالي يتأثر تكوينا وإلا فهو ليس فعل تكويني مباشرة، فالشياطين ليس لهم تأثير مباشر وإنما

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

عندهم مس الذي بدوره يرجع إلى الإدراك والأعصاب أو الصرع أو التلبس وهذه أمور تؤثر في بدن الإنسان.

فإذا تمادوا في الغي والعدوان قد يصلون به إلى الموت من سكتة قلبية أو دماغية أو قرحة أو نزيف او شلل لبعض الاعضاء، كما ذكر النبي صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام لحجر بن عدي انه سيشترك في دمك شياطين الجن والإنس مع انه قتل في مرج عذراء قريب الشام حيث قتله جنود معاوية، ولكن المقصود أن تأثيرهم على الإنسان عن طريق النفس والخيال لا أنهم في الخارج العيني يكونون شيء بل هذا طريق تأثيرهم.

أما المعجزة التي هي عن طريق الإدراك فتختلف..

فالفرق الأول أن في المعجزة التي هي عن طريق الإدراك أن هذا الإدراك من عوالم علوية وهو أن الإدراك العقلي يوجد الشيء أو طبقات الملكوت توجد الشيء.

والفرق الثاني أن المعجزة أو الكرامة وان كانت قد تتصل بالمخيلة مثل ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ فهذا يرتبط ببعض مناطق الإدراك وهذا الإدراك إذا كان يتعلق بخيال فهو الخيال المنفصل الذي هو البرزخ النازل.

هذا هو مراحل القضاء والقدر وألواح القدر، فان ألواح القضاء القدر هي التي تبني وتؤسس ما يوجد في عالم المادة أو الدنيا، والرؤيا الصادقة في الواقع من ذلك كما بين فلسفيا أن النفوس الكلية هي التي

تفيض على عالم المادة، فالنفس تشاهد في المنام ما ارتسم في النفوس الكلية التي تسمى بألواح القضاء والقدر، هذه النفوس الكلية ما فيها من قضاء وقدر الهي متعدد وما يرتسم فيها هو إرادتها وهي التي تفيض الإيجاد في عالم المادة، لان عالم المادة دائما هو قابل والفاعل هو النفوس الكلية، فما يرتسم في النفوس الكلية هو إدراك لكنه موجد ومفيض في الخارج.

هناك حالات أخرى للمعجزة بعيدة ولا تختلط بالسحر فقد تفسر ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ بهذا التفسير بمعنى حجب الإدراك أي يسمح لكم أن تدركوا كل ما عندهم من عدة وعدد ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فلا يهاب المسلمون الكفار ويزدادوا عزيمة والكفار أيضاً لا يستهينوا بالمسلمين، فهنا لا يوجد تصرف وإنما حجب يزيد من الهمة والعزيمة، مثلا ألآن النجوم البعيدة نراها ألآن صغيرة فهل هذا يجعلها صغيرة والحال أنها ليست صغيرة وإنما بعد المسافة يجعلها صغيرة، أو مثلا النار الجوالة فإذا تديرها ترى حلقة من نار ولكنها نقطة تدور بسرعة، وهذا الخطأ بالدقة ليس خطا في الحس وإنما هو خطا في كيفية تفسير الحس، أو ترى ضفتي الشارع في نهاية الأفق متصلة والحال إنهما غير متصلة وغيرها، والآن اكتشفوا عدسات لا تصور بشكل سطحي وإنما تصور بشكل دائري، وبعض الذين حصل لهم نزع روحي ثم أفاقوا قالوا قد شاهدنا من جسدنا ما لم نشاهده في عمرنا قط ووجدنا كيف هو جمال الجسد الذي يدل على جمال صنع الله، والى ألآن حتى الأجهزة العلمية المسلحة لا تدرك كل جوانب هذا البدن وإنما تدرك بعض الجوانب.

فهناك درجات في الإدراك وفي الحس مختلفة ومتفاوتة ولا يعني ذلك السفسطة أو عدم الحقيقة وإنما في الحقيقة يسمى نسبية إدراك الحقيقة، ومثل حاسة الشم فعند بعض النساء تشم حتى رائحة الهواء، أو أن الكلب يشم على بعد مئات الأمتار أو أن الحيوانات تسمع ذبذبات البرزخ، ولكن تقليلها لا يعني قلب الحقائق وإنما هذا مقدار ما يفاض من الحقائق، وهذا نظير ما صنعه النبيﷺ في موضع من حياته فالنبيﷺ ليلة المبيت لما مر عليهم سكر على إبصارهم فما استطاعوا رؤية النبيﷺ فهنا حجب النبيﷺ عنهم والله قد حجب فيضه عن أن يدركوا، حتى في شبيه النبيﷺ عيسىعليه السلام ففي تعبير الروايات القي عليه شبه عيسى أي في الخارج لا انه تصرف في العين، فالمقصود انه يمكن تصوير التصرف في الحس في المعجزة لكنه ليس بسحر.

والآن مائز آخر «ثم قالﷺ وأما قولك وما أنت إلاّ رجل مسحور فكيف أكون ذا كذلك وقد تعلمون إني في صحة التمييز والعقل فوقكم» فمن شروط صاحب المعجز أن يكون أكمل وأوفر عقلا ممن يحتج عليهم صاحب المعجز فالله لا يعطي المعجز إلاّ لمن يكون أوفر عقلاً وعلماً، فهذه سنة إلهية وتكوينية وحكمة بالغة من الباري وهو أن صاحب المعجزة يكون أوفر علماً وأوفر عقلاً، لأنَّ المعجزة حجة واحتجاج وصاحب الحجة والاحتجاج إنما جعلت له الحجية لكي يهدي ويرشد العباد وإنما وهب له هذا المنصب لكي يكون داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فلابد أن يكون نور العلم والعقل لديه أوفر، وهذا نكتة مهمة في التمييز بين المعجزة وبين غير المعجزة من الشعبذة والسحر وغيرها، وهي أن المعجزة

لابد أن يكون صاحب المعجزة أوفر عقلا وعلما.

وبالمقابل تماما من النكات اللطيفة هو أن الساحر متصرف فيه وأمر طبيعي أن يكون هو مسخر من قبل الجن والشياطين والمسخر من قبل الجن والشياطين بالتالي عنده شطط وعقله فيه جنة وبالتالي لا يسيطر على أفعاله ولا حركاته ولا سلوكه، ولذلك الأنبياء إذا سحروا لا يسحروا في عقولهم وإنما يسحرون في أبدانهم، مثل يقول النبي ﷺ أيوب عليه السلام ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ هذا في البدن، وقد خاطب إبليس رب العالمين ومن العجيب فيه (لعنه الله) مع كل ذلك التمرد نرى انه لا زال عنده نوع من المحاورة مع الساحة الإلهية ولو عبر الملائكة فقال يا رب تباهي بهذا العبد فسلطني عليه فسلطه على بدنه فقط، ومما ذكر في بعض كتب التاريخ أن النبي ﷺ سحر في بدنه أي مس في البدن وهذا كله بإذن من الله، بل أكثر من ذلك فالنبي ﷺ قد يجرح أو يصاب في بدنه وهذا كله بإذن خاص وإلا في الحالة الاعتيادية الشياطين والمردة ليس فقط لا يستطيعون أن يتسلطوا على ابدان الأنبياء بل حتى لا يستطيعون أن يقتربوا منهم لوهج نورهم وقدسيتهم وما يحوم حولهم من الملائكة الحافظين كما يشير إليه القُرْآنُ.

وقد تشاهد الساحر بحالات هلوسة لكي يمكنه أن يتعامل مع الشياطين والجن حتى يؤثر في الغير وبعضهم تصير له حالة رعشة أو اهتزاز روحي أو خوف دائم أو البعض عنده فرح دائم أي انه غير متزن. فبالتالي نعلم

ان صاحب المعجزة الإلهية يقدره الله على كمالات وفضائل أكثر.

وبعد ذلك يقولﷺ «فهل جربتم علي منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية» أي عمل شنيع وهذه صفة عملية فان صاحب المعجزة هو صاحب كمالات علمية وعملية وهو عكس الساحر أو المشعبذ (أو زلة) التي قد تكون خطا فحتى الخطأ لا يرتكب النبيﷺ (أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفها من الرأي» أي رأي غير سديد، والغريب كيف نجد انه تروي بعض المذاهب روايات للخل في حق النبيﷺ او إن بعضهم يستدل من خلالها على عدم عصمة النبيﷺ او انه معصوم فقط في تبليغ الوحي اما باقي حالاته فهو معرض للخل والزلل وغيرها !!.

إذاً احد فوارق المعجزة مع السحر والشعبذة والاحتيال هو أن صاحب المعجزة لابد أن يكون ذاتي المعجزة برهان بينما الشعبذة صورتها صورة قاهرة فقط وان في المعجزة تحدي للآخرين ويعجزون عنها وحقيقتها أنها ليست برهانا، وهذا فارف مهم بين المعجزة والسحر والشعبذة.

**المحور الخامس والعشرون: المعجزة ومراتب القدرة الغيبية:**

هناك أمر منطقي ففي أي دولة بشرية وضعية فان القدرات الخطيرة لا يضطلع بها ولا تمكن إلاّ أمناء السر أي لهم مقام وحظوة خاصة وهذا أمر طبيعي، فكيف بنظام الدولة الإلهي (فلا يطلع الله سره وقدرته) وهذه مقامات مهمة خطيرة إلاّ إلى المفوض إليهم صلاحيات خاصة، مثلا أحياء

الموتى لا يوكله الله تعالى إلى غير ذوي المناصب من قبله تعالى، وعلم الغيب لابد له من مقام ومنصب لمن يوكل اليه، لذلك سر شهادة المعجزة لصدق صاحبها بهذا الاعتبار، كما عبر عليه السلام: «المعجزة شهادة من الله تعالى لصاحب المعجزة بالصدق» وهذا تعريف دقيق، لأنه لا تفوض ولا تعزى ولا توكل إلاّ إلى من له حظوة، إذاً مراتب الملكوت أو مراتب القدرة الغيبية فكلها مراتب، حتى تصل إلى مرتبة يختص بها ذوي المناصب لأنها قدرات لها نحو التصرف في نظام الكون وبالتالي تكون خاصة، ومن الواضح انه من الحكمة بمكان كما في دول البشر ان القدرات والمناصب العالية لا تعزى لأي احد فكلما تزيد القدرة كلما يحتاج إلى صاحب تلك القدرة إلى حكمة وحنكة وتدبير فائق يتناسب مع القدرة، والعقل حينما يحلل هذا المطلب يقرر القدرة الهائلة كيف تعطى إلى من لا يحسن التدبير أو لا يحسن الحكمة في التصرف بمثل هذا المصدر الهائل الخطير، فهناك تناسب طردي يحكم به العقل بين تنامي القدرة وتنامي العلم والحكمة والطهارة والعصمة، بالتالي فان القدرات الإلهية الخاصة تعزى إلى ذوي الطهارة الإلهية الخاصة والحظوة الإلهية الخاصة.

ومن باب المثال أن للشياطين قدرة في الإرعاب والإخافة والبطش ولكن عندما يصل الحال إلى ملائكة النار فان بطشهم حتى الشياطين تخاف منه وإرعاب مالك خازن النار تخافه الشياطين يعني نفس النار كمخلوق من مخلوقات الله، فإن ابليس على مخوفتهِ والعفاريت بقوتهم يتنملون أمام

النار، بل حتى عزرائيل عليه السلام يرعب الشياطين والعفاريت إذاً حتى في جانب البطش الإرعاب والإخافة فانه إذا يشتد يصير بيد من له حظوة إلهية، والجمال كذلك ففي رواية عن حذيفة اليماني كان مع النبي صلى الله عليه وآله ليلة الجن «مسجد الجن ألآن» فان النبي صلى الله عليه وآله خط خطا لحذيفة وقال له لا تقترب بينما هو نور يتوهج صلى الله عليه وآله فاخذ يخوض في الجن ويحل مشاكلهم ويدعوهم إلى الإسلام، بينما حذيفة لو تقدم أنملة ربما يصيبه من قبل المس أو الصرع مع انه من خيرة اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله.

إذاً القدرات حتى في جانب الجمال فانه موجود لأهل الدنيا ولكن حينما يشتد الجمال يصير بيد من عنده حظوات وقدرات إلهية، ففي الروايات لو أن حورية من الحور العين لو تطل على سماء الدنيا لصار كذا وكذا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

«لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض»[١].

وفي بعض الروايات أن الحور العين خلقوا من نور الإمام الحسين عليه السلام ولذلك أن لسيد الشهداء جمال خاص، او ان القلم خلق من نور الحسن عليه السلام، ويذكر في الروايات لو علم زائر للحسين ثواب الزيارة له كذا من الحور

---

(١) الترغيب والترهيب – الصفحة أو الرقم: ٤/ ٣٨٩.

العين.

عن ابن مسعود قال: «دخلت يوما على رسول الله ﷺ وسلم فقلت: يا رسول الله! عليك السلام،أرني الحق لأنظر إليه، فقال: يا عبدالله! الج المخدع، فولجت المخدع وعلى بن أبي طالب يصلي وهو يقول في سجوده وركوعه: اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتى اجتزت برسول الله ﷺ وسلم فرأيته يصلى وهو يقول: اللهم بحق علي عبدك اغفر للخاطئين من امتي.

قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته، وقال: يا ابن مسعود! أكفر بعد إيمان؟ فقلت: حاشا وكلا يا رسول الله، ولكن رأيت عليا يسأل الله بك، ورأيتك تسأل الله بعلي، فلا أعلم أيكما أفضل عند الله عز وجل؟ قال: اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه فقال لي: اعلم أن الله خلقني وعليا من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السموات والأرضين، وأنا والله أجل من السموات و الأرضين، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي بن أبي طالب والله أفضل من العرش والكرسي، و فتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أفضل من اللوح والقلم. وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أفضل من الحور العين. ثم أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة،

فتكلم الله جل جلاله كلمة فخلق منها روحا، ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نورا، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش فزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء ولذلك سميت الزهراء، لأن نورها زهرت به السماوات. يا ابن مسعود ! إذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله لي و لعلي: أدخلا الجنة من شئتما، وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله تعالى: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد، فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من جحد بولاية علي بن أبي طالب وعترته، والجنة لشيعته ولمحبيه»[1].

وعلى أي تقدير فتلك القاعدة مطردة سواء كان جانب الجلال أو جانب الجمال إذا اشتدت تكون ليس بيد البشر بل بيد من له حظوة عند اللدن الإلهي، وان المعجزة قد تكون جلاليه أي فيها بطش أو تكون جمالية.

## المحور السادس والعشرون: الفرق بين المعجزة والقدرات الغريبة:

من زاوية أخرى كل المعاجز تتوقف على بيان علمي، ومن ثم يوجد جملة من القدرات الروحية لكثير من عامة الناس حتى ان الذين ليس لديهم اطلاع أو تنقيب يتوهمون من القدرات الغريبة أنها معجزة والحال أنها ليست معجزة، مثل قراءة الضمير فإنها ليست بمعجزة وتوجد رواية عمن كان معاصر للإمام الصادق لم يكن مسلما وكان يقرا الضمير فسأله

---

(١) ورد في الانوار النعمانية – ج ١ ص ٢٠.

الإمام الصادق مع ان الامام يعرف وأراد أن يهديه فقال له ممن ذلك؟، قال لأني أخالف هوى نفسي، فقال له الإمام اعرض الإسلام على نفسك هل يطابق هواك فقال لا، فقال فخالف هواك فاسلم، روي:

«أنه جاء في عهد الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام شخص من بلاد الهند بحيث كان يخبر عن كل ما خبئ في اليد، فذكر ذلك للإمامعليه السلام فطلبهعليه السلام وخبأ شيئا في يده وسأل ذلك الهندي عما في يده ففكر ثم أجاب فكان الجواب صحيحاً، فقال له الإمامعليه السلام حدثت والآن سأضع في يد شيئا آخر فمد الإمامعليه السلام يده المباركة خارج المنزل ثم في لمحة أدخل يده وقال له: الآن قل لي ماذا في يدي ؟ ففكر الرجل كثيراً ثم قال: قد جلت في هذه الساعة كل الدنيا وقد رأيت كل شيء في مكانه إلا أنه في جزيرة من جزر الهند فقدت بيضة من قن الدجاج الفلاني، ففتح الإمامعليه السلام يده وقال له: صدقت ثم قال له: قل لي كيف وصلت إلى هذه المرتبة ؟ فقال الرجل: كنت أخالف كل ما كانت تطلبه نفسي حتى وصلت إلى هذه المرتبة، فقال الإمامعليه السلام: وماذا تطلب نفسك هل تطلب الكفر أم الإسلام ؟ فقال: نفسي ترغب الكفر: فقال له الإمامعليه السلام إذن خالف هواك، فاسلم ذلك الرجل ثم سأله الإمامعليه السلام: هل ينكشف لك الآن شيء أم لا ؟ فتأمل ذلك الشخص وقال له إني لا أرى شيئاً، فقال له الإمامعليه السلام: صدقت وذلك لأنك عندما كنت كافراً كنت تعطى لما كنت تبذله من رياضات الأجر عليه، أما الآن وقد صرت مسلماً فقد سدت عليك أبواب المكاشفات ،

فاشتغل الآن بالعبادات الشرعية لعل الله يعطيك مرتبة أرفع وستعطى أيضاً بالآخرة».

وعلى أي تقدير من يعرض عن الدنيا فيجعل صفحة وجه قلبه صوب إلى الآخرة وان لم يطع الله يعطيه الله الحكمة وبالتالي هو يسافر ويهاجر روحا عن دار إلى حواف الملكوت ومن ثم يعطى الحكمة، وفي تعبير للإمام الصدق إني أنزلت الدنيا عندي بمنزلة الميتة فكأني كالراكب لا ينزل من مركوبه ويتناول منها إلاّ بمقدار الضرورة.

فقد روي عن الإمام الصادقعليه السلام، قال: «يا حفص !.. ما أنزلت الدنيا من نفسي إلا بمنزلة الميتة إذا اضطررتُ إليها أكلت منها»[١].

وينقل عن البهلول كان قليل الأكل كثيرا فقالوا له ماذا ؟، فقال لمَ أكون مصنعا لتوليد النجاسات.

المقصود كثير من عامة الناس يظنون أن بعض الطاقات والقدرات الروحية هي معاجز، كلا أنها ليست من المعاجز، فان القُرْآنُ يحدثنا عن عفريت يستطيع أن يطوي الأرض في مدة قليلة خلال ساعة أو اقل ويحمل شيء ثقيل من اليمن إلى بيت المقدس، ولذلك الكثير من المرتاضين لهم قدرة طي الأرض، ويقال أن الشيخ البهائي كان يلاحق شخص مرتاض وساحر كان يلاحقه بطي الأرض، أو في بعض التعابير حول أصحاب

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ - الصفحة ٢٧.

الإمام عجل الله فرجه عندما يمتحنهم الإمام في مسجد الكوفة في امتحان يتعصون في الاستجابة فيدورون الأرض يعني يطوون الأرض، ولذلك الإنسان في حين هو مؤمن ومتقي عنده قدرات روحية معينة وقد يرتكب معصية وقد لا تسلب عنه تلك القدرات الروحية وهذا لا يعني انه في بحبوحة من طاعة الله، لان عنده ملكات نورانية ولا يعني ذلك انه لا توجد معصية، وعلى آية حال أن تركيبة نفس الإنسان عجيبة وطاقاتها المكنونة اكثر من مدهشة، وهناك طي للسمع وهناك طي للبصر وهناك طي للعوالم، مثلا في رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام كان بمقدار صعوده الفرس ونزوله من الجهة الأخرى كان يقرأ القُرْآنُ كله.

إذاً هذه القدرات الروحية كلها لا تعني العصمة والحجية كما لا تعني انه مقيم على الطاعة،فانه قد أعطي له نتيجة عمل معين والله يقول ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ وهذا جزاء عمل لكن عمله الأخر قد لا يسبب سلبه له ومع ذلك لا يعني انه في بحبوحة، إذاً ميزان استقامة العمل هو الكتاب والسنة، أما مثل هذه الشواهد أو المشاهد أو الكواشف ليست هي المدار، كما هو الحال في إبليس فان لدية من النفوذ في بني البشر انما هو جزاء السجدة التي سجدها لالاف السنين مع أن هذا العمل صورته حسنه ولكن باطنه عفن لأنه فيه طمع وتكبر ورياء وهذا من عدل الله حتى الصورة الحسنة يجازي بها وهذا يدلل أن العبادات لها شرف ذاتي حتى لو كانت بصورة حسنة وباطنها خاوي مع ذلك لها

حسن، «لأعطين الحكمة لمن زهد في الدنيا ولو كان كافراً»، فهذا ليس بالأمر السهل فمع انه غارق بالمعاصي فان وجود الكفر لم يسلب هذا التمكين، وهذه المباحث مغفول عنها عند عموم الناس بل حتى الخواص يصير دونها استدراج أو استغفال.

إبليس لم يسلب هذه الحبوة جزاءا لذلك العمل، فعدم السلب ليس دليل انه مقيم على الطاعة، لذلك على الإنسان أن يحذر من نفسه الاستدراج فان اخطر شيء الاستدراج الإلهي، فيعطيك جزاء ما سبق مع ذلك أنت مستدرج، ولذلك ورد في الروايات من عصى معصية ولم تسلب منه النعمة فليعلم انه مستدرج، فقد لا تصيبه الحوبة فانها اخطر، لان الحليم هو الجبار فإذا حلم فهو من الاستدراج.

**المحور السابع والعشرون: تميز المعجزة عن الاعمال الصعبة:**

«قال لو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم على أن ذلك ليس في طبائع سائر من أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معزا إلاّ ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لان لها أجناس يقع منها مثل طيرانها ولو أن ادميا طار كان ذلك معجزا فالله عز وجل سهل عليكم الأمر وجعله بحيث تقوم عليكم حجته وانتم تقترحون عمل الصعبة الذي لا حجة فيه».

هنا يبين نكتة أخرى أن كثير يختلط عليهم الأمر في الأعمال الصعبة

يحسبونها خارقة للعادة ومعجزة وهي ليست معجزة، إنما من العمل الصعب الذي لا حجة فيه ولا يمثل أي شهادة من الله تعالى فيه، وهو نفس ما اقترحوه من أن يكون رجل من القريتين عظيم أو يكون له كنوز أو جنتين، ولنفرض أنها أمر صعب لكن ليست هي معجزة وإعجاز، وان كلامه صلى الله عليه وآله بمجيء الملائكة انه ربما حتى من يشاهد الملائكة هذا لا يدل على إعجاز خاص أو توصيل خاص أو خطاب خاص من الله لذلك الشخص، فقد يظهر الملك لا من باب الرسالة والرسول بل من باب المشاهدة.

بعبارة أخرى حتى الأنبياء احد مناشئ علمهم بأنهم أنبياء وان ما يرسل إليهم من الملائكة رسول من الله بإنبائهم هو أقدار الله لأولئك الأنبياء بمعاجز ليست من فعل الملائكة ولا من فعل البشر فهذه شهادة من الله لصاحب المعجزة بالإنباء وان له مهمة إلهية يقوم بها ورسالة يؤديها، وإلا صرف مجيء الملك لا يعني انه وحي.

قد نجد بعض الخروقات حتى في أنواع من الأحجار الكريمة أن من خصائصها مثلاً أن تخفي من يحملها أو تمنع صاحبها من أن تناله الرصاصة التي تطلق، وقد جرب ذلك بعضهم على حيوان (ديك) وقد رأى ان ذلك الحيوان يرفع بسرعة هائلة عند انطلاق الرصاصة. ولكن كل هذه ليست معجزات والسذج من الناس تنطلي عليهم هذه الخروقات.

وحتى الأعمال الصعبة التي يعجز اغلب الناس عنها فان حجج الله

يؤتون بها ان استلزم الامر ذلك ومنها ما روي عن قضية رمي السهام التي قام بها الامام الباقر عليه السلام في مجلس الخليفة هشام حينما استدعي الامام الباقر ومعه ولده الصادق للشام في تلك الرحلة الشهيرة.

فقد قام الامام بعمل من اصعب الاعمال ومما يعجز عن اتيانه اهل الاختصاص به

روي عن الصادق عليه السلام في رواية طويلة نأخذ منها موضع الحاجة:

«فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه، فأشخصنا إليه فلما وردنا دمشق حجبنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سماطين متسلحين، وقد نصب البرجاس (هدف الرمي) حذاءه وأشياخ قومه يرمون. فلما دخل أبي وأنا خلفه، ما زال يستدنينا منه حتى حاذيناه وجلسنا قليلاً فقال لأبي: يا أبا جعفر لو رميت مع أشياخ قومك الغرض؟ وإنما أراد أن يضحك بأبي ظناً منه أنه يقصر فلا يصيب الغرض لكبر سنه فيشتفي منه! فاعتذر أبي وقال: إني قد كبرت فإن رأيتَ أن تعفيني، فلم يقبل وقال: لا والذي أعزنا بدينه ونبيه، ثم أومأ إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك، فتناولها منه أبي وتناول منه الكنانة فوضع سهماً في كبد القوس فرمي وسط الغرض فأثبته فيه ثم رمى الثاني فشق فوق السهم الأول إلى نصله، ثم تابع حتى شق تسعة أسهم، فصار بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر فأنت أرمى العرب والعجم! زعمت أنك قد كبرت، كلا! ثم ندم على

مقالته وتكنيته له، وكان من تكبره لا يكني أحداً في خلافته ! فأطرق إطراقه يرتئي فيه رأياً، وأبي واقف إزاءه ومواجه له وأنا وراء أبي، فلما طال الوقوف غضب أبي وكان إذا نظر السماء نظر غضبان يتبين الغضب في وجهه ! فلما نظر هشام ذلك من أبي قال: اصعد يا محمد فصعد أبي السرير وصعدت، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، وأقبل على أبي بوجهه وقال: يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك ولله درك، من علمك هذا الرمي وفي كم تعلمته؟! فقال أبي: قد علمتَ أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي ثم تركته، فلما أراد أمير المؤمنين مني ذلك عدت إليه، فقال: ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت، وما ظننت أن أحداً في أهل الأرض يرمي مثل هذا ! فأين رمي جعفر من رميك؟

فقال: إنا نتوارث الكمال والتمام والدين اللذين أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. والأرض لا تخلو ممن يُكمِّل دينَه من هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا، فكان ذلك علامة ! فلما سمع ذلك انقلبت عينه اليمنى فاحْوَلَّتْ واحْمَرَّ وجهه، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ... الى اخر الرواية»[١].

فحتى الكمالات الجسمانية والاختصاصات الثانوية اتاها الله تعالى لهم حتى لا يعلو عليهم احد في اي جانب من الجوانب.

---

(١) والأمان من أخطار الأسفار للسيد ابن طاووس/ ٦٦؛ ومدينة المعاجز: ٥/ ٦٦، والبحار: ٤٦/ ٣١٣.

## المحور الثامن والعشرون: المعجزة هوية

### إثبات بشهادة الهية:

وعلى أي تقدير من هذا الجانب يقدر صاحب المعجزة على ما لم يقدر عليه غيره، إذاً شان المعجزة وكنهها هو أعظم من اثر المعجزة لان أثرها هو تصديق الآخرين، فكنه المعجزة وحقيقتها أنها من قدرات الغيب التي لا يمكنها الله عز وجل إلاّ لذوي المنصب الخاص من حججه، فتكون شهادة وتكلم من الله لصاحب المعجزة ولغيره، ومن ثم معاجز الأنبياء قصرت عنها الحكماء والعرفاء فمهما بلغوا لا يمكّن اوحديهم من المعجزة، فهذا خط احمر لا يتجاوزه احد.

فبالنتيجة من لديه هذه الهوية وهي دخول اعمق للمنطقة الربوبية فإذا دخل تلك المنطقة فتلك تعطي هوية خاصه وهي المعجزة وإذا لم يدخل المنطقة الربوبية فهذا مجرد ادعاء فمهما قال الإنسان إني صالح أو تقي فلابد من إثبات لصاحب هذا المنصب من الله وهذه من اثارها المعجزة فمهما ادعى من خروقات فهي ليست معاجز وإنما هي أما تصب في رياضات أو كرامات أو غيرها، وربما حتى صاحب الكرامة يشط عن الطريق فيحسب أن هذه الكرامة معجزة، فهذه ليست هوية إثبات بل المعجزة هي هوية الإثبات.

يقول ﷺ «بل إنما بعث الله بشرا واظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم

عما جاء به انه معجزة وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» فنفس المعجزة شهادة من الله له بالصدق، فاحد تعاريف المعجزة أنها شهادة من الله للمرسل من قبله تعالى، فهذه الشهادة يعني أفعال الله تعالى تعتبر شهادات سواء شهادة بمعنى التحمل أو الحضور في ساحة الحدث للمشاهدة، والشهادة تستعمل بمعنى الأداء أو توثيق الحدث والإدلاء بما حصل في الحدث فهنا «وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» بمعنى الأداء اما كيف يبين الباري تعالى فواضح أن أفعاله تعالى هو كلامه تعالى، ومؤدى كلامه هو مؤدى الفعل، فأقدار الله عَزَّ وَجَلَّ للنبي على إتيان المعجز هو تكلم من الله وشهادة منه على صدقه، إذاً في عالم الإمكان لا يمكن الله أحدا بما يعجز عنه الجميع إلاّ أن يكون حظيا عند الله وله قربى وزلفى عند الله، وهذه القاعدة تكوينية.

قلتا سابقا ان هذا المفاد قد يستغله أصحاب الطاغوت والطغيان والأغبياء أنهم ذوي زلفى عند الله بسبب ترفهم وغنائهم وسطوتهم وهذا خطا، فان التفضيل في الرزق أو الملك الظاهر شيء والانفراد بقدرة في غير قدرة البشر هي أمر آخر فان تلك الحال لها شهادة في الصدق، فإذا كانت معجزة خاصة خارقة لا يستطيعها البشر والجن، وأما إذا لم يكن الأقدار بتلك الدرجة فلا شهادة فيها وإنما هي في خضم وعموم الامتحان الإلهي للمخلوقات ولبني البشر من تمكينهم من أمور كما مكن بعضهم من سلف ومن غبر فليست هي إعجاز أو تحدي أو تفرد وامتياز، ولكن أصحاب

منهج التظليل والإغواء ليشرعوا لطغيانهم وجبروتهم وفرعنتهم يسوقون مثل هذه القاعدة، وهو تمسك مغالطي لا حقيقي.

«وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم على أن ذلك ليس في طباع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزا» إذاً المعجز عبارة عن قدرة إلهية خاصة من اللدن الإلهي لا يعطي تلك الصلاحية إلاّ لذوي المهام الإلهية من قبله تعالى، وتكون المعجزة قدرة إلهية ما إذا كانت متفردة ومتميزة لا يستطيع التمكن منها أجناس المخلوقات، أما ما يصنعه العفاريت من طي الأرض وغير فهذا ليس تفرد، لذلك طي الأرض لا يسمى معجزة وقد يكون كرامة أو غير كرامة، وقد اوضحنا الفرق بين المعجزة والكرامة قد يكون هو أن الكرامة قد يتمكن منها حتى الكافر وتعطاه لأجل ممارسة رياضة أو ما شابه ذلك.

**المحور التاسع والعشرون: كنه المعجزة أعظم من اثرها:**

ان شان المعجزة وكنهها هو أعظم من اثر المعجزة لان أثرها هو تصديق الآخرين، فكنه المعجزة وحقيقتها أنها من قدرات الغيب التي لا يمكنها الله عز وجل إلاّ لذوي المنصب الخاص من حججه، فتكون شهادة وتكلم من الله لصاحب المعجزة بالصدق ولغيره بالهداية، ومن ثم معاجز الأنبياء قصرت عنها الحكماء والعرفاء فمهما بلغوا لا يمكّن احدهم من المعجزة، فهذا خط احمر لا يتجاوزه احد. ولا ينالها الا من لديه هذه الهوية

وهي دخول المنطقة الربوبية فإذا دخلت تلك المنطقة فممكن لك ان تؤتى المعجزة وإذا لم تدخل المنطقة الربوبية فهذا مجرد ادعاء فمهما قال الإنسان إني صالح أو تقي فلابد من إثبات لصاحب هذا المنصب من الله وهي عبر المعجزة ، ومهما ادعى من خروقات فهي ليست معاجز وإنما هي أما تصب في رياضات أو كرامات أو غيرها، وربما حتى صاحب الكرامة يشط عن الطريق فيحسب أن هذه الكرامة معجزة، فهذه ليست هوية إثبات بل المعجزة هي هوية الإثبات.

أن من احد الأمور المهمة التي كان يمتحن فيها الأئمة غير معرفتهم بما في الضمير وغيره من الاعجازات، وهو العلم بكل المسائل المرتبطة بالدين، سيما انه قد كان في الطائفة رعيل من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ومن خواص أهل البيت عليهم السلام لا يكتفون بامتحان الإمام في بادئ الأمر بل إلى آخر حياته سلوكا وخلقا ونجدة ونجابة واكرومة وفهما وعلما وحلما ...الخ، وان من احد بيانات الرسول صلى الله عليه وآله التي بينها سابقا حينما أشكل عليه بأنه لابد للرسول من قصور وخدم وجنات، فأجاب النبي صلى الله عليه وآله بان هذا خلاف وظيفة الرسول فان وظيفة الرسول هو أن يباشر الناس ويؤدي الرسالة ويطلعوا عليه وعادة الحجاب يمنعون ذلك فبالتالي يعلم به الناس.

**المحور الثلاثون: المعجزة العلمية أبلغ من المعجزة المادية:**

هناك امر اخر ركز عليه المتكلمون والفلاسفة وهو أن المعجزة

العلمية ابلغ من المعجزة المادية، فالمعجزة المادية هي معجزة ودلائل وبرهان وبيان ولكنها دلائل وبرهان للذين يقصرون نظرتهم على الأسباب المادية والفيزيائية، وأما ذوي اللب في الحقيقة إنما يجذبهم جانب العلم والحكمة، لان المعجزة العلمية في الحقيقة تتضمن لبيان قدرة أوسع من القدرة المادية، فالقدرة المادية إنما ينالها الحس بمعونة العقل والحس لوحده لا يستبين المعجزة المادية، لكن محدودية قدرة المعجزة المادية هي المادة أما محدودية أو حدود ودائرة المعجزة العلمية أوسع من ذلك بل هي تمتد بحسب العوالم كعالم الآخرة والعوالم الأخرى بل حتى في عالم الربوبية،فالمعجزة العلمية ابلغ بيانا للقدرة الإلهية من المعجزة المادية لذوي اللب والحكمة عكس الماديين أو عكس ضئيلي العلم والحكمة، لأنهم مسجونون في المادة والحس ، أي نطاق إدراكهم للعوالم مقتصر على الحس ويجهلون ما وراء الحس، فهم مثلا الميزان لديهم في مقام المادة فقط، وهذه المطلب للأسف الحضارة الغربية برمتها قائمة عليه إلاّ القليل من التيارات الفلسفية الغربية اللاهوتية، وهو أن الدلائل والإثبات قائم على العنصر التكنولوجي والمادة، والتنظير والثقافات والبيانات الايدلوجية هذه كلها سراب عندهم وفي الحقيقة ان نظرتهم هذه تعبر عن ألوان براقة عصرية بثياب جديدة وإلا هي نفس فكرة الجاهلية.

والحال أن مثل هذا الأساس إذا ابتنت عليه النظرة الفلسفية الغربية المادية أو الفلسفية الحقوقية لديهم أو القانونية هو في الواقع مبنية على جهل

جهيل،لان القدرة المادية محدودة،بينما القدرة في العوالم الأخرى غير محدودة، والبرهان والبيان والإعجاز غير المادي هو بيان خالد دائما، أي لا يضيق بقصر عمر الدنيا، ومن ثم هو ثابت على عكس البيان المادي، ومن باب المثال القران الكريم بما فيه من علوم وبيانات علمية لا زال حي حاضر، أما مثلا ناقة صالح أو عصى موسى وإحياء الموتى للنبي عيسى وغيرها، فتلك نراها في وقتها وان كانت المعجزة المادية يتحدى بها الله بها البشر إلى يوم القيامة وهذا من نكات المعجزة المادية، ولكن وقعها وظرفها متصرم، لان ظرف الإعجاز هو خروج الناقة مثلا من الجبل، وهذا بخلاف القران الكريم الذي هو معجزة علمية تستمر لكل زمان وتحل في كل مكان . ومثلا الإسلام لا زال يثبت نتائجه الاعجازية من حرمة الربا والاحتكار وحرمة المعاملة الخاوية الباطلة.

أما ألآن الكثير في اللاشعور ثبوت الفكر على معطيات مادية يتأثر بها الإنسان في تصويب الصواب وتحقيق الحق بدلا عن أن يكون على أسس علمية خارجة عن نطاق المادة، وهذا آفة خطرة من النزعة الحسية في مقابل النزعة العلمية والعقلية، وَلاُبُدَّ من دوام الانتباه والالتفات إليها وهي نوع من التوصية المنطقية وهو أن الإنسان لا تتجاذبه النزعة الحسية والنزعات الحسية والمواد والاستدلالات الحسية فإنها ليست تمام الحقيقة.

قد ذكرنا سابقا أن الكرامات لا تصل في مبلغها مبلغ المعاجز، وبعبارة أخرى يوجد نوع من المعاجز لا تعطى ككرامات، لان الأولياء

ليس مبلغهم من الكرامات كمبلغ أصحاب الحجج الإلهية فأولئك يزودون بشيء أنفس وأقوى وأكرم واشرف. نعم في بعض الكرامات قد تكون كرامة وقد تكون معجزة حسب حال التحدي، وقد ذكرنا في الدورة الأربعينية فانه يوجد علامة أعظم من الصيحة أو السفياني أو الخراساني، فالمعجزة العلمية عند ذوي الألباب أعظم من المعجزة العملية.

مثلا من ضروريات الدين وسنة النبي ﷺ ومنهاج الأوصياء فهذه الضروريات لاستكشاف إمامة العدل وتمييزها عن المدعين والكذابين فهذه اكبر في البصيرة والنفاذ اكبر حتى من صيحة السماء لوجوه عديدة ذكرناها، لان العلم شيء آخر ولأنه بالعلم صارت الصيحة معجزة، فأعظم علامة لإمامة أهل البيت عن العلماء هي «اشهد انك جاهدت في الله حق جهاده وعملت بكتابة واتبعت سنن نبيه» فلا يستطيع أمام الجور أن يكون كل عمله بكتاب الله وان يتبع كل سيرته بسنة الرسول فلابد أن يتخذ شعار الغاية تبرر الوسيلة أو المصالح أو سد الذرائع وبالتالي لا يتبع سنة النبي ﷺ، وهذا من إعجاز نسيج الدين انه لا يمكن أن يسير بسيرة الكتاب والسنة إلاّ المعصوم، وان من أهم أوسمة علي بن أبي طالب «واتبعت سنن نبيه» والبعض يتصورها سهلة ولكن هذا امنع ما يكون، ولذلك علماء الأمامية في بيان باطل أئمة الجور يذكرون مخالفاتهم لسنن النبي ﷺ وكتاب الله ويشيرون الى مخالفات فلان مع كتاب الله وسنن النبي ﷺ، فهذه الملفات كلها شواهد على تساقط تلك العناوين مقابل صدق إمامة أهل البيت عليهم السلام بخلاف أئمة أهل الجور، وهذا هومعنى كون

الضروريات ميزان ومحك ومحكم يميز به الحق من الباطل عبر كتاب الله وسنة النبي، فتكون الآية العلمية أعظم من الآية العملية.

**المحور الحادي والثلاثون: نفس صاحب المعجزة :**

قلنا فيما سبق في تبيان معنى المعجزة ان من ابرز معانيها هو الطاعة من المخلوقات الأخرى لصاحب المعجزة ونوع نافذية قدرة صاحب المعجزة في الموضوع الذي تتحقق فيه المعجزة نفسها.

وبرهان ذلك في القران فان هناك أقوال في علم الكلام حول ماهيه و حقيقة المعجزة فهل هي استجابة الدعاء أو القدرة والولاية التكوينية، والتفسير الفلسفي لاستجابة الدعاء عند ابن سينا هو في الواقع قدرة، وهو كون النفس البشرية بنحو ترتبط بالنفس الكلية فتؤثر، ومثلا يقولون فلان المتقي صاحب اليقين مستجاب الدعوة وهناك مستجاب الدعوات وهناك مستجاب الدعوة بنحو غالب او دائم كالأنبياء، ويشرح ابن سينا ذلك بقوله أن نفس هذا الشخص متصلة بالنفس الكلية فعندما تطلب وترغب أو تريد فيكون من إرادة للنفس الكلية الذي قد يكون هو ملك عظيم مثلاً.

إذاً مقام نفس من النفوس البشرية وان يكون مستجاب الدعوة ينبئ أن النفس تصل إلى مقامات متصلة مع النفس الكلية بحيث إرادتك تسخر إرادة ذلك الملك بأقدار من الله، ولذلك ابن سينا يرد على المتفلسفة من

قولهم أن استجابة الدعوة هي خرافة، ويقول أن هؤلاء لا يفهمون من الفلسفة شيء وإنما هي حقائق ثابته، واتفاقا ابن سينا حتى بحث التوسل تعرض له في الشفاء وأيضا في الإشارات، أما الذين يحكمون بالخرافية فهؤلاء عالة على الفلسفة وليسوا فلاسفة.

وإنما التفسير الفلسفي أو الرياضي أو الروحي بهذا اللحاظ وهو انه اعداد للروح لان طاقاتها جبارة، فالروح تستطيع أن ترتبط أو تعرج فهو يهيئ الروح لذلك الذكر اللساني ويشدد من الذكر القلبي والذكر القلبي يشدد من العروج الروحي، ومن باب المثال هناك رواية في (الخرائج والجرائح):

«عن الرضا، عن ابيه عليهما السلام: ان رجلا وشى إلى المنصور ان جعفر ابن محمد عليه السلام يأخذ البيعة لنفسه على الناس ليخرج عليهم فاحضره المنصور، فقال الصادق عليه السلام: ما فعلت شيئا من ذلك، فقال المنصور لحاجبه: حلف هذا الرجل على ما حكاه عن هذا ـ يعني: الصادق عليه السلام ـ فقال الحاجب: قل والله الذي لا اله الا هو ـ وجعل يغلظ عليه اليمين ـ فقال الصادق عليه السلام: لا تحلّفه هكذا، فاني سمعت أبي يذكر عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: ان من الناس من يحلف بالله كاذبا فيعظم الله في يمينه، ويصفه بصفاته الحسنى فيأتي تعظيمه لله على اثم كذبه ويمينه، ولكن دعني احلفه باليمين التي حدثني أبي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه لا يحلف بها حالف الا باء بإثمه، فقال المنصور: فحلفه إذاً يا جعفر، فقال الصادق عليه السلام للرجل: قل: ان كنت كاذبا

عليك فبرئت من حول الله وقوته، ولجأت إلى حولي وقوتي، فقالها الرجل، فقال الصادقعليه السلام: اللهم ان كان كاذبا فأمته، فما استتم كلامه حتى سقط الرجل ميتا، واحتمل، ومضى به. الحديث».

## المحور الثاني والثلاثون: طواعية الملائكة لأصحاب منصب خليفة الله:

لسنا قد اقتصرنا على البيان الكلامي في حقيقة المعجزة التي هي مبحث من مباحث النبوة، فهناك بيان قراني على أن المعاجز كلها بقدرة من صاحب المعجزة الذي يوليه الله هذا المنصب، والبيان القراني هو « إني جاعل في الأرض خليفة » وفي سبع سور تبين الآيات أن الذي يجعل له منصب الخليفة فان من مراسم ومستلزمات هذا المنصب أن يطوع الله له ويقيد الله جميع ملائكة الدنيا والآخرة والسموات والأرض والرياح وخازن الجنان والنيران ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] ففي سبع سور فيها اطواع جميع فرق وأقسام الملائكة إلى منصب خليفة الله وان علمه يفوق علم الملائكة وهو معلم الملائكة وفي القران الكريم أن جملة عالم الدنيا والطبيعة هي مطواعة وتحت قدرة الملائكة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٠.

فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾[(١)] وبضم المقدمات مع بعضها نستنتج أن خليفة الله الذي يعطيه الله معجز لإثبات منصبه يصدر المعجزة بأطواع الله تلك الموجودات له.

## المحور الثالث والثلاثون: مجرد التمكين واستجابة الدعاء لا تدلان على الفضل عند الله:

نكتة لطيفة في الفرق بين المعجزة والشعبذة والدجل والسحر، وهو ربما يعرف أن الطرف الأخر هو مبطل ومشعوذ لكنه يتمتم باسم من أسماء الله الذي له بعض الآثار، ولكن لا يدل ذلك على انه محق، فهذه النكات قد تلتبس على عامة الناس ولكن دون أولياء الله والعلماء الراسخون اذ المفروض توفرهم على بصيرة في التمييز. إذ مع كون هذا من أهل النار الا انه لأجل أن الباري عادل ولا يجور فأي مثقال ذرة من العمل قبل أن يدخله النار يكافئه به بالرغم من انه باطل كعمل، ولذا نجد إبليس قد استغل استجابة الدعاء من الله لأجل إضلال البشر والإيغال أكثر ومع ذلك مكنه الله من ذلك امعانا في الاختبار للعباد[(٢)].

فهذه القدرات الملكوتية لإبليس لا تعني أن إبليس محق الا اننا نلاحظ ان عباد إبليس انطلت عليهم الشبهة من جهه القدرات الملكوتية،

---

(١) سورة النازعات: الآية ١ ـ ٥.

(٢) فليراجع القارئ الكريم خطبة أمير المؤمنين في ذم إبليس على استكباره ـ نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد.

وتمكين الله له وان كان فتنة وامتحان الا انه تعالى في قبال ذلك أعطانا قدرة التمييز لذلك، إذاً صرف التمكين والقدرة هذا لا يعني عن ذلك الطرف محق، فمع انه مستجاب الدعوة ولكن لا يدل على انه محق ولكن استجاب دعوته في دار الدنيا، وهذه قد تختلط على الناس فقد تجد إنسان مبطل ذو خلق نبيل فالله يستجيب له من هذه الجهة جزاء له في دار الدنيا.

يكفي اننا لا ندرك مظاهر عدله تعالى وتدبيره لشؤون العباد البر منهم والفاجر.

## المحور الرابع والثلاثون: المعجزة متقومه بالتوسل:

«ثم قال رسول الله ﷺ «وأسألك أيها الجبل أمرك الله بطاعتي» وهي القدرة والإئتمار «فيما التمسه منك بجاه محمد واله الطيبين» وهذا توسل بمعنى أن المعجزة متقومه بالتوسل، وهذا البيان يرجع إلى نفس البيان الذي يشار إليه في باب التوسل وان التوسل يرجع إلى الوساطة في الفيض والى سلسلة مراتب الوساطة في الفيض والإفاضة، فبالتالي إنكار التوسل هو إنكار سلسلة مراتب المخلوقات والنظم في عالم الخلقة الذي أبدعه الباري، ويرجع إلى إنكار سنة الله التكوينية.

وهناك تفسير آخر وهو أن بذكر أسمائهم و ولايتهم افاض الله المقامات وقد ذكرت هذا المطلب في الإمامة الجزء الرابع وهو أن الأنبياء فيما هو أعظم من معاجزهم هو نفس مقاماتهم الغيبية ومنها النبوة التي

نالوها كما في آية (٨٠-٨١) من آل عمران ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[1] نالوها بالتوسل والشفاعة الذين هما وجهان لعملة واحدة، فالتوسل من المستشفع له يسمى استشفاع ويسمى توسل واستغاثة، إذاً قانون الشفاعة عقيدة وحقيقة تكوينية في عالم الخلقة وهي نفس التوسل مع بعض الفروقات المعرفية.

وجاء عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه: «اللهمّ اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة أقرب النبيين منك مجلساً وأمكنهم منك شفاعة..»[2].

## المحور الخامس والثلاثون: علاقة صاحب المعجزة والعلم اللدني:

مر بنا أن الإعجاز ليس من الضرورة أن يقوم بأليات أو أدوات خارجة عن قدرة البشر، بل قد يقوم بقدرات في متناول البشر إلا إنهم لا يفطنوا إليها ولا يعوها وليس لديهم العلم بذلك، وهذا بخلاف صاحب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٠ ـ ٨١.

(٢) الصحيفة السجادية ٢: ١٩٨.

المعجزة فان له ذلك العلم، ولا سيما في الخلافة و الإستخلاف الإلهي فان قوامة بالعلم اللدني.

وما يرى ن عتاب الباري للأنبياء أو ما شابه ذلك هي بالحقيقة للمطالبة بمرتبة علم أعلى، وهذا قابل للتصوير وهو أن يكون هناك مراتب للعلم أو في طلب ذلك العلم، او ذلك الأمر إذا العلم خاطئ، وكثير من المذاهب وحتى النصارى واليهود عندهم نفس الخطأ الذي وقع فيه العامة وهو الخلط بين مراتب العلم والكمال وبين كمال ونقص.

وبعبارة أُخرى أنَّ التدبير إذا بني على علم لدني فهذا التدبير كالإعجاز وان كانت آلياته معتادة وعادية، لان التخطيط والتدبير الذي يبنى عليه هو بالتالي إعجازي، أي يعجز عن ذلك التدبير غيره، إذاً الإعجاز ليس فقط في زاوية معينة أو في مقدمة معينة بل حتى العلم الذي هو منشأ التدبير إذا كان غير مقدور للبقية بالتالي يكون إعجازي، وهذا المقدار هل يمكن أن يكون من المعصوم أو خليفة الله في الأرض أن يكون هناك تدبير غير مبني على العلم الاعجازي، فتارة نقول التدبير من قبل الحكومة الإلهية باعتبار أن خليفة الله في الأرض أي يخلف بلا عزلة لله تعالى فيخلف الباري في التصرف بلا أن يكون الباري معزول، فهنا ليس استخلاف عزلة كما في التفويض أي هو نوع تفويض بالتالي ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هو نوع تفويض، ولكن هذا التفويض ليس بمعنى عزل الباري وقدرته ويد تصرفه عن الأمور، ولذلك هناك تفويض عزلي

الذي هو باطل، وهناك تفويض ليس عزلي أي بمعنى اقدار من الله وعدم انحسار قدرة الله، وهذا التفويض ليس هو التفويض الباطل المصطلح والمشهور بين المتكلمين، وإنما هو بمعنى التمكين والاقدار، واستخلاف الباري تعالى أيضا كذلك، أي إستخلفه وجعله خليفة واقدره وأمكنه بلا أن تنحسر قدرة الله وبلا أن ينحسر تصرف الله وبلا أن تنحسر مشيئة الله وبلا أن تنحسر إرادة الله فإرادته نافذة ومشيئته نافذة وماضية ومهيمنه، إلا انه أقدار للطرف الآخر وتوكيل ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ فالاستخلاف موجود والتوكيل موجود، وهناك ايضا تعبير ثالث موجود «بإذن الله».

## الاتجاه الثاني

## الولاية التكوينية والقدرة للأنبياء والأولياء

«وانه قد جعل السماء والأرض طوعك والجبال والبحار تنصرف بأمرك» أن هذا المطلب عبارة أخرى عن الولاية التكوينية الذي تشهد له الآيات العديدة في القران ومنها ما في سورة البقرة وسورة أخرى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾ أي انقادوا وأطيعوا، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ثم أن خليفة الله ليس خصوص ادم بل ما نقل من مراسم تنصيب ادم انما هو كنموذج للخليفة، فمن شؤون خليفة الله أن يتعلم منه الملائكة، وبالتالي من لديه قدرة العلم والتي يفوق فيه قدرة علم الملائكة وبحسب الدليل العقلي منطقيا تكون قدرته اقدر من جميع الملائكة، لان القدرة نابعة من العلم ولا يعقل قدرة بلا علم، فكلما ازداد بسط العلم ازدادت القدرة.

«وسائر ما خلق الله من الرياح والصواعق وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة» أما الرياح والصواعق فإنها مدبرة من قبل الملائكة والملائكة طوع خليفة الله وبالتالي ما تحت سيطرتها هو تحت طوع

خليفة الله، أما جوارح الإنسان كذلك فجملة من أعضاء الإنسان البدنية بل وقواه النفسانية مسخرة لذات الإنسان، مثلا الآية تقول ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[1] فكأنما هناك اثنينية بين جلود الإنسان والإنسان، ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2] فهنا اليد والرجل تشهد على الإنسان كأنما هي ذات أخرى. نعم هي مسخرة للإنسان، وهذا بحث فلسفي بين المدارس الفلسفية وهو انه الإنسان ما هو؟، فحينما تقول بدني فانت تضيفه إلى ذاتك والذات غيره أو تقول نفسي والنفس تضيفها إلى ذاتك والذات هي شيء أو تقول روحي فايضا تضيف الروح إلى نفسك، أو تقول عقلي وهكذا تستمر تضيف اذن أنت من؟، أنت ذلك الشيء المجهول عند الكل، فحتى العقل مسخر لتلك الحقيقة التي هي (أنا) فالنفس بيت للروح وآلة لها وأدوات والروح بيت للعقل.

إذاً الجوارح عندما تأتمر بطاعة النبي ﷺ ولا تأتمر بطاعة الإنسان هذا ليس بالشيء العجيب، مثلا الشخص المسحور أو الشخص الممسوس بالجن ففي بعض الحالات يفقد السيطرة على بدنه فالجن أو الشيطان هو الذي يسيطر فيتكلم بصوت آخر فينازعه في بدنه، فالإنسان يتحكم ببدنه

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٢١.

(٢) سورة يس: الآية ٦٥.

عبر المخ والأعصاب، فإذا استطاع السحر أو الجن أن يلعب ويعبث في هذه الأعصاب فزمام التحكم من الروح في البدن يخرج، وطبيعة الجن والشياطين كهرومغناطيسيه فلذلك إذا احدثت لسعة كهربائية يعطل بعض الأعصاب أو بعض خلايا المخ، فهذا البدن الذي هو مركب تفقده الروح وتصير النفس أسيرة، وفي بعض الأحيان يتحكم فيه الشيطان أو الجن وبعض الأحيان يتحكم فيها الإنسان.

إذاً هذه الأعضاء خوادم وليست عين ذات الإنسان وليست دائما هي تحت قدرته فقد تخرج عن قدرته،لذلك هذا التعبير موجود في مفاد الرواية فحتى جوارح الإنسان هي جند الله،لأنها تشهد على الإنسان لذلك هذه الجوارح إذا أراد الله بالفرد سوءا فنفس هذه الجوارح تقوده إلى المهلكة، بل حتى القوى النفسية فيمكن للباري أن يشعلها بإثارة فتقود الإنسان إلى المهلكة ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

«وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة وما أمرتها به من شيء أئتمرت» فحتى الحيوان يمكن إيقاف أعضاء قواه إذا كان عند الإنسان سيطرة وهيمنة، وفي رواية أن اثنين من الرواة الإجلاء شاهدوا الإمام الصادق في طريقه إلى مكة وكان في الطريق سبع فقالا لا نخبر الإمام الصادق لنرى كيف يصنع، فهما يردان أن يطمئنون بإمامة الإمام الصادق عليه السلام فلما رأوا الإمام الصادق على دابته إلى أن وصل إلى السبع فاخذ السبع يستعطف الإمام كالدابة الناعمة ثم ذهب، ثم أتوا إلى الإمام فقالوا

سيدنا أردنا أن نمتحنك فقال الإمامعليه السلام أن طاعة السباع أدنى درجة يصل إليها من كان شيعيا، فأول علامة إلى تشيع المرء أن تطيعه السباع. وهذا مثل معجزة الإمام الرضا في محضر المأمون ومعجزة الإمام الكاظم في محضر هارون وقد ورد امثال ذلك مستفيضا في تاريخ المعصومينعليهم السلام.

و يذكر النجاشي وغيره أن الحسن بن علي بن فضال شوهد عدة مرات في براري محيطة بالكوفة يتعبد فيها وشوهد عدة مرات أن السباع تأتي وتلتمس البركة وتتماس به والطير يقف عليه.

قال النجاشيّ: قال الفضل بن شاذان: رأيت قوماً يتناجون [في مسجد الربيع ببغداد]، فقال أحدهم: بالجبل رجل يقال له ابن فضّال، أعبَد مَن رأينا أو سمعنا به، قال: فإنّه ليخرج إلى الصحراء فيسجد السجدة، فيجيء الطير فيقع عليه فما يظنّ إلاّ أنّه ثوب أو خرقة، وإنّ الوحش لترعى حوله فما تنفر منه، لما قد أنست به،... ثمّ خرجت إليه بعدُ إلى الكوفة فسمعت منه كتاب ابن بكير وغيره من الأحاديث، وكان يحمل كتابه ويجيء إلى الحجرة فيقرأه علَيّ... وكان مصلاّه بالكوفة في الجامع، عند الأُسطوانة التي يُقال لها «السابعة» ويُقال لها «اُسطوانة إبراهيمصلى الله عليه وآله»(١).

وفي رواية عن الإمام الباقر وردت في أصول الكافي في الجلد الثاني تقول:

---

(١) رجال النجاشي: ص٣٤ رقم ٧٢.

«عن إسماعيل الجعفيّ أنّه قال: ـ سألتُ أبا جعفر (الباقر عليه السلام) عن الدِّين الذي لا يَسَعُ العبادَ جهلُه، فقال: «الدِّينُ واسع، ولكنّ الخوارج ضيّقوا على أنفسهم مِن جهلهم». قلت: جُعِلتُ فداك، فأُحدّثك بدينيَ الذي أنا عليه ؟ فقال: « نعم »، فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله، وأتولاّكم وأبرأ من أعدائكم ومِمّن تأمَّر عليكم وظَلَمكم حقَّكم، فقال عليه السلام: «ما جَهِلتَ شيئاً، هو والله الذي نحن عليه»، قلت: فهل يَسلم أحدٌ لا يعرف هذا؟ فقال: «إلاّ المستضعَفين»، قلت: مَن هم ؟ قال: «نساؤكم وأولادكم»، ثمّ قال: «أرأيتَ أمَّ أيمن، فإني أشهد أنّها من أهل الجنّة، وما كانت تعرف ما أنتم عليه»[١].

أي حينما ماتت ولكنها تعرف الخمسة من أهل الكساء ولا تعرف الأئمة الاثني عشر، فهذه هي وظيفتها بهذا المقدار، فالمقصود بالنسبة إلى معرفة تفاصيل الإمامة هي إلى الحد الذي يعاصره ولكن إذا أنبا الإنسان من قبل الإمام بالأئمة الذين من بعد كما هو في الأنبياء الذين كانوا في زمن النبي عيسى عليه السلام كانوا موظفين أن يؤمنوا بالنبي عيسى عليه السلام ومن قبله أو في موسى وإبراهيم ونوح وغيرهم، وإذا إنبائهم النبي صلى الله عليه وآله الحاضر حينذاك عن الأنبياء الذين سيأتون فيجب عليهم الاعتقاد بمقدار ما يعلموا، وإذا لم يعلموا فليسوا بمأمورين ولكن بمقدار ما علموا هم مأمورين.

«فقالت اليهود يا محمد أعلينا تلبس وتشبه قد أجلست مردة من أصحابك خلف الصخور خلف الجبل وهم ينطقون بهذا الكلام ونحن لا

---

(١) الكافي ٢:٢٩٨ / ح ٦ ـ باب المستضعَف.

ندري أنسمع رجال أم من الجبال ولا يغتر بمثل هذا إلاّ ضعفائك الذين تبجبح في عقولهم فان كانت صادقا فتنحى عن موضعك هذا إلى ذلك القرار وأمر هذا الجبل أن ينقلع من أصله فيسير إليك إلى هناك فإذا حضرك ونحن نشاهده فأمره أن ينقطع نصفين من ارتفاع سمكه ثم ترتفع السفلى من قطعتيه فوق العليا وتنخفض العليا تحت السفلى فإذا أصل الجبل قلته وقلته أصله) يعني القاعدة فوق القمة أسفله (لنعلم انه من الله لا يتفق مثله بمواطأة ولا بمعاون مموهين متمردين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وأشار إلى حجر فيه قدر خمسة أرطال يا أيها الحجر تدحرج فتدحرج ثم قال لمخاطبه خذه وقربه من إذنك فسيعيد عليك ما سمعته من الجبل فان هذا جزء من ذلك الجبل فأخذه الرجل فأدناه إلى إذنه فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل أولا من تصديق رسول الله صلى الله عليه وآله فيما ذكره عن قلوب اليهود وفيما اخبر به من أن نفقاتهم من أموالهم في دفع أمر محمد باطل ووبال عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أسمعت هذا اخلف هذا الحجر رجل يكلمك أو الحجر يكلمك قال لا فأتني بما اقترحت في الجبل فتباعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فضاء واسع ثم نادى الجبل وقال يا أيها الجبل بحق محمد وأهله الطيبين الذين بجاههم» فهنا قوام المعجزة بالتوسل بل كل دعاء قوامه التوسل ولا يستجاب إلاّ بالتوسل والمعجزة احد مواطن وموارد الدعاء وظهور الولاية التكوينية للأنبياء.

«حتى صاروا كهشيم المحتضر لما انقلعت من مكانك بإذن الله» هنا ليس المراد بالمحتضر من الإنسان والهشيم هو الزرع المتهشم الذي تعصف

به الرياح فيصير ركاما «وجئت إلى حضرتي هذه ووضع يده على الأرض بين يديه قال فتزلزل الجبل وسار كالقارح الهملاج» الدابة ذو الحافر يركض الهرولة «حتى صار بين يديه ودنى من إصبعه أصله ولصق بها ووقف ونادى ها أنا سامع لك ومطيع يا رسول رب العالمين وان رغمت أنوف هؤلاء المعاندين مرني بأمرك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ أن هؤلاء المعاندين اقترحوا عليّ أن آمرك أن تنقلع من أصلك فتصير نصفين ثم ينحط أعلاك ويرتفع أسفلك وتصير ذروتك أصلك وأصلك ذروتك فقال الجبل» وهنا الدقة في معرفة عالم النظام الإلهي «أفتأمرني بذلك يا رسول رب العالمين».

ويقول النبي ﷺ «فاستنطق الله تعالى الجدي فاستوى على أربع قوائم وقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم قالوا صدقت يا محمد هذا خير من ذلك» أما كيف انه خير ذلك؟، باعتبار أن إرجاع الروح إلى الموجود ومعونة الموجودات طاعة للنبي من دون حاجة إلى استنفار جديد، فقدرة النبي ﷺ وولايته على المخلوقات واستجابتها ونصرتها له وما تحتاج إلى استنفار جديد من جبروت أو قدرة جبرائيلية خاصة، فبهذا اللحاظ هو خير.

«قالوا صدقت يا محمد هذا خير من ذلك» فالخيرية هي من هذه الجهة أي تبين ولاية وطاعة المخلوقات والموجودات للنبي ﷺ، بل أن هناك روايات نصوص كثيرة بل حتى في التوراة ببعض الإحداث الهامة

مذكورة في التوراة كهجرة النبيﷺ من مكة إلى المدينة ولا منافاة في ذلك.

بعد ذلك في الحوار بينهﷺ واليهود يقول «فقال النبيﷺ فنزلت عن بغلتي الشهباء فضربت بيدي إلى الجدي لآكل فاستنطق الله تعالى الجدي فاستوى على أربعة قوائم وقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم قالوا صدقت يا محمد هذا خير من ذلك قال النبيﷺ هذه خمسة قالوا بقيت واحدة ثم نقوم من عندك قال هاتوا قالوا سليمان خير منك قال ولم ذلك ؟، لان اله عز وجل سخر له الشياطين والإنس والجن والطير والرياح والسباع فقال النبيﷺ فقد سخر الله لي البراق وهو خير من الدنيا بحذافيرها وهي دابة من دواب الجنة وجهها مثل وجه الآدمي وحوافرها مثل حوافر الخيل وذنبها مثل ذنب البقر وهي فوق الحمار ودون البغل وسراجه من ياقوتة حمراء وركابه من درة بيضاء مزمومه بسبعين إلف زمام من الذهب» كيف يكون سبعين إلف زمام، ومعنى الزمام هو التحكم أي يوجد سبعين إلف نشاط «عليها جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد مكتوب بين عينيها لا اله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله قالت اليهود صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة» يعني معراج النبيﷺ مكتوب في التوراة «وهذا خير من ذلك يا محمد نشهد أن لا اله إلا الله وانك رسول الله» هنا أيضا نرى المفاضلة بين ملك سليمان وملك رسول اللهﷺ، فلاحظوا أن هناك جانب مشترك بين الأوصياء والأنبياء والرسل الذين يجعلون خلفاء لله في الأرض، والجانب المشترك هو أن

يطوع الله عز وجل جميع الملائكة المدبرين للعوالم وللكون والمكان وما شابه ذلك لطاعتهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ فهذا منصب ومقام لكل من ينصبه الله خليفة له في الأرض، إذاً أصل هذه الولاية التكوينية بهذه القدرة مشتركة بين الأنبياء الذين يجعلون خلفاء لله في الأرض، وهذا مقام عظيم، فإذا كان إماتة الموتى قد وكل بها عزرائيل وإحياء الموتى وكل بها اسرافيل وتقسيم المكاييل والمقادير وكل بها ميكائيل، وجبرائيل موكل ببث العلوم أو البطش الإلهي، فبالتالي كل هذه الأمور تحت حيطة خليفة الله في الأرض، وهذا أمر مشترك بين من ينصبه الله خليفة في أرضه.

إلا أن بعض الزائد عن هذا المقدار قد يمتع به بعض خلفاء الله في الأرض، أي بعض من ينصب أئمة في الأرض كما في سليمان عليه السلام فقد زيد في ملكه فعلاوة على ان خلافة الله في أرضه له من خلالها صلاحيات زيد له في ملكه حيث سخر له الشياطين والإنس والجن والطير والرياح والسباع، أي تسخير آخر زائد.

وموجود في الأدعية في وصف النبي صلى الله عليه وآله سليمان انه زيد في ملكه، وأيضا حتى النبي صلى الله عليه وآله داود زيد له في ملكه وهي إلانة الحديد له بحيث عنده قدرة في يده يتصرف النبي صلى الله عليه وآله داود في الحديد كما يتصرف في الطين، طبعا كل خلفاء الله في الأرض كآدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل الذين جعلوا أئمة وخلفاء بالقدرة التكوينية على نهج الملائكة قد يقومون بهذا العمل لكن الذي اختص به داود فانه حتى في الحالة التلقائية أو حتى

النفس النازلة مثلا هذه الأمور تنصاع لقدرته وليس فقط لنفسه الصاعدة التي يطوع بها الملائكة.

مثلاً ورد في الإمام الحجة عج أن مشيه على الأرض يكون بطي الأرض، وطي الأرض موجود عند بعض المرتاضين أو الاصفياء فضلاً عن أهل البيت عليهم السلام، ولكن لم عبر انه من خصائص الإمام الثاني عشر؟، يظهر منه انه ليس بنحو رياضات المرتاضين بل بلحاظ النفس الصاعدة أو بأمر معين، بل حتى بحسب النفس النازلة والطبيعة البدنية للإمام الثاني عشر انه تطوى له الأرض، وكثير ممن تشرف بلقاء الإمام الحجة ذكروا ذلك الشيء وحتى في تعابير الروايات تطوى له الأرض ويخطو على قمم الجبال وكثير ممن تشرف من علماء الأمامية الكبار ونقلت قصصهم بطرق معتبرة شاهدوا هذا المشي منه، أو مثلا في الروايات أن صوت زئير الإمام الثاني عشر تتدكدك منه الجبال كحالة عادية وهو من بطش يده في الحالة العادية، وهو غير إعمال الولاية للنفس الكلية التي هي لخلفاء الله في الأرض.

فبعض خلفاء الله يزاد لهم في الملك والقدرات، وان جملة ممن تشرف بلقاء الإمام الحجة نقل ذلك فان بعض المجتهدين الكبار والمعول عليهم كانوا يقصون ذلك في مشهد من الكبار ونقله عن أستاذه ايضا وانه رأوا هذه الحالة فيه وانه بيده العادية يقتلع الشجرة اذا هذه الزيادة والتعبير بأنها من خصائصه هو بلحاظ نفسه والحالة الاعتيادية له ( عج )،، والأئمة عليهم السلام

لهم هذه الخاصية ولكن هذا بلحاظ نفسهم الكلية أو بلحاظ نورهم أو اطواع الملائكة لهم، وإلانة الحديد كذلك لخلفاء الله بتوسط طاعة الملائكة لهم، ولكن ما يكون حتى في النفس الجزئية في البدن فهذا من الخصائص.

مثلا من خصائص بدن النبي صلى الله عليه وآله فان له خصائص دون بقية خلفاء الله في الأرض أن بدن النبي صلى الله عليه وآله ينبوع الحياء، بمعنى أن أي شيء يماس بدن النبي صلى الله عليه وآله تدب فيه الحياة، وتظلله غمامة وهذه خصائص خاصة للنبي صلى الله عليه وآله فيعطى ميزات خاصة، فان لبدن النبي صلى الله عليه وآله قدرة خاصة وما شابه ذلك، والمحصلة انه قد يعطى بعض الخلفاء زيادة في القدرة والولاية والتكوين كما قيل عن سليمان «بحق سليمان الذي زيد في ملكه».

ليس من الضروري أن يكون معنى الولاية التكوينية أو القدرة التكوينية بمعنى آليات باهرة، بل العلم باهر بالموجود، فصنع المستحيل بنظر بالبشر فهو بااليات سهلة فالعلم منتج لكل باهر ومعجز، وليس في ذلك غلو بل بااليات عادية ولكن العلم هو علم لدني.

إذاً في حكومة النبي صلى الله عليه وآله الإلهية اقل تقدير لابد أن يكون العلم مستند إلى العلم الإلهي، وهنا هم يسجلون بعض الإشكالات والمؤاخذات وهو أن في بعض تصرفات النبي صلى الله عليه وآله ليست مستندة إلى العلم الإلهي ومن ثم نرى قوله تعالى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾

وغيرها فيدعون في تفسير هذه الآيات أن التدبر هنا ليس من الله، وكذلك بقية الأنبياء كما في قوله ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (١)، فهل يا ترى أن خليفة الله لا يستند فعله للعلم اللدني ويستند إلى علم ذهني بشري عادي يخطئ ويصيب؟، كلا فهذا خطا فانه دوما حجة الله وخليفة الله المعصوم عمله وفق تدبير إلا أن العلوم الإلهية ذات مراتب ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ فمع أن علمه من الله ولكن أزاده علما فوق ذلك، أو ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾، فعلم إيتائي لدني، وحكمة ايتائية لدنية

---

(١) سورة ص: الآية ١٧ ـ ٢٦.

ولكن ذات مراتب فالأعلى تكمل الأدنى لا بمعنى أن الأدنى غير صحيح وغير مستقيم، وإنما بمعنى أن هناك ما هو أكمل وهم خلطوا بين العلم الصحيح الصائب الذي فيه ماهو أكمل منه وفوقه وبين أصل العلم الذي لا يطابق الحقيقة.

وبعبارة أخرى فرق بين الإحاطة بكل الحقيقة وبين عدم إصابة الحقيقة بتاتا، فتارة يصيب الحقيقة ولكن لا يستوعبها وهذا بحث آخر ولكن بالنتيجة فان ما قام به وما أصابه هو حقيقة، إذاً عدم الاكتفاء بالأدنى والمحاولة دوما الترقي إلى الأعلى فالأعلى لا أن المكان الذي كانوا فيه ليس بمعصوم أو خاطئ أو ضلال أو اجتهاد ظني، إنما هو علم لدني والعلم أللدني يقول الباري فيه مراتب ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وليس اكتسبه، إذاً علم لدني معصوم ولكن هناك فوقه علم أعلى، فهو لم يبتغي العلم الأعلى من الله ولابد أن يبتغيه، بل انما هو دوما في حالة دعاء وليس هو الدعاء اللساني فقط وإنما الدعاء بحقيقة الواقع او كما يقول اهل المعرفة هو الدعاء الحالي حين يكون حاله الحقيقي انه طالب وضارع متضرع ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فهو ذو علم ولكن يسأل دوما عن مراتب علوم أكثر فأكثر، فهو يجب أن يسأل ما ليس عنده.

الى هنا انتهى كلامنا حول مبحث المعجزة

## المبحث الثالث: أمور تتعلق بالرسالة

قال ابن منظور في لسان العرب: «الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر فمن أنث جمعه أرسلا قال الشاعر: قد أتتها أرسلي، ويقال: هي رسولك. وتراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ ومعناه إنا رسالة رب العالمين أي ذوا رسالة رب العالمين. ولم يقل رُسُلُ فوضع الواحد موضع الجمع لأن فعولا وفعيلا يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع . والجمع أَرْسُل ورُسُل ورُسْل ورُسَلاءِ الأخيرة عن ابن الأعرابي وقد يكون للواحد والجمع. وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة وأرسلت فلانا في رسالة فهو مرسل ورسول وقوله عز: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ قال الزجاج: يدل هذا اللفظ على أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح ـ عليه السلام ـ بقوله الرسل ويجوز أن يعنى به نوح وحده لأن من كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء لأنه مخالف للأنبياء لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يؤمنون بالله وبجميع

رسله ويجوز أن يكون يعني به الواحد»[١].

ولنا هنا مجموعة من الجوانب التي تتعلق بالرسالة وفق المحاججة النبوية المبحوث فيها:

**الجانب الأول: الرسول والرسالة:**

«فإنما أنت عبد نذير لا شريك في المملكة» أن النذارة في الرسل ثم أن النذير أو الرسول في الأنبياء والرسل أوفي الملائكة والرسالة في اصطلاح القران كما بينها أمير المؤمنينعليه السلام في بعض الروايات وهي نكتة لم يلتفت إليها المفسرون يعني كل مأمورية إلهية وليست بالضرورة أن تكون إبلاغ علمي خبري بل حتى القيام بمهمة معينه فمثال لذلك جبرائيل في إهلاكه لقوم لوط، ويبين أمير المؤمنينعليه السلام موارد استعمال الرسول «وجعل من الملائكة رسلاً» فكل الملائكة رسل مع أن بعضهم ملائكة عذاب بمعنى أن وظيفتهم العذاب، فالمراد من «لا شريك في المملكة» أي انه ليس لديك صلاحيات مطلقة وإنما ما حدد إليك من صلاحيات.

أن الرسالة ليس من الضروري أن تكون مأمورية علمية أبلاغية فقد تكون بعثة الرسالة مأمورية تنفيذية بمعنى دور تنفيذي عملي وليس إبلاغ انذار أو بشارة، مثلا دور ذا القرنين الذي ليس هو رسول أو نبي بحسب

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ـ مادة رسل ـ ١١/ ٢٨٣.

التعريف القرآني لكنه أمام وهذا يؤثر في الفهم القرآني كثير، فالملائكة يوصفون بأنهم رسل الله، هنا المراد من دور ورسالة الملائكة ليس فقط الإبلاغ العلمي بل لتنفيذ مهمات، مثلا جبرائيل يأتي ويقلب سبع قرى لقوم لوط، فهذه رسالة والرسالة هي المأمورية ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾[1] فالمأمورية وظيفة مهمة، وهذا يفتح باب عجيب في قواعد علم التفسير في القران على الباحثين التمعن والتدبر به طويلا.

## الجانب الثاني: معنى الرسول في القران والروايات:

أن هناك رسول نوعي ورسول شخصي وهذا البحث لا باس أن نذكره فرسول الله في التعبير القرآني هو كل من يوكل بمأمورية يقال عنه رسول ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[2] فالرسول في استعمال القران الكريم هو كل من ينذب من أصفياء الله إلى مأمورية ومهمة يعبر عنه القران الكريم برسول، وهذا الاصطلاح هو غير اصطلاح المتكلمين، فالنبوة أمر والرسالة بمعنى الشريعة أمر أما رسول الله بمأمورية معينة أمر آخر، والمشاهد في روايات أهل البيت عليهم السلام الكثير من قول (أرسلنا) ليس المراد منه خصوص الأنبياء، وإنما من يبعث بمأمورية، والمهم انه يمكن أن يشاهد في الآيات والروايات تعريف الرسول غير ما هو معروف عند

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦١.

المتكلمين.

نعم استعمال الرسول في فهم الآيات والروايات بما هو مقرر في علم الكلام من انه صاحب شريعة أو نبوة، ولكن حقيقة استعمال القران الكريم في الآيات والروايات للرسول لا ينحصر بمن يكون نبيا، ففي قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فالبعثة هي إرسال والملك عبارة عن القدرة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[1] وهنا هي الإمامة فان احد أسمائها القدرة والملك وهذا يحتاج الى استقصاء المعنى من القران لفهمه، والمهم أن طالوت صاحب مأمورية فان الله بعثه، ونفس الشيء في قصة ذي القرنين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾[2] ومع أن ذي القرنين ليس بنبي وليس هناك من يجزم بأنه نبي، بل في الروايات انه وصي وعبد صالح فهو بعث وفق مأموريه ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

والمصطلح القرآني (الرسول) هو على المُبلغ للرسالة السماوية من الملائكة والناس والرسالة السماوية بما تشتمل يتم تبليغها من خلال رسُل الله من الملائكة والناس، ومن هنا نجد ان معنى الارسال العام يشمل الانبياء وغيرهم.

فالمهم أن معنى الرسول كما موجود في الروايات والآيات يطلق على

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٦.

كل مقرب وصفي ومصطفى من الله يبعث ويُأمر ويوكل إليه مأمورية معينة ويندب من قبل الله أي يبعث، مثلا عزرائيل من رسل الله وليس بنبي وأعوان عزرائيل رسل الله ولا يقال أنبياء، وطالوت مبعوث ولكن ليست بعثة شريعة مع ذلك كانت عندهم عصمة وهي معنى القدرة والوحي. ومثل تعبير ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ فيخبر عن الله ولكن ليس بشريعة، والخضر يقول ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فالأوامر التنفيذية الجزيئية ليست شريعة وليس تنظير كلي وإنما هي تنفيذ وتطبيقات في الدولة الإلهية.

فالمقصود أن البعثة والرسالة في الروايات والآيات لا تلازم النبوة، وكذا في قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فهذا بيان وحجة ولو من خلال الأئمة، ولذلك في التعبير ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢﴾[١] ولم يقل أنبياءه، كما أن الفقهاء وهم لا يقاسون بالمعصومين أطلق عليهم في القران بالقيام بالإنذار فكيف بالمعصومين، وهذا بحث مهم يفتح باب كبير، أما الآن في الأدب ما تعبر بالرسول هو بحث آخر «لا نبي بعدي» أو «خاتم النبيين» وهذه نكات مهمة أما السفير الإلهي فهو شيء آخر ولذلك وورد إطلاق السفراء الإلهيين على الأئمة أو الناطق عن الله وهي غير النبوة فان النبوة طريقة تلقي خاصة وحيانية أو نمط أو سنخ من الوحي أما الرسول فهو شيء أعم.

### الجانب الثالث: شمول معنى الامامة لمعنى الإرسال:

---

(١) سورة النحل: الآية ٢.

«وقد بقي عليك من ذاك فريضتان مما تحتاج أن تبلغهما قومك فريضة الحج وفريضة الولاية والخلافة من بعدك فاني لم اخلي ارضي من حجة ولن أخليها أبدا».

هذا تفسير للولاية فمعنى الولاية أني لم اخل الأرض من حجة، وأسماء الإمامة في القران عديدة، ففي بحث الإمامة الإلهية ضمن فصول متعددة ذكرت أن استيعاب معنى الإمامة ليس أمر محسوم ولابد من المواصلة في استجلاء البحث، فمثلا عندنا تعبير منصب الرسول والرسالة وتعبير منصب الأنبياء والنبوة وفرق بين مقام الرسالة ومقام النبوة، الآن في بعض اللغات بين الرسالة والنبوة في اللفظ ولكن يوجد فرق ولعل في اللغة الانكليزية يميزون بينهما وفي اللغة الفارسية القديمة يميزون بينهما أيضا.

هناك إطلاقين للرسول في القران فجبرائيل يطلق عليه رسول وكل من يكون مأمورية ووظيفة إليه يسمى رسول في استعمال ثاني في القران، ولذلك هذه نكتة لا باس أن نشير إليها وهو أن في القران عنوان الرسول ليس مختص بمن يكون نبي في الاستعمال الثاني ، ففي بعض الآيات التي يبينها أهل البيت فهناك المراد منه ليس خصوص النبي صلى الله عليه وآله فحتى الأوصياء قد يطلق عليهم ذلك، أو في قوله ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ فهنا شرح وفي روايات أهل البيت ليس المقصود نبي رسول بل كل من يكون له وظيفة ومأمورية ومهمة إلهية،

وورد في تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي:

«وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ

﴿ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٧٥﴾ أي يختار وهو جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومن الناس الأنبياء والأوصياء فمن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله ومن هؤلاء الخمسة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الأوصياء أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وفيه تأويل غير هذا»[1].

وورد في تفسير فرات الكوفي:

«فرات قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن زكريا الغطفاني معنعنا: عن عبد الله بن أبي أوفي قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله ونحن في مسجد المدينة فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه فقال: إني محدثكم حديثا فأحفظوه وعوه وليحدث من بعدكم ان الله اصطفى لرسالته خلقه وذلك قول الله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٧٥﴾ أسكنهم الجنة، وإني مصطف منكم من أحب أن أصطفيه وأواخي بينكم كما آخا الله بين الملائكة.

فذكر كلاما فيه طول فقال علي بن أبي طالب عليه السلام. لقد انقطع ظهري وذهب روحي عندما صنعت بأصحابك فان سخطه بك علي فلك العتبى والكرامة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله. والذي بعثني بالحق ما أنت مني إلا بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وما أخرتك إلا لنفسي فأنا رسول الله وأنت أخي ووارثي.

---

(١) تفسير القمي ج ٢ – ص ٨٧ .

قال: وما الذي أرث منك يا رسول الله ؟

قال: ما ورثت الأنبياء من قبلي.

قال. وما ورثت الأنبياء من قبلك ؟

قال: كتاب ربهم وسنة نبيهم. أنت معي يا علي في قصري في الجنة مع فاطمة بنتي، هي زوجتك في الدنيا والآخرة وأنت رفيقي. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ المتحابين في الله ينظر بعضهم إلى بعض»[١].

وأيضا «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول» هنا المراد من الرسول ليس خصوص من يكون نبياً رسولاً وإنما المقصود من يكون عليه عهدة وظيفة إلهية، فاستعمال الرسول في القران على نمطين كما بينا ذلك.

---

(١) تفسير ـ فرات بن إبراهيم الكوفي ـ ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

## المبحث الرابع: أبحاث عامة حول النبوات

النبوة لغة مأخوذة من النبأ أي الخبر، ونبأه بالأمر أي أخبره، فيكون معناها الإخبار عن الله تعالى فالنبي ﷺ هو واسطة بين الله تعالى والبشر[1].

(النبأ: الخبر... والنبيء المخبر عن الله عز وجل... لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل ).

قال العلامة الطباطبائي ﷺ.

«والنبي ﷺ على وزن فعيل مأخوذ من النبأ، سمي به النبي ﷺ، لأنه عنده نبأ الغيب، بوحي من الله، وقيل: هو مأخوذ من النبوة بمعنى الرفعة سمي به لرفعة قدره»[2].

أن الأنبياء يمثلون الواسطة في ايصال تكليف الله عزّ وجل للمخلوقات، فالنبي ﷺ دوره يهدي الى الحق والخير وحفظ البشرية من الانحراف والضلال عن ما اراده الله تعالى لها.

ولنا من المحاججة النبوية مجموعة من الجوانب العامة التي تتمحور

---

(١) جاء في لسان العرب مادة نبأ، ١ / ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) تفسير الميزان: ج ١٤ ص ٥٨.

حول النبوة وما يتعلق بها ومنها:

**الجانب الأول: عدم حاجة الأنبياء**

**إلى آليات الاجتهاد الفقهي:**

في القضاء أو في الفتيا ترى الفرد يفتي والآخر لا ينكر عليه فالسيرة قائمة على عدم التخطئة بل هي التصويب، كما استدلوا بما سيأتي في الحكم الظاهري، وعلى آية حال الدليل الأول الذي استدلوا به على التصويب في الآية وهي بعيدة كل البعد عن بحث التصويب،فالآية في نبيين من أنبياء الله عز وجل وفي عقيدتنا لا يمكن للأنبياء ان يجتهدوا،لان الاجتهاد هو من يحتاج إلى آلية معينة لكي يحصل على المعرفة أما من كانت المعرفة عنده متوفرة بصورة لدينة فليست له حاجة للتعكز بعصا الاجتهاد لكي يسترشد الطريق، ومن جانب ثاني نفس ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ فهي في مورد نسخ أوحي إلى سليمان وكون الحكم الذي أوحي إلى داوود هو منسوخ، وهذه ليست في صدد النسبية والتصويب، نعم هناك نسبية لكن لا كما يطرحها السفسطائيون أو التشكيكيون سواء القدماء أو الجدد الذي يحملون راية التعددية ألآن.

**الجانب الثاني: حكمة فريدة في ترك الاولى عند الانبياء عليهم السلام:**

لأبُدَّ أنْ نلتفت الى أن للذنب مراتب متعددة وبمعناه العام يشمل

حتى ترك الاولى، وقد يكون الذنب ذنبا أخلاقيا، وقد يكون الذنب ذنبا بمعيار المقربين وان كان هو ليس تخلفا عن الواجب او ايجادا للحرام فمثلا الغفلة عنه تعالى عندهم ولو لفعل مباح ذنب، وكل ذلك لا ينافي العصمة عن الذنوب التي ثبتت للأنبياء والاوصياء.

والدليل من سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في أدعيتهم ومناجاتهم في خوفهم من البعد عن الله تعالى، وتعبيرهم عن أنفسهم بالمذنبين والقاصرين والمقصرين.

أن الانبياء معصومون ولكن العصمة درجات مختلفة فضلا عن غير العصمة من الكمالات والفضائل، فان احد حكم إسرار بيان القران الكريم لما يتوهم انه مثالب للأنبياء وهي بالحقيقة ليس مثالب ولا طعون كما بينه أمير المؤمنين عليه السلام وشرح لبعض ما يتخيل ويتوهم انه هفوات للأنبياء وانه هفوة كبيرة، ولكن القران يركز عليها مع أنها ليست بشيء أمام عصمة الأنبياء وهي مجرد ترك أولى وهو يسير بلحاظ عصمتهم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام أن من احد الحكم لبيان القران ذلك أن الصواب المطلق هو عند الباري ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ وليس معناه ان انبياء الله ليسوا صادقين بل شهد لهم القران بالصدق ولكن يوجد صدق وهناك اصدق، وليس معنى ذلك انه يسوغ لنا أن نتمرد على الأنبياء، وإنما الله تعالى يريد أن يقول اعلموا أن الباري فوق المخلوق مهما يكون مع أن أبوابنا إلى الخالق هم الأنبياء والسبل بيننا وبين الله هم الأنبياء والمرسلين ومن رد على الأنبياء

ولم يتبعهم ولم يطعهم فهو ضال وهاوي إلى الجحيم، ولكن رغم ذلك يريد أن يقول القران ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وبالتفاته أخرى يريد أن يقول أمير المؤمنين عليه السلام أن السداد والصواب درجات ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وحينما يخبرنا القران بذلك،فان هناك حكمة لنعلم أن الذي يأتينا من سيد الأنبياء أحق بالإتباع من الذي يأتينا عن النبي صلى الله عليه وآله إبراهيم أو عن النبي صلى الله عليه وآله موسى وعيسى ونوح وادم في العصمة والحجية، فكيف بفضائل ومقامات ليست هي حجة ولا عصمة وإنما هي فضائل ومحامد عظيمة يكترث لها القران والدين بلحاظ الجزاء الأخروي ولكن لا يعني هذا أنها أسمى وحجة وسداد مطلق أو حسن عاقبة. نعم هي مقامات ومحامد ومكرمات ويحث القران عليها ولكن لا يعني أنها سداد مطلق أو صواب مطلق أو حجية فهناك فرق بين الأمرين.

**الجانب الثالث: فلسفة فقر الانبياء عليهم السلام :**

هناك أصل عظيم في جواب النبي صلى الله عليه وآله فهم يطالبونه أن يكون ملوكي وصاحب قصور وسلطان جبار قاهر باطش ومحتجب ومتبختر، فلا يقبلون إلاّ أن يكون إقطاعيا فأين هذا من مقام الرسول صلى الله عليه وآله، وفي خطبة لأمير المؤمنين (خطبة الامير في ذم ابليس) أن من شدة الحاجة إلى البشر أن يبعث لهم من يستصغروه في نظرهم وبمقاييس مادية لا بمقاييس عقلائية،

فالنبي صلى الله عليه وآله موسى عليه السلام كانت عليه بردة من صوف مرقعة ومعه عصاه ويدخل على فرعون الفراعنة ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ وذلك ليزيد شدة الامتحان على فرعون ومن معه، ولو أراد الله أن يسهل عليه الامتحان لأرسل إليه غير ذلك، فهو تعالى يستهدف ان يصعب عليه الامتحان بهذه الطريقة.

ففي تلك الخطبة عنه (عليه السلام):

«ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون، وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصى، فشرطا له - إن أسلم - بقاء ملكه، ودوام عزه. فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا القي عليهما أساورة من ذهب ؟ إعظاما للذهب وجمعه، واحتقارا للصوف ولبسه!»[١].

ويبين ذلك بشكل لطيف بقوله ( لتمحض النظر إلى الله لا إلى الواسطة )، وكذلك من الحال في أدم خلقه من طين وصلصال وحمأ مسنون ليزيد شدة الامتحان على إبليس بل حتى على الملائكة، ولكي يتخاضع المخلوق إلى خالقه، ولا يظن المخلوق انه يعي الحقيقة كاملة كربه، والله هو الذي يعلم الحقائق التي تخفى على المخلوقين ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يدعي فيلسوف أو عارف غيرهم انه لا يوجد شيء غائب عنه فإذا كان كذلك فهو محيط بكل شيء

(١) نهج البلاغة.

فهو قيوم وقهار وقدوس، ويقول تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فأول صفة عظيمة فيهم إنهم يؤمنون بالغيب ومعنى ذلك أنهم يقرون بانهم قاصرين ومخلوقين ومحدودين، ولذلك في تعريف العلم والفلسفة انه (معرفة الحقائق بقدر الوسع البشري) أن معنى ذلك انه يوجد غيب،ففي التعريف اعتراف بوجود غيب ولكن للأسف هذا الاعتراف بالغيب لم يمنهج بمنهج ميزاني قويم في الفلسفة والحال لأنه لابد أن يمنهج، وهي نفس العبودية والمولوية فان العبودية بمعنى القصور والفقر أي الاعتراف بالجهل في ما وراءه الغيب.

«أو ما ترى أن الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبائح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون» وهذا جواب على إشكال من نمط معرفي مرتبط بعلم الاجتماع والإدارة والقيادة وبعلم القانون، وأجابه النبي ﷺ بعلم من هذه الأصول، وهذا يرتبط بالحكمة العلمية كما يرتبط بالحكمة النظرية.

«يا عبدالله إنما بعثني الله ولا مال لي ليعرفكم قدرته وقوته وانه هو الناصر لرسوله» وهذه دائما حالة الإمهال من الله ليزداد الامتحان شدة سواء للمؤمنين أو الظالمين كلا بحسبه، فالمؤمنين يفتتنون ليعلموا أن هناك فوق هذه القدرة قدرة اعلى فهذه القدرات ليست كل شيء مهما تعاظمت من قوى عظمى وتحالفات وأحزاب ليست هي فوق قدرة الله عز وجل، وفي نفس الوقت امتحان لأولئك حيث يظنون أن كل أزمة الأمور بيدهم،

ولكن بين الفينة والأخرى تصدع الأمور ونظمها ولا يستطيعوا المسك بزمامها لان ورائهم من هو محيط بكل شيء وبعبارة أخرى هذا نوع من الامتحان والمشهد التوحيدي الذي يبصره كل من المظلوم والظالم والمحق والمبطل زيادة في تجلي التوحيد، إذاً الحكمة معرفية نظرية.

«إنما بعثني الله ولا مال لي» كما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في فلسفة بعثة أدم وموسى وغيرهم من الأنبياء، فالأنبياء لا خدم ولا حشم ولا مال وجبروت ولا صولة ولا جولة «ليعرفكم قدرته وقوته لا قدرة الرسول وقوته» أي لأجل تمحض التوحيد «وانه هو الناصر لرسوله لا تقدرون على قتله ولا منعه من رسالته فهذا أبين في قدرته تعالى وفي عجزكم» فرغم هذه الآليات المتواضعة والبسيطة إلاّ أن الله من وراء كل شيء رقيب، فهذه الآلية التي استعملها الله عز وجل أليق بالحكمة الإلهية في نشر التوحيد وأبين في معرفة التوحيد، وهي رد على ما يطرحه ابن تيمية وغيره من الغربيين من أن القدرة المادية دليل الحقانية، بينما القران يقول أن الضعف المادي في دار الدنيا مع الالتزام بالمسار المبدئي هو دليل القدرة الغيبية الإلهية والحقانية وهو يجلي التوحيد أكثر بل هو يظهر الحق أكثر.

فأتباع أهل البيت عليهم السلام مثلا في طول التاريخ لم يكن لهم حول وقوة ومع كل ما جرى عليهم من قتل وتشريد واضطهاد إلاّ ان الثبات على الحق مستمر، وهذا واقعا ادعى لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ان يميز ويبصر الحق في أي جانب، ويزداد قناعة ان هناك قدرة حافظة غيبية مدبرة

لكل الأمور. إذاً هذه الحالة الترابية لحصول البصيرة ولحصول الهداية للطرف الأخر ولكن لمن لا يبصر يكون النور والهداية بالنسبة إليه عمى.

## الجانب الرابع: عدم قدرة البشر على توصيف وادراك مقامات النبيﷺ:

«أتظنون أن رجلا يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته وذلك ما قال الله تعالى ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾» فيضربون مثلا للنبي بالسحر وهذا مثل للنبي، لان المثل هو الاسلوب الذي يكشف الحقيقة،وهنا القران يدلل على أن مقام النبيﷺ من المقامات التي يمكن أن يكون لها مثل ولكن مثل عالي وليس بداني فلذلك (فضلوا) واللطيف أنهم لا يستطيعون سبيلا، فان البشر العادي لا يستطيع وصف المعصوم وهذه من الآيات الدالة في سورة الفرقان، فكنه معرفة النبيﷺ ليس بمقدرة البشر وأنى لهم أن يصفوه وهم في ذواتهم دونه بمسافات شاسعة «فأنى لهم التناوش من مكان بعيد»، فان الباري يقول ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ أي سبيل لان يضربوا لك مثلا لا يستطيعون ولو أرادوا حتى المثل الحقيقي، والقران لا يصف فقط عنادهم ولجاجهم بل حتى ليست لديهم القدرة بان يضربوا لك مثل لا أن يكتنهوك، فآيتك أيها النبيﷺ انه ليست بقدرة البشر أن يصفوك فكيف يدركوا كنهك.

إذاً لا يستطيعون ضرب المثل للنبيﷺ، بل حتى آية النبيﷺ أو باب

النبيﷺ فان الآية باب لا يستطيعون إليه سبيلا ولا يحدده إلاّ النبيﷺ

قال رسول اللهﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[1].

وهذا برهان على آية النص، فالذي يكون آية للنبي وباب له ومثَل للنبي لا يستطيع البشر أن يحددوه بل النبيﷺ فقط يحدده وهذه ضرورة النص والإرشاد والاستمداد من الوحي. ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي لا يستطيعوا أن يثبتوا عليك عمل بحجة أكثر من دعاويهم الباطلة التي تبين تحصيل بطلانها.

## الجانب الخامس: العلم النبوي وشموله للتشريع والتكوين:

«قال ابن صوريا فاخبرني يا محمد الولد يكون من الرجل أو من المرأة» هذا سؤال من علوم الطب والتشريح، وهذا السؤال منه للنبي ولم يكن رد النبيﷺ أن هذا لا يعني النبوة أو أن هذا ليس من شأن الرسالة بالعكس بادر النبيﷺ إلى الجواب وسيعاود السؤال حول العظام والعصب والعروق وهذا إعجاز علمي من النبيﷺ وهو أن العظام والعصب والعروق من الرجل وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة، وربما ألآن الأبحاث العلمية تنبهت إلى هذا المطلب، «قال صدقت يا محمد ثم قال يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه وليس فيه من شبه أخواله شيء ويشبه

---

(١) فيض القدير: ج٣، ص٤٦؛ كنز العمال: ج٥، ص٦٠٠.

أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء فقال رسول اللهﷺ ايهما علا مائه ماء صاحبه كان شبهه له» وهذا سؤال في الطب أيضاً وعلم الفسلجة وعلم التشريح «فقال صدقت يا محمد فقال فاخبرني عمن لا يولد له ومن يولد له فقال رسول اللهﷺ إذا مغرت النطفة لم يولد أي إذا احمرت وكدرت فإذا كانت صافية ولد له» وهذه ثلاثية طبية في علم التشريح يمتحن بها ابن صوريا النبيﷺ في النبوة.

ويبرز هنا بحث أدياني حاد ومحتدم وهو هل الدين يتكفل شؤون الدين والدنيا للناس وكل شؤون الدنيا للناس؟، نعم يتكفل ذلك وهو بخلاف المسيحية المحرفة من أن الدين يقتصر على العلائق والروابط الروحية الفردية بين الإنسان والغيب، بل المعنى الصحيح للدين يشمل الأمور الاجتماعية والشؤون الدنيوية، إلاّ انه وقع ألآن حتى عند الباحثين الإسلاميين والمفكرين وهو صحيح أن الدين يشمل حتى السياسة والنظام الاجتماعي لكنه ليس الدين في صدد سعادة البشر الدنيوية من كل زاوية والرقي وكمال البشر من كل زاوية وإنما يتصدى الدين إلى تدبير أمور معاش الناس ودنياهم بما يصب في الصراط وسبيل الهداية الأخروية والسعادة والنجاة الأخروية، أما الرقي والازدهار والتمدن الدنيوي في كل زاوية من زواياه فهذا ليس من مسؤولية الدين؟ هكذا يقول بعض الباحثين الاسلاميين المحدثين.

وهذا البحث أدياني معرفي وأقيم هذا البحث في القران وهو هل أن

القران يتكفل كل العلوم الإنسانية فبعضهم قال يتكفل العلوم الإنسانية التي تكمل الإنسان وتقيم العدل وبالتالي يتطرق إلى الأمور الدنيوية بما يصب في ايجاد هذا الهدف وفي سبيل وصراط النجاة السعادة الأخروية، أما أن نقول أن فيه علم كل شيء من تفاصيل فيزياء وكيمياء وفسلجة ورياضيات وهندسة فهذا إفراط في القول بل ما يصب في سعادة الآخرة.

هكذا توجد مقالة وهي غير تلك المقالة التي تفرط وتعزل الدين عن الدنيا تماما، وحتى الغرب علموا أن الدين لا يعزل عن الدنيا تماما فان الجانب الأسري والروحي في الفرد ينعكس حتى على النظام السياسي في المجتمع فبالتالي حتى المقولة القديمة للعلمانية القديمة تراجع عنها الغرب من أن الدين ليس له صلة بالنظام السياسي، أما المقالة المتوسطة أن الدين له علاقة بالسياسة ولكن ليس في كل صغيرة وكبيرة، وهذا البحث كبحث فلسفي ينعكس حتى على التنظير السياسي والفقه السياسي والإداري وهناك نحو مشاركة لذوي الاختصاص في العلوم الأخرى في المشاركة السياسية والحكم السياسي فهذا البحث المعرفي له تداعيات في النظام الحقوقي والقانوني وله ترجمة وتأثير، والبعض يقول لو كان القران لا يتعرض ولا يستعرض العلوم لماذا يذكر بعض قضايا فيزيائية منذ أربعة عشر قرن ألآن توصل إليه البشرية ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ألآن خلال عقود توصلت الفيزياء الفضائية من أن المجرات في حالة تضخم وتوسع وهذه الحقيقة نادى به القران قديما، فالقران يعطي أسرار

الطبيعة، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾ وهو تلقيح الرياح للأشجار الذي لم تكن تعلم به البشرية والآن التفتوا إليه.

ألآن بعض الأسرار الطبيعة قد كشف عنها القران عن بعض محاورها الرئيسية بشكل بين فماذا تصنعون مع هذه الشواهد انتم أصحاب المقالة الثانية.

وهناك مقالة ثالثة وهو أن الدين والقران والنبي صلى الله عليه وآله يعني بكل شؤون الدين والدنيا ولا يغيب عنه شيء، ويؤيده الشواهد في القران الكريم، إضافة إلى أن القران يتعرض إلى أسس علوم كثيرة منها علم النفس حيث يتعرض إلى أسس خطيرة فيه كعلم النفس الفردي وعلم النفس الاجتماعي والسلوكي والجنائي والإداري والسياسي والإعلامي، والقران يشير إلى قضايا كثيرة في علـم النفس لو رُعيت من قبل المسلمين لازدهروا، ويشير القران إلى علوم مهنية وحرف كثيرة وهذه تقنيات مهمة يشير لها القران الكريم فماذا نصنع مع هذه الشواهد، فهناك تفاسير علمية تجريبية كثيرة دونت في هذا المجال.

ألآن القران الكريم يعتبر احد مصادر النظريات عند الغرب في علوم كثيرة، وحسب بعض التقارير السرية تجد العجيب منهم وعلى الأقل يتعاطوه على انه كتاب علمي فماذا نصنع مع هذه الشواهد؟.

ويجيب أصحاب المقالة الثانية عن ان هذه الشواهد تنحصر للدلالة

على إعجاز القران لا أنها وظيفته الأصلية فقد يتطرق القران من باب الإعجاز لأسس علوم أما أن هذه هي وظيفته ومسؤوليته فلا، وهذا البحث يتصاعد ليس فقط في الدين والنبوة والإمامة بل يتصاعد حتى في علم الله، فبعض المدارس اليهودية والبوذية وحتى بعض المدارس الإسلامية أن علم الله هو في صلاحك.

وهناك شواهد أخرى مثلا ملف ليلة القدر في الآيات والروايات وهناك عدة سور تتعرض إلى ليلة القدر.

ففي ليلة القدر وفق روايات الفريقين أن فيها ما من صغيرة ولا كبيرة من الأحداث البيئة الزراعية والحيوانية والجمادية والنظام الاجتماعي والحروب والسلم وإحصائيات الأموات والمواليد والأمراض والصحة والثروات وإحصائيات غريبة عجيبة عن كل الكون كلها تنزل على ولي الله كما تنص الآية ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وليس فقط من أنبياءه ولا رسله فتنزل في ليلة القدر إذا لم يفصح عنه في سورة القدر أو سورة الدخان ففي سورة النحل أفصح عنه وهو المصطفى الذي شاءته المشيئة الربانية لان يكون مجتبى لنزول الملائكة والروح، وفي سورة غافر ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وفي سورة الشورى أيضاً، فهذه الأمور ما ربطها بالإمامة والإدارة والقيادة والتدبير، ألآن العلوم الاستراتيجية على طبق معلومات محدودة يرسمون استراتيجية العام القادم أو خمس سنوات أو عشرة أو خمسين سنة وان أقصى ما هو

موجود ألآن في المراكز الاستراتيجية استراتيجية مائتين سنة.

والى ألآن ليس فيها كل هذه الإحصائيات فماذا نصنع مع هذه فبماذا ترتبط هذه هل ترتبط بالدين أو غيره أو ترتبط بإمام أو لا، ام هي مرتبطة بالقران فباطن القران يتنزل، وهناك آيات عديدة تشير إلى ذلك ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ وتعريف الكتاب المبين انه سطرت فيه كل العوالم صغيرها وكبيرها ذرها وذروتها وهذه الشواهد ماذا نصنع بها، وفي سور يس ( وكل شيء أحصيناه في أمام مبين ) ماذا نصنع بهذه الشواهد.

ونضيف شيء اخر مهم ومشهور فهناك أسئلة عديدة سئل عنها النبي صلى الله عليه وآله عن علوم عديدة، وسيرة الأنبياء تشير إلى ذلك بل ثبت ان أكثر منعطفات تحضر وتمدن وتطور البشر سببه الأنبياء، فإدريس علم الدراسة والتدريس ونوح وكذا داود علم صناعة الادرع السابغة، بل في عالم المعنى أن كل الاكتشافات العصريه البشرية هي بإشراف روحي شبكي من خلفاء الله في الأرض، أما لماذا حبي وخص الغرب بذلك ؟، فهو لحكمة ونكات لسنا الان بصدد الاجابة عنها.

وفي الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله أجاب في مختلف العلوم وان الأئمة عليهم السلام كذلك، والآن في هذه المحاججة احد الحجج التي يحتج بها ابن صوريا ليستبين ويستوضح نبوة النبي صلى الله عليه وآله يسأله في العلوم الطبيعية ولو كان الامر خارج نطاق ومعرفه النبي لأجاب أن هذا ليس من شأن النبي صلى الله عليه وآله وقال

إنما شأن النبي صلى الله عليه وآله يهدي إلى ما هو رشاد في المعاد أي بشير ونذير، وليس له دخل او اطلاع على مختلف العلوم ، فجواب النبي صلى الله عليه وآله بهذا النحو العلمي دليل واضح على أن ذلك من شؤونه أيضاً.

أما المقالة الثالثة فواضحة بجلاء في روايات أهل البيت عليهم السلام وان كان حتى من علماء الأمامية يتبنى المقالة الثانية لا الثالثة ويرفض الثالثة وسنبين كيفية الجمع بينها، والمقالة الثالثة هي الصحيحة مع شيء من الإضافة. نعم نرى في كتب الرواية للمذاهب الأخرى تتعرض إلى أن شأن النبي صلى الله عليه وآله والدين هو النمط الثاني حيث يروون رواية تأبير النخل وبعد ذلك شاص النخل والآية تقول ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾[(١)] ورواياتهم عكس روايات أهل البيت عليهم السلام التي تصب في المقالة الثالثة.

وللتوضيح نقول الصحيح الجمع بين المقالة الثالثة والثانية ولكن كيف ذلك؟

أن وظيفة الدين الأولية والأصلية في رتبة مسؤولية الأنبياء والأوصياء هي المقالة الثالثة، والقران بما يحتويه من مواطن ومنازل غيبية بل حتى في ظاهره ولكن لا يتفطن له إلاّ الأنبياء والأوصياء فالقران بما يحتوي من مشروع هداية هي هداية للدين والدنيا في كل زواياها، وهذه هي مسؤولية النبي صلى الله عليه وآله وأوصياءه لذلك أن للكتاب منازل منها أم الكتاب والكتاب

---

(١) سورة النجم: الآية ٢ ـ ٤.

المبين واللوح المحفوظ والروح الامري...الخ،

تلك المواطن ليس للفقيه سبيل إليها ولا للعارف ولا للمكاشف إلاّ بأمطار معرفية يسيرة مفتوحة من المعصوم، فبلحاظ وظيفة النبي صلى الله عليه وآله الدين كمسؤولية وظيفية للرسول وللنبي وللمعصوم من الله عز وجل فالمقالة الثالثة هي الصحيحة، فالنبي صلى الله عليه وآله والمعصوم في حكومته وحكومة الأئمة الخفية التي يقودون فيها الإحداث في العالم البشري والإسلامي وكذلك أيضا في دولة الرجعة والظهور، فعندما نقول الدين يتكفل بذلك فهناك أولويات أي ما يصب في الأمر الأخروي أهم فيما يصب في الإنعاش الدنيوي لكن كمسؤولية انما هي أعمار الدين والدنيا ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[1] وهذه من الشواهد، ومثلا ان المسلمين سابقا قالوا:

«لو ولوها عليا لسار بهم سيرا سجحا ولا خرجت لهم الأرض كنوزها والسماء درت بكذا» ومعنى هذا رقي عالم الطبيعة مرهون بإدارتهم وتدبيرهم.

وهذا المعنى نفس ما سيحصل في دولة الظهور وفق الروايات الموجودة عند الفريقين وانه رقي الجانب الطبيعي حتى في الدنيا سيكون في أوجه وتكون طفرة بل تكون طفرة من دولة الإمام المهدي والرجعة ورقي

---

(١) سورة الجن: الآية ١٦.

أعظم، وأعظم رقي ذكرتها الروايات في دولة الرجعة تمدن ورقي أكثر من دولة الظهور وتستمر البشرية الى رقي اعلى سيكون عند رجعة رسول الله ﷺ وهو الخاتم.

إذاً الشواهد عديدة على أن مسؤولية الدين والقران والنبي والوصي لكل شؤون الدنيا والدين في صغيرها وكبيرها، وهناك أولويات وهناك تدريجيات في البناء والرقي والتكامل ولذلك اتفاقا ما كان من سير الأنبياء إذا عصفت بالأمم والأقوام ازمة معاشية فادحة يفك عقدتها الأنبياء والأوصياء، والآن التاريخ المكتوب من قبل السلاطين والملوك دوما يغيبون دور الأنبياء والأوصياء وهذا ليس غريبا وهذا بخلاف ما يصنعه القران حيث يسلط الضوء على الأنبياء وإنهم هم إبطال التاريخ، أما التاريخ الذي تكتبه دول الملوك والحكام والسلاطين فأنهم دوما يغيبون دور الأنبياء لأنهم يقرءون السطوح فقط وهذا دليل أن ممارسات الأنبياء وخلفاء الله في الأرض كثيرة اغلبها خفية وتكون عبر شبكات خفية كما يصرح بذلك القران الكريم.

ونص آية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] فأول تعريف أبرزه الباري للخليفة هو اعتراض او استفهام او استغراب الملائكة ( أتجعل

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

فيها...) فهذا بمنزلة تعريف لمعنى الخليفة، يعني أن الخليفة هو الحائل والمانع دون وقوع الفساد في الأرض وسفك الدماء والفساد قد يكون صحي وفساد خلقي واقتصادي وزراعي وبيئي وهوائي وعلمي وسياسي وفردي واسري فالخليفة لا يجعله يستشري أكثر ولا يطغى، واستعمل الفساد في الأرض ضمن الآيات القرآنية في بيئات ومجالات عديدة ليس فقط قضية الحلال والحرام، بل حتى في جهات البيئة مثل (يهلك الحرث والنسل) فبوار الحرث والنسل هو فساد في الأرض.

إذاً نص القران أن الخليفة هو الحائل والمانع منذ أدم إلى القيامة وهذا هو معنى «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها» ومنع السوخ ليس من جهة ملكوتيه فقط فالحجة هو الذي يمنع الفساد في الأرض وفي كل المجالات، إذا تفشى مرض الايدز يتفشى أو المرض الفلاني يتفشى أو المرض الثقافي يتفشى أو مرض حقوقي يتفشى أو مرض جنسي يتفشى أو مرض زراعي أو سياسي هو يجب أن يحول بينه وبين أن يتفشى بشكل طاغي، أما ليس انه يستأصله بالمرة فالأمر وفق التخطيط والتدبير فالبشرية في محنة وامتحان وتأهيل للبشر مرحلة بعد مرحلة وهو أمر آخر، لكن يمنع من أن يطغى وان يتفشى بكثرة، فالمحذور الذي ذكره الملائكة ليس يقع بل به سيدفع.

ودليل آخر على المقالة الثالثة ما تقرر في علم الفلسفة والكلام والعرفان والحديث والتفسير أن أغراض التكوين لا تتقاطع ولا تتصادم مع أغراض التشريع الإلهي، فأغراض التشريع الإلهي تسوق نحو تحقيق

إيجاد والحفاظ على أغراض وغايات التكوين الإلهي المعبر عنه في الفلسفة ببرهان الغاية وفي علم الكلام يسمى ببرهان الغرض واللطف والحكمة ويسمى في العرفان بالتكامل، وهذا بحث معرفي مهم تنشا منه قواعد فقهية ثمينة كالفقه السياسي وغيره، وهو إذا قام البرهان العقلي أو دل الدليل الشرعي على أن احد غايات التكوين هي القضية الفلانية ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾[1]، وغرض الزوج والزوجة التنسيل هو للحفاظ على النسل البشري وهو غرض تكويني وأغراض أخرى، فهنا الغايات التكوينية التي أفصح عنها القران الكريم أو التي أدركها العقل بالوجدان من المحال أن تتصادم مع التشريعات في الدين، لان هناك وئام وتكافل وتساند وتعاضد بين جادة الشريعة والتقنين وجادة التكوين وهذه قاعدة معرفية مهمة ويفتح منها قواعد عديدة، وبمقتضى هذه القاعدة نستدل على أن أغراض التشريع هي أغراض التكوين سواء أغراض تكوينية متوسطة في عالم الدنيا أو أغراض نهائية في عوالم لاحقة لكن الأغراض التكوينية المتوسطة توظف وتوسط لبلوغ تلك الأغراض التكوينية في العوالم اللاحقة، إذاً خارطة ومنظومة التشريع تتطابق حرفيا مع خارطة التكوين إلاّ انه لا يستطيع الإحاطة بذلك إلاّ النبي أو الوصي بل ليس كل نبي فالنبي موسى عليه السلام ببركة علم الخضر استطاع أن يلتفت انه كيف يتطابق التشريع

---

(١) سورة الحجر: الآية ٨٥.

مع التكوين.

إذاً القران فيه بيان كل شيء ببرهان تطابق التكوين مع التشريع وان التشريع يحفل بكل التكوين غاية الأمر التطابق الحرفي الدقي ليس تكفيه مهمة النبوة بل لابد من ضميمة علم الولاية والوصاية، والنبي محمدﷺ هو سيد الأولياء واجتمعت فيه كل العلوم، أما النبي موسىعليه السلام عنده علم النبوة وشيء من علم الولاية إلاّ أن تتميمه عند الخضر والخضر عنده درجة من درجات الولاية.

وإجمالا ما يعبر عنه بالشريعة الظاهرة والباطنة شرحناه في الإمامة الإلهية الجزء الثالث الفصل الثامن، فان احد تعريفات الشريعة الباطنة يعني التكوين والشريعة الظاهرة هو تطبيق الشريعة وان كان هناك تعريف أدق وهو تطبيق الشريعة بأدوات واليات ليست أمارات ظاهرية بل بأمارات أو طرق لدنية يكون شريعة باطنة، يعني الشريعة الباطنة أحكامها نفسها الشريعة الظاهرة وتطبيق الشريعة الواحدة بأمارات ظاهرية يسمى شريعة ظاهرة وتطبيق الشريعة بأمارات لدنية يسميه شريعة باطنة، فالخضر عندما فسر للنبي موسىعليه السلام بنفس الشريعة بتطبيق لدني وأدوات لدنية وإلا هو نفس الحكم لذلك ذهب عن النبي موسى الاستنكار بنفس الثوابت الموجودة في شريعة النبي موسى.

إذاً الشريعة متطابقة مع التكوين تماما وهذا معنى ان شريعة محمدﷺ

هي الشريعة الكاملة التي تتعرض لكل التكوين غاية الأمر يعلمها النبي والأوصياء ويجهلها الآخرون وتبيانها واقامتها وظيفتهم لذلك قال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ...﴾ فهذه كفالة وهي موجودة في الوظائف الإلهية، وكيفية التنسيل البشري والذي يسمى ترقية وتكامل الانسال البشرية فانه قتل ذلك الغلام لأنه يسبب دمار في الانسال البشرية، فمسؤولية الحكومة الإلهية والدين الإلهي وهذه المسؤولية ليس تقع على الفقهاء، فعلي عليه السلام عندما كان يحارب في صفين كان مالك الاشتر أيضاً يحارب ويكبر واستبطئ عليا فقالوا كيف؟، فقال أنا لا اقتل أي كان إنما من لم يكن في نسله مؤمن فالإمام مسئول عن علم الجينات وعن تكامل الاجيال الاتية فضلا عن الحاضره .

إذاً نحن كلامنا في وظيفة الأنبياء لأنفسهم وبحسب ما يديرون من تدبير خفي وشبكات خفية يدل عليها قضية الخضر فالشواهد لا تحصى من الدين والقران وسيرة وتراث الأنبياء والأوصياء.

**الجانب السادس: احيانا تتأثر ابدان الانبياء عليهم السلام بالسحر:**

ومن النكات اللطيفة التي بيناها سابقا هو أن الساحر متصرف فيه وأمر طبيعي أن يكون هو مسخر من قبل الجن والشياطين والمسخر من قبل الجن والشياطين بالتالي عنده شطط وعقله في جنة وبالتالي لا يسيطر على أفعاله ولا حركاته ولا سلوكه، ولذلك الأنبياء إذا سحروا لا يسحروا

في عقولهم وإنما يسحرون في أبدانهم، مثل يقول النبي أيوب عليه السلام ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ هذا في البدن، وقد خاطب إبليس رب العالمين ومن العجيب مع كل ذلك التمرد نرى انه لا زال عنده نوع من المحاورة مع الساحة الإلهية فقال يا رب تباهي بهذا العبد فسلطني عليه فسلطه على بدنه فقط، ومما ذكر في بعض المصادر أن النبي سحر في بدنه أي مس في البدن وهذا كله بإذن من الله، بل أكثر من ذلك فالنبي قد يجرح أو يصاب في بدنه وهذا كله بإذن خاص وإلا في الحالة الاعتيادية الشياطين والمردة ليس فقط لا يستطيعون أن يتسلطوا على بدن الأنبياء بل حتى لا يستطيعون أن يقتربوا منهم لوهج نورهم وقدسيتهم وما يحوم حولهم من الملائكة الحافظين كما يشير إليه القران.

بَلْ قَدْ تشاهد الساحر بحالات هلوسة لكي يمكنه أن يتعامل مع الشياطين والجن لكي يؤثر في الغير فلا يكون أوفر وبعضهم تصير له حالة رعشة أو اهتزاز روحي أو خوف دائم أو البعض عنده فرح دائم أي غير متزن.

**الجانب السابع: فهم أهمية بعض نوايا الانبياء:**

هناك مورد مهم وهو نكير النبي صلى الله عليه وآله موسى على الخضر ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾[1]

(١) سورة الكهف: الآية ٧٤.

ونسيان النبي موسى له معنى، ودع عنك من يقبلون عصمة الأنبياء ولا يقبلون عصمة كذا، ولكن الباري تعالى كيف يصوغ كلامه مع النبي عيسى بصيغة اتهام واستفسار والله ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فهل كل أمر فاحش رديء هاوي يتهم به الإنسان يسائل عنه الإنسان العظيم وهل من حق الرعية أن يسائلون النبي عيسى بهذه الصيغة فأنها قطعا تكون جسارة وممنوعة ، الصحيح والذي لا ريب فيه انه ليس نكير من الله على النبي عيسى وكيف وهو اعدل العادلين ولم يقع من عيسى عليه السلام سوء وهو معلوم من الله وليس هناك أي ريبة فيه. ولذلك نقول بان هذه الصيغة وردت في القران ممن لا يختلف في عصمته وهو الله عز وجل.

وعلى أي تقدير صيغة هذا التساؤل من الله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾[1] فهنا لو يثار تساؤل كيف من العدالة أن يسائل الله النبي عيسى بهذه الصيغة فهل من العدل أو هل هو من الإحسان من الله وهو فوق العدل، وهل لإبطال حجة النصارى أمس بكرامة بريء، وهل على كون الأمر صوري يبرر أن تمس كرامة نبي من أولوا العزم وفي مشهد من الخلائق ؟، الآن في قوانين المحاكم الوضعية للمتهم حق المطالبة برد الاعتبار، والمفروض عند الباري

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

يوم القيامة ليس هناك استنطاق وعدم علم فقضاء الله يوم القيامة حتم وحسم ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾[1]، ففي دار الدنيا يوجد اختصام أما في القيامة فهناك فقط إبداء حكم، فحينئذ الباري تعالى في يوم القيامة لا يوجد عنده خصام ولا نزاع ويوجد فقط حكم ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ فبالنسبة إلى الباري تعالى لا يحتاج إلى الاختصام.

وتعميق السؤال سبب أن هناك مغزى لم يذكره المفسرون وقد ذكرته روايات أهل البيت، وهذه المقاضاة في دار الدنيا وإلا المقاضاة في الآخرة اشد وأسرع واحسم واحكم ﴿أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ فلا يحتاج إلى مسائلة وإنما ستكون بت في القول، ولذلك لاحظ لو احد من الرعية يسأل النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام بهذه الصيغة أيضا ففيها تجاسر وتجري ولذلك نشاهد من المعصومين رد المتجاسرين بثكلتك أمك أو شبيه هذا التعبير لأنه المتجاوز لا يراعي الأدب، فالآن الله يخاطبنا ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ثم يأتي شخص ويحدث في حديث آلافك كذا وكذا فهذا تجاسر، وفي سورة النور ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[2] فمجرد التجرأ باللسان عظيم لان النبوة مقام طاهر ومقدس، ولذلك لا احد يجرأ ويسائل عليا بهذه الجرأة بالصيغة التي تقولها فاطمة في تلك المحادثة المروية بينهما وإلا كان

---

(١) سورة ق: الآية ٢٨.

(٢) سورة النور: الآية ١٥.

جواب أمير المؤمنين جواب آخر، ولكن قال لها «نهنهي عن وجدك يا بنت الصفوة وبقية النبوة...» فهناك سر في البين.

والمقصود أنه ما السر في أن الباري تعالى يصيغ بهذه الصيغة ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ واللطيف النبي عيسى عليه السلام لم يبتدئ بتبرئة نفسه كما ذكرنا وإنما ابتدأ الأدب بتنزيه الله وابتدأ بإصغار مكانته فلماذا وما السر في ذلك ؟ ان هذه أسرار وليست عفوية وعبطية وفيها دقائق من القواعد والمعاني وقد بينتها روايات أهل البيت، والرواية التي مر ذكرها في الكشي وفي موارد أخرى موجودة ، إذاً سر ذا المطلب في صيغة الباري تعالى مع جواب النبي عيسى فليس القضية صورية بل فيها مغزي آخر وليس فيها حجاج النصارى بل فيها قيام النبي عيسى بواجبه لكي يؤدي لله حقه ويقيم نفسه في مقام العبودية ويستقيم على العبودية لله عَزَّ وَجَلَّ ومع ان الفعل فعل آخرين ومع ذلك يحدث له موقعيه مسؤولية وهذا أمر مهم يجب أن نلتفت إليه.

إذاً من حق الله ولطفه يتكلم مع النبي عيسى بهذه الصيغة لأنه لابد أن يبدي الله عز وجل عتابه لعيسى فمن باب اللطف للنبي عيسى أن يبين الله عبودية وتواضع النبي عيسى لكل أهل المحشر وهذا كمال للمخلوقات وهذا التنزيل مثل «وليس لك من الأمر شيء» وهذا بيان للحقائق كما هي فهي كمال ولطف للمخلوقين لان الباري حقه عظيم ولذلك من الخطأ أن يسائل المخلوق الخالق كند لند فان هذا تكبر وجبروت.

وهنا مطلب اذكره وسياتي بيانه في الجزء الثالث من الكتاب بأن الآداب ليست صرف مجاملات وإنما هي حقائق وقواعد أو تستطيع أن تقول السلوكيات تتكلم فتظهر فيها مؤديات ومن باب المثال في رواية رواها الصدوق في الامالي أن النبي داود كان يقرا الزبور بين الأودية فكانت الجبال تردد معه والطيور وكل من يسمع كلام النبي داود إلى أن وصل إلى جبل عليه نبي آخر من أنبياء الله يسمى حزقيل فعلم حزقيل أن هذا داود فلما وصل إليه داود قال داود لحزقيل اصعد إلى الجبل إليك ؟ فقال له لا، فأتى الإلهام من الله لحزقيل لا تعير داود بخطيئته فبكى داود واستعبر فقال الله لحزقيل بالإلهام لا تعير داود بخطيئته فأبتليك، فيا ترى من أين قد عيره وأين هو فعل التعيير فهذا الفعل كفعل فقط ينطوي على معاني وان لم يتلفظ بها حزقيل فينطوي على معاني ودواعي موجودة في النفس وان لم يتلفظ بها حزقيل لكن الله عز وجل أبداها وفهمها داود لذلك بكى فكأنما قد تنزه حزقيل عن داود وكان لا يرغب في اجتماعه معه فالله عاتب حزقيل لا تعير داود وإلا أبتليك فرفع حزقيل يده ومدها لداود ورفعه إليه.

«قال فخرج داود عليه السلام يمشي على قدميه ويقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع إلا يجاوبه حتى انتهى إلى جبل وعليه نبي عابد يقال له حزقيل، فلما سمع دوي الجبال وصوت السباع علم أنه داود، فقال: هذا النبي الخاطئ فقال داود: يا

حزقيل تأذن لي ان اصعد إليك؟ قال: لا فإنك مذنب.

فبكى داود عليه السلام فأوحى الله عز وجل إلى حزقيل يا حزقيل لا تعير داود بخطيئته وسلني العافية، فنزل حزقيل واخذ بيد داود وأصعده إليه، فقال له داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قط؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عز وجل؟ قال: لا قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت ان تأخذ من شهواتها ولذاتها؟ قال: بلى ربما عرض ذلك بقلبي قال: فما تصنع؟

قال: ادخل هذا الشعب فاعتبر بما فيه، قال: فدخل داود عليه السلام الشعب فإذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام نخرة وإذا لوح من حديد وفيه مكتوب فقرأه داود، فإذا فيه: أنا اروى بن سلمة ملكت الف سنة وبنيت الف مدينة، وافتضضت الف جارية وكان آخر أمري ان صار التراب فراشي والحجار وسادي والحيات والديدان جيراني فمن رآني فلا يغتر بالدنيا»[١].

فالآداب أو السلوكيات هي كلام وتكلم ومواقف وأحكام واقضية ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ فهذه آداب ولكن تنطوي على أن هناك مقام للخضر وحجية وحيثية من خلالها يفضل النبي موسى وان كانت النتيجة المحصلة ان النبي موسى أفضل ولكن من حيثية معينة الخضر أفضل، فهذه العملية صورتها صورة آداب ولكنها

---

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص٢٣١ و٢٣٢.

حقائق واقعيات.

وفي رواية أخرى لإيصال المعنى والمطلب وان عبرت عنه بعدة تعبيرات ولكن ارغب أن نتوصل إلى تعبير دقيق أكثر، ففي قوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ يقول الإمام الصادق ـ ما مضمونه ـ «والله أن علي لم يتلفظ ولم يتكلم بذلك ولكن انطوى ضميره عليه فأبرزه الله»، بمعنى أن صفات الإنسان كلام وأفعال المخلوقات كلام لأنه ينطوي على معاني يفهمها من يعلمه الباري بذلك فيصير تكلم منه، ومثلا لدينا روايات عن بعض الحيوان مثل حيوان فاجر أو حيوان كذا فهذا بأي معنى فهل صدر منه نطق أو كلام أو تعهد بل المعنى أن هذه الصفات تنطوي على معاني وهذه المعاني بمنزلة تكلم وموقف، ولعل النملة في الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ فهي اتخذت هذا المعنى عمليا ولكن معناه ومضمونه بعض التكلم بهذا المعنى فالتكلم كما نتصور ليس مجرد صرف أصوات والمقصود أن الكلام والتكلم وما شابه ذلك ليس من الضرورة أن يكون بأصوات وألفاظ أو في الآية ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ قد يكون ليس كلام قيل بألسنتهم وإنما تعجبهم واستنكارهم هو هذا معناه فنفهم من ذلك ان الفعل ينطق والمعنى الأعظم من ذلك هو ان خلق الله للمخلوقات تكلم من الله فالأنبياء أو الأوصياء إذا يرون ظاهرة معينة يتلقون عبرها رسالة كلامية من الله ونفس هذا الخلق

والتخليق له معنى أبداه الله أي تكلم به وأهل المعنى أو العرفاء يعبرون عنه بهاتف الغيب وهو مأخوذ من الروايات أي كيف تعرف أن الله عز وجل يخاطبك شخصيا لا بمعنى النبوة وذلك من خلال مثلا عقوبة الله هي كلام من الله بأنك أنت أذنبت وهذا هو جزائك، إذاً الأفعال كلام وتكلم.

**الجانب الثامن: الآداب الإلهية عند الأنبياء:**

هذه نكتة جداً مهمة تمثل دقة في المطالب فان بعض الآداب الإلهية قد ترفع الإنسان إذا فطن لها وقد يتسافل بمخالفتها، مثلا الرسول في المعراج عرضت له امرأة لم يتوجه إليها وعرض له مناد آخر وثالث لم يعبا به، ثم جاءه جبرائيل وقال يا رسول الله لو توجهت إلى تلك المرأة لأقبلت أمتك على الدنيا والمنادي الثاني بولس الذي نصر النصارى والمنادي الثالث يهودا الذي هود اليهود ولو التفت إليهم لتهودت أو تنصرت أمتك، فالمقصود هناك آداب إلهية هي دقيقة بالنسبة الينا سيما لمن يعلو مقامه فحتى أدنى ترك الأولى يؤثر، فمراعاة دقة الآداب تعلو بالإنسان، وفي رواية أن النبي يوسف عليه السلام في أدب معين لم يراعيه من أبيه يعقوب وانه لابد أن يبجله بشكل أكثر فقال له جبرائيل افتح يدل ففتحها فاخرج منها نور النبوة وقال هذا نور النبوة لا يكون في نسلك.

قال الصادق عليه السلام:

«إنّ يوسف عليه السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام، دخله عزّ المُلك فلم

ينزل إليه، فهبط عليه جبرائيل فقال: يا يوسف!.. ابسط راحتك، فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء، فقال يوسف عليه السلام: ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟.. فقال: نُزعت النبوة عن عقبك، عقوبةً لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون من عقبك نبيٌّ»[١].

والنبي موسى عليه السلام مع الخضر فبالدقة تلتفت هل أن احدهما أفضل أو لكل له فضل من جهة. فبحث الآداب في الأنبياء ينم عن معارف ومقامات ولذلك ذكرنا في بحث سابق أن الفضائل أو الآداب الإلهية هي في الواقع مناصب ومقامات بلسان الآداب أو الفضائل، والثابت انه سيد الأنبياء يقف أمام وبقية الأنبياء مأمومين فهذا ليس فقط أدب وإنما ينم عن مقامات ومناصب إلهية للنبي يفوق بها الانبياء جميعا، والنبي عيسى يصلي خلف الإمام المهدي عج فهذا ليس فقط أدب بل ينم عن مناصب ومقامات للمهدي على النبي عيسى عليهما السلام.

### الجانب التاسع: النبوة العامة والخاصة وأدوار الأنبياء:

في المحاجة بينه صلى الله عليه وآله واليهود في أفضلية سيد الأنبياء على الأنبياء السابقين ومر سابقا في اكثر من موضع ان هذا مما يدلل على الأقل أن احد نزاعات اليهود أو ربما مقولتهم ليست منحصرة في إنكار أصل نبوة سيد الأنبياء وإنما في

---

(١) النفيس في بيان رزية الخميس ج ٢ - ص ٢٢٦.

أفضليته وبالتالي ناسخيته لشريعة النبي موسى ولزوم إتباعهم له.

لكن هناك نكتة مهمة نذكرها في بحث الأنبياء وهي انه ورد عندنا في الروايات أن الأنبياء على أقسام ودرجات وأنماط، فنمط ذو شريعة ناسخة وبالتالي شريعته عامة، ونمط شريعته ليست عامة وإنما هي خاصة، وهذه الخاصة ربما لا يطلق عليها شريعة فعنده مأموريات محدودة معينة ملزم بأن يبلغها إلى جماعة، مثل النبي يونس ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[1]، فالمقصود هذا ربما لا يطلق عليه شريعة وإنما مأمورية خاصة فيها تعاليم خاصة، وقد ورد ان أصحاب الشرائع هم الخمسة (اولي العزم) فقط وبقية الأنبياء هم أصحاب مأموريات تتسع وتضيق وموجود لدينا في الروايات أن بعض قد يبعث إلى أهل مدينته أو أسرة أو الحي أو لنفسه فقط.

والظاهر أن التقسيم الموجود في الروايات أو الآيات هو بلحاظ رسالة الرسل والرسالة عبارة عن مأمورية ووظيفة، والشريعة بالتالي هي نفس الشيء، وأما النبوة بلحاظ تبليغ الدين أو حماية الدين والدفاع عن الدين والظاهر أن هذا هو وظيفة جميع الأنبياء.

أما النبوة التي لا تقترن مع الرسالة بلحاظ تبيان معالم الدين والحماة عن الدين فان الظاهر هي وظيفة كل الأنبياء، فالمقصود أن هناك فرق بين دائرة الدين ودائرة الشريعة، فدائرة الدين هي أصل المعتقدات واصل الأركان والفروع وأصول المحرمات وأصول الواجبات فهذه ليست

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٧.

شريعة وإنما هذا دين اتفق عليه جميع الأنبياء ولا يمكن أن يكون منسوخا، فهذا الدين كل الأنبياء يبعثون به، ونستطيع أن نعبر انه ليس بعثة رسالة لأنه ليست مأمورية خاصة، مثلا زكريا ليس صاحب شريعة ويحيى ليس صاحب شريعة ولكن أتاه الله الكتاب والحكمة وحتى يوسف لم يكن صاحب شريعة، فكونه غير صاحب شريعة أمر وكونه نبي بلحاظ نبوته وله وظائف فهو أمر آخر، وحتى يعقوب وإسحاق ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[1] والإمام له وظائف تختلف عن حيثية وظائف النبوة والرسالة.

المقصود أن ما ورد في كثير من الروايات أو الآيات أن الرسالة مأمورية خاصة وربما تقترن مع شريعة عامة أو شريعة خاصة أو غير ذلك، ولكن النبوة لها وظائف عامة وان لم يكن النبي رسول وبل حتى لو كان النبي لنفسه فقط، فعنده وظائف عامة مع الناس وان لم تسمى مأمورية خاصة ورسالة، والمأمورية العامة هي أن يشيد الدين ويحامي ويدافع عن الدين ويبين الدين، لأنه بالأساس هذه الوظائف واجبة على عموم المؤمنين فكيف بنبي من أنبياء الله الذي هو أبصر بالدين من غيره وأكثر حيطة منهم.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

الظاهر أن ما ورد أن بعض الأنبياء يبعث لأسرته أو لنفسه أو لحيه أو لمدينة أو جماعة فان المقصود منها بلحاظ الرسالة تختلف الدوائر، وإلا بلحاظ عموم وظائف النبوة كل الأنبياء موظفون لا اقل بالوظائف العامة التي هي ملقاة على الجميع والكل مشترك فيها ولو على نحو الاجمال وهم أبصر وأدرى بذلك.

ولذلك نشاهد كثير من الأنبياء استشهدوا وقتلوا مع أنهم ليسوا برسل وربما ليسوا بأئمة أي لم يحوزوا منصب الإمامة ولم يحوزوا منصب الرسالة ولكن قتلوا في سبيل الدين فان الدين واحد في مقابلة الكافرين، وتقول الآية ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾[1] فإقامة التوراة على عهدة النبيين الذين أتوا بعد النبي موسى عليه السلام ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ أي صلاحيات الولاية في الدين أولا هي مسندة للأنبياء.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

فالقول بان بعض الأنبياء لا يبعثون كما ورد في الروايات هو صحيح بلحاظ الرسالة ولكن بلحاظ النبوة له وظيفة فلا نظن أن بعض الأنبياء انه يبعث لنفسه أو أسرته يعني أن مأموريته الخاصة بهذه الحدود، كلا أن نبوته لها وظائف عامة، لذلك كثير من الأنبياء قتلوا وشردوا وطردوا، وهم أولى بصلاحيات رعاية الدين من العلماء أو الفقهاء أو الأوصياء إذا لم تكن رتبة أولئك أعلى.

ومثلا النبي يونس ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[1] فهذا ليس معناه أن النبي يونس عليه السلام إذا شاهد مدينة أخرى ترتكب فيها معاصي الله لا يردعهم ؟، فليس المعنى هكذا لان الامر يتعلق بواجبات مشتركة بين المؤمنين ناهيك عن الانبياء الذين هم في مقدمة المؤمنين والاصح ان هناك مأموريات خاصة وتوصيات خاصة لمدينة نينوى التي بعث إليها النبي يونس.

وهذا يقرب نكتة معينة وهي أن النبي موسى عليه السلام وغيره نشاهد منهم دعوة إلى التوحيد لغير بني إسرائيل، مثلا النبي موسى دعا الأقباط ودعا فرعون إلى توحيد الله، لكن يقال بان هناك دلائل روائية أو قرآنية تدل على أن شريعة النبي موسى خاصة ببني إسرائيل، ومعنى كون النبي موسى من أولي العزم ليس بمعنى أن شريعته عامة وإنما هي لبني إسرائيل ولكن عزمه

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٧.

من جهة انه ممن لم يكن لديه ترك الأولى بدرجة معينة أو لم يتوانى في قبول ولاية أهل البيت عليهم السلام كما اشارت الروايات لسبب تسمية الانبياء الخمسة باولي العزم.

عن المفضّل بن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى توحد بملكه فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض اليهم امره وأباح لهم جنّته فمن أراد الله أن يُطهِّر قلبه من الجنِّ والأنس عرّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عن معرفتنا.

ثم قال: يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلاّ بولاية علي عليه السلام، وما كلّم الله موسى تكليماً إلاّ بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلاّ بالخضوع لعلي عليه السلام»[1].

وأيضا ليس هناك دلائل تثبت أن أجداد النبي كانوا على شريعة النبي موسى أو عيسى. نعم كانوا على الملة الحنيفية الإبراهيمية ثم أن تصوير ذلك هو أن هناك فرق بين الشريعة والدين، فالشريعة من قبل النبي موسى أو عيسى فان هناك جماعة من علماء الفريقين يقولون طبقا للروايات أن شريعة النبي موسى والنبي عيسى خاصة ببني إسرائيل وان كان النبي عيسى عنده دعوة إلى انطاكية وقد دعاهم إلى التوحيد ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا

---

(١) الاختصاص: ٢٥٠، البحار ٧: ٣٤٤.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[1] فالرسل أنبياء ورسل من قبل النبي عيسى، بعبارة أخرى كان عنده فتوحات توحيدية في الدعوة وهذا لا ينافي أن شريعته خاصة لبني إسرائيل، لان الشريعة دائرة والدين دائرة أخرى، كما أن النبي موسى عليه السلام يدعو فرعون والأقباط لتوحيد الله والى إقامة الدين وان لم يدعوهم إلى شريعته.

ونفس النبي يوسف مع انه لم يكن صاحب شريعة يدعو إلى التوحيد ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2] وزكريا ويحيى مع انهم ليسوا برسل ولكن استشهد النبي يحيى قتلا ورفع راسه للطغاة بعد مقتله والنبي زكريا قطعوه بالمنشار أربا وغيرهم من الأنبياء الذين قتلوا واستشهدوا، وفي رواية أن المساجد كلها على قطرات دماء الأنبياء، لان للأنبياء وظيفة تبليغ الدين وهي وظيفة عامة وليس خاصة ولا تحتاج أن ينزل عليه وحي خاص ويقول له بلغ الأمر، لان أصل معنى النبوة انه ينبئ بالدين، إذاً كل الأنبياء لهم دعوة إلى الدين وان لم يكونوا رسل ويجاهدون على ذلك ويقتلون ويستشهدون، ومن وظائفهم العامة نشر دين الله الواحد، وإقامة الفرائض.

---

(١) سورة يس: الآية ١٣ ـ ١٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٩ ـ ٤٠.

نعم المأموريات والشرائع هذه تأخذ مساحات محدودة، لذلك نرى أن إقامة الدين شيء وإقامة الشريعة جانب آخر، وبناء الملة شيء آخر والعمل بالحكمة باب آخر الذي مر بحثه حيث أن الحكمة غير الدين وغير الطريقة وغير الشريعة وغير الملة.

إذاً هناك وظائف متعددة للأنبياء غير الرسل، وربما حتى لقمان الذي كان مأمور بان يحامي عن الدين بشكل من الاشكال وأيضا كان يدعو إلى الحكمة كما تشهد بذلك سورة لقمان، فهناك وظائف أخرى لا يمكن حصرها في الشريعة.

ولذلك في بعض الروايات أن الإمام الرضا فتق بابا لم يفتقه قبله من الأئمة أي فتح بابا من العلم والمعرفه، وكذلك الإمام الحجة سيفتح أبواب من العلوم لم تفتح من قبل، ومعنى الكتاب الجديد الذي سيظهره الامام الحجه عجل الله فرجه للناس أن الجدة فيه هو بهذا المعنى أي في التفاصيل وإلا أصل شريعة سيد الأنبياء مبنية على اساس ان «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة حرام محمد حرام إلى يوم القيامة»

عن الصَّادِقِ عليه السلام في حديث: فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ...[(١)].

وهذه الأمور يجب التدقيق فيها فأين هي وظائف الشريعة ووظائف

---

(١) الكافي: ٢/ ١٧؛ المحاسن: ص١٩٣.

الدين أين ووظائف المنهاج والطريقة والملة والحكمة، فهذه ستة أبواب مختلفة بعضها عن بعض.

فأي نبي عند عدم كونه صاحب رسالة وليكن ولكن عنده وظيفة نبوة وإمامة وعنده صلاحيات إمامة وعنده صلاحيات نبوة ولكن تختلف عن صلاحيات الرسالة ولا تتنافى معها وهي قابلة للتصوير، وحتى صاحب الحكمة كما يطلعنا القران الكريم يبث الحكمة، فمن أين اتت الحكمة الى لقمان فهل أخذها من نبي؟ وكذلك مثلا الإمام الصادق من أين حدث العالم الإسلامي بهذه الأحاديث العجيبة، والمزي الذي كان معاصر وصديق لابن تيمية لكنهما مختلفان في المشرب حيث ان المزي استعرض في كتابه فضائل اهل البيت عليهم السلام وبينما ابن تيميه حاله في النصب والانحراف عن اهل البيت مشهور معروف، وقد ذكر المزي بسند متصل انه يسأله عدة رواة وفقهاء من العامة انه كيف ملئت الأفاق بالحديث وأنت لم تختلف إلى احد أو قليل؟، فأجاب أن علمنا ليس كعلمكم تأخذوه من أفواه الرجال وإنما علمنا مدخور عن رسول الله، أي محفوظ ومكنون غيبي.

## الجانب العاشر: أصالة علوم الأنبياء:

ولدينا في هذا الجانب مجموعة من الاشارات المهمة:

**أولاً: شمولية علم النبي مُحمَّد ﷺ:**

ذكر ﷺ أقسام عالم الخلقة وانها ليس محصورة بذلك وإلا ذكر الماء «وكان عرشه على الماء» وذكر أيضا الثرى ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾[1] وتحت الثرى غير الثرى وغير فوق الثرى فهذه أقسام لعالم الخلقة ومنها عالم اللوح والقلم وعالم النور، فالأقسام في عالم الخلقة كثيرة جدا مذكورة في الآيات والروايات، فعالم الثرى عالم يحيط بالسموات والأرض، أما تفسير الثرى بالرمل أو الأموات فهذا تفسير لمن لا يعي الغيب أما في الروايات موجود أن السموات السبعة التي هي مهولة نسبتها إلى الثرى كحلقة في فلاة، وهناك بحر وهناك ماء وعوالم عديدة جدا وهذا كله دون الكرسي والعرش، وفي تعبير العرش الكرسي واللوح وعالم النور وعالم الأمر وإنما ذكر بشكل تفصيلي السموات في ستة أيام أو سبعة أيام فالثرى كيف والماء والعرش الذي على الماء «وكان عرشه على الماء» أي مستولي على الماء وليس بمعنى انه محمول بل العرش هو مستولي وحامل والماء مستعلى عليه، فهناك عوالم كثيرة جدا سبحان الله، وفي روايات المعراج أو غيرها روايات الخلقة عند أهل البيت فيها بيان تفصيلي جدا لطيف عن تلك العوالم وعظمها.

فالنبي ﷺ الذي يحيط بزوايا تلك العوالم ومع ذلك يأتي لك عالم أو عارف مثل شمس التبريزي أو الحافظ المولوي أو غيره يأتي ويقول لك أن

---

(١) سورة طه: الآية ٦.

القدرة المخيلة عند النبيﷺ ملونة بالبيئة العربية في ذلك الزمان أو بعلوم ذلك الزمان ولا ادري مدى الإسفاف عند هؤلاء أو معروف الرصافي أو غيره، فالذي مخيلته وحسه يحيط بزوايا عوالم جبورتية، كيف تتصوره هكذا ما إذا قلت أن هذه أساطير فأذن انتم ليس عندكم قدرة في التصوير فتقيسون مخلوقات عظيمة عند الله بأنفسكم، وعند ابن عربي في الفتوح أو الفصوص بان النبيﷺ في تأبير النخل لا علم له به، والحقيقة ان مشكلة البشر انه يقيس النبيﷺ على نفسه وهذا خطا، والعجيب أن بعضهم يصورن ويقرون أن جبرائيل شعاع من أشعة نور النبيﷺ فإذا كان جبرائيل كذلك فكيف بالنبيﷺ، وكذا عزرائيل يحيط بكل هذه الأرض فمن يكون حينئذ سيد عزرائيل ومرشد جبرائيل كيف لا يحيط بما هو اوسع، ولان قدرة الخيال عندهم قدرة صغيرة أو الهارد دسك لا يتحمل فيصورون أن الآخرين كلهم قدراتهم محدودة، ومن بباب التصوير من كان يتصور أن عشرة آلاف كتاب أو أربعين إلف توضع في قرص فهم في الماضي لا يتصورن ذلك أو تخزن كميات هائلة من المعلومات في شريحة صغيرة، فهو يقيس الآخرين على نفسه، ويقال أن أول حاسوب صنعوه كان عبارة عن مجموعة غرف ولم يتصوروا حينها كيف سيكون اللاب توب او الآيباد، فهم يتصورن أن قدرة النبيﷺ تقاس بنفس ما موجود عندهم وهذا غير صحيح، والمشكلة مع أن العلم فجر أفاق قوية وهؤلاء بنفس العقلية الصدئة القديمة الحجرية وانه يقيس الواقعية على ذهنيته فلماذا هذا الأمر؟.

فمشكلة الإنسان يقيس سيد الأنبياء وخلفاء الله في الأرض على نفسه أو يقيس نفسه عليهم، وان أول من قاس هو إبليس مع انه اشتبه بالقياس فانه اعتمد جهات ظنية ليست محيطة ورصينة، فهذه الانفجارات في العلوم المفروض توجب لهم تقدم لا أن يبقون على المعادلات القديمة ويقيسون الواقعيات عليها، ومثلا سابقا كيف كان الورق أو أن الحروف كيف تصطف فتحتاج إلى مسافات كبيرة ولا يستوعبها كتاب أما الآن الكتاب الالكتروني شيء آخر، ومن يصدق أن ثمانمائة راكب من البشر يرتقون صفيحة معدنية وتسافر بهم في أعلى الهواء أو في ثانية تتكلم من شرق الأرض إلى غربها من كان يصدق ذلك، إذاً الحقائق أوسع من إدراك الإنسان وكذا القدرات المهيمنة في عالم المادة أوسع من قدرات الإنسان.

إذاً هذه أمور يجب الالتفات إليها وهي ضرورية ومهمة فالمقايسة صعبة جدا، فإذا كان سيد الأنبياء يحدثنا عن كل زوايا تلك العوالم ويحيط بها فكيف بزوايا ومستقبل الأرض وماضيها فهذه ذرة في بحر، بينما المقابل يجمعون بين المتناقضات وكل سبب ذلك هو المقايسة بأنفسهم ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾، وواحد الإعلام ذو باع في الحكمة عندما يريد أن يفسر أن المعصوم كيف يدلي برأيه فيقول نعم يلحظ الخاص والعام فهو ينسى البحوث العديدة التي شيدها ففي التفاصيل ينسى، وحتى العرفاء مثل ابن عربي يريد أن يوجه رواية تزعم في شان أبي بكر فيستدل بان النبي صلى الله عليه وآله قال أن من كان له فضيلة من الفضائل دخل لأجنة ثم أشار إليه وقال جمعت فيك، فيفسرها من باب وحدة الوجود،

فإذا كانت مختصة بوحدة الوجود فلم اختصت بزيد وعمر وبكر بل الكل فيهم فضائل، فلو أردنا أن نستند إلى هذه القاعدة الموجودة لديهم لما اختصت بشخص دون شخص فكيف تخصصها به، وبالتالي هذا ليس توجيه ولا تخصيص ولا تفسير فهم كثيرا ما يقررون قواعد ولكن عندما يريدون الدخول في التفاصيل تضيع عليهم التفاصيل فهذا نتاج بشري والمشكلة حينئذ المقايسة.

والمحصلة ان علوم الانبياء والائمة اوسع مما يتصوره البشر باعتبار ارتباطهم بمصدر العلم المطلق وهو الله تعالى.

**ثانيا: أصول العلوم من تراث الأنبياء:**

ان أقسام الخلقة كبيرة وعديدة وليست محدودة بل اصل معرفة سبع سماوات لم نعرفها بالحس فالحس لم يدركها إنما اخبر بها الغيب من الكتب السماوية وإلا البشر لا يعلمون أن وراء هذه السماء سموات أخرى، فبطليموس باعتبار انه قرأ في التوراة والإنجيل ففسرها بالهيئة التي عنده، ونتعجب من هؤلاء الحداثيون أو الهرمنطيقيا يقولون أن ما موجود في القران إنما هو بحسب البيئة العلمية، فلا يعلمون بان التوراة والإنجيل هي قبل بطليموس وهي موجود في التوراة والإنجيل وقبل الفلكيين والفلكيين لا يدرون السماوات سبع أو عشرة فهذا العدد للسموات كان قبل الفلكين والفلكين نظموا أمورهم على ما هو موروث وحتى هذا

البروفسور الاسكتلندي يقول أن قضية السبع سموات لم يدركها الفلكين ولا الفيزيائيين وإنما على ضوء النبوءات التي تذكرها الكتب السماوية فنقول لابد من تصويرها الفيزيائي هكذا وإلا الصورة لم تنقدح في ذهن البشر لا أنها مأخوذة من بطليموس فانظر إلى هذا التعجرف فينسب ما في الكتب السماوية إلى بطليموس بل أن بطليموس أخذها وحاول أن يفسر على تفسير فلكي ما موجود في التوراة والإنجيل، فالذي صوره بطليموس كأنها قشور بصل وتطبق على بعضها البعض وهذا التصوير من بطليموس كان بعد النبي موسى فكيف النبي موسى يأخذ ذلك من بطليموس، وحتى في أدعية صحف إبراهيم وحتى في كلمات النبي نوح موجودة وفي تراث ادم موجودة أي في صحف ادم، وهذا نموذج ان أصول علوم البشر مأخوذة من الأنبياء والكتب السماوية وتراث الرسل.

فالكلام فرق بين أن تعرف أصل لأعلم ثم عندما يفتح لك تذهب إلى غرفها وفروعها وبين أن اصل الانفتاح لا تلتفت إليه فكل هذه العلوم من أصول الأنبياء السابقين، فأصل الكيمياء اعترفوا انه من الإمام الصادقعليه السلام من خلال تلميذه جابر بن حيان، فالمقصود أن أصول معادلات العلوم هي من الأنبياء فكيف يقولون أن الأنبياء لا يعلمون بالطبيعة كيف ذلك وهم مؤسسون معادلات علوم الطبيعة، بل ابسط الامور تعلمتها البشرية من الانبياء فحتى اللباس فلم يكن يعرفوه فإدريسعليه السلام بدأ بالخياطة أو آليات الحرب فالنبي داوودعليه السلام هو من أسسها وغيرها وكلها من سلسلة الأنبياء

واصل علم النجوم احد الأنبياء أتى به الذي هو يقال سبب وجوده ، الآن لا تريد أن تستقصي التاريخ وتعرف الحقيقة وتريد أن تقول أن البشر هم أصحاب الدور وليس الأنبياء فهذا عناد ولجاج وهو بحث آخر، الآن كيف الكلمة لها إعراب أي لها غير الحرف الظاهر الإعراب هو حروف ولكن حروف ذائبة صغيرة فأنت تتهجى بحرفين الحرف المعرب وهذا الحرف واقعا حرفين صغير وكبير وما التفت إلى نفس هذه الظاهرة إلا علي بن أبي طالب ثم التفت الناس إليها، فالتعليم كله سماوي وإلا الإنسان لا يستطيع أن يفجر فطرته.

ومن يريدون أن يتسلقوا ورائها لا يستطيعون فكل ما حاولوا أن هذا الجدار أن يخترقوه لم يستطيعوا ذلك كأنما العقل البشري أن يخترق هذا السقف فيقول له الباري اخسأ وارجع ويقولون لو عرفنا ما ورائها لاكتشفنا أسرار مهولة في الكون ولكن لا نعرف، فالبشر أكثر علومهم هم مقلدة للأنبياء وعندهم بالفطرة انه يوجد ورائه شيء إجمالا ويعلمون أن الحقيقة وراء هذا، فلذلك نتعجب لمن يريد أن يسفه الأنبياء بعلوم البشر الذين هم في الحقيقة كلهم عالة وطفيليون على الأنبياء فهم عيال الأنبياء لا العكس وعجيب تمرد البشر ولجاجه، وكل هذه العلوم مذكورة وموجودة عهود عديدة من الأنبياء غير العهدين القديم والجديد الذي يقطع الطريق أمام من أن يقول أن الأنبياء متأثرين وإنما هم تأثروا بالأنبياء فاصل الطب والقضايا الأخرى تبدأ من الأنبياء وكل بدا الحرف والصناعة هي من

الأنبياء.

وعندنا في الروايات العديدة ولعل في اصل بوذا كان هـو نبي ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقد حرف أتباعه أصوله الأخلاقية واصل أن هناك خلق وخالق وان هناك روح مأخوذ من الأنبياء، فهذه الأمور من العلوم الإنسانية من الأنبياء والعلوم الطبيعية من الأنبياء وفي الواقع يوجد تحدي وهو تأسيس الأنبياء للعلوم الكثيرة، والآن يكفيك المنهزم في نفسه يكفيه أن لا ينهزم في نفسه يشاهد عهد علي عليه السلام لمالك الاشتر فرغم تطور العلوم الإدارية والعلوم الاستراتيجية وعلوم النظم فقد صوتت البشرية في الأمم المتحدة وليس بسعي إسلامي ولا شيعي أنها صوتت على أن هذا العهد جدير بإدارة الدول ومصدر لقوانين البشرية والعلوم الإدارية والنظمية بعد مضي أربعة عشر قرن من كتابته والعلوم الاستراتيجية من اعقد العلوم لأنها فيها معادلات المتغير وهي صعبة وليس من قبيل علوم أخرى بل علم جدا صعب فالذي يخوض في علوم الإدارة يلتفت إلى أن علم الاستراتيجية والنظم كيف هو صعب، فأنت تنظم ما هو متغير فحتى هذا النظم لابد ان يجري عليه تغير لكي تستطيع السيطرة على المتغير، ورغم السيطرة على كل متغير هو صعب فكيف بين نظم معينة في كل المجالات وبعد أربعة عشر قرن هي جديرة ورائدة وهناك لجان علمية تخصصية بحثت جدارته وجدوائيته وليس مجرد أمور تصويتيه، وهذه كلها منبهة أن السماء رائدة علوم الأرض وان السماء تتكفل تكامل أهل

الأرض.

والثورة الصناعية روادها رغم إخفاء الساسة والعلمانية لذلك أن روادها يشهدون أن أكثر الالتفاتات العلمية المهمة هي من النصوص الدينية واينشتاين يذكر ذلك، والذي اكتشف البكتيريا باستور أو غيره أو مكتشف الكهرباء فهم يلاحقون النصوص الدينية اعم من مسلمين أو يهود او نصارى فيلاحقون النصوص الطبيعية الدينية في اكتشاف العلوم الطبيعة، اتفاقا هم الآن في اعترافات أن معظم بنى الثورة الصناعية الغربية هي اكتشافات إسلامية فالساعة أو التحكم في الزمن فكم له تأثير في كل الثورات العلمية الموجودة، وعلوم المسلمين علومهم منطلقة من تأسيس أهل البيت لعلوم الإسلام، إذاً تفجير بدايات العلوم مفاتيحها من الأنبياء فحتى في التعميم ففيها ما فيها من بيانات وإنما أنت مثلا لست بفيزيائي ولا مراجع لتاريخ الفيزياء فهنا الطامة الكبرى أن تحكم من بعيد على تاريخ الفيزياء، فسروش الآن ليس فيزيائي ولا يعرف تاريخ الفيزياء ولا يعرف ان التاريخ له تخصصات فمن الخطأ في الجامعات الأكاديمية أن يأتي لك شخص إنا مؤرخ في كل القرون فيقال لك اذهب أنت عشوائي فإذا أردت أن تتخصص في نصف قرن وفي جانب من الجوانب ثم احكم بشيء أما أن تأتي وتطلق أحكام عمومية فهذه جهالات في العلم إذا أطلقنا نفينا وإثباتا ولكن نحن نستند إلى منبهات موجودة في إشارات الوحي، الآن بعض المعلومات التي ذكرت بين مولد بطليموس وتاريخ وفاته وبين النبي موسى وأعطيك

معطية تاريخية، أما أن نطلق أبهامات فهذه نتيجة خطرة، وان هذه المائة سنة من الثورة الصناعية مهدت لها التي قبلها وثم هذه المائة سنة الأخيرة ليس كلها نتاج عقولهم هم، والى الآن ليست عقولهم التي تدير الناسا فالنسبة الأكبر منها عقول غير أمريكية والجامعات الأمريكية القسم الأكبر منها تدار بعقول ليست أمريكية هي عقول أكثرها غير أمريكية، ونحن ليس لنا عنصرية معهم بل نحن عندنا تحسس معهم من جهة الأنبياء أنهم أنبياء أو غير أنبياء وبيئات وجهود الأنبياء هي التي أسست مثل هذه الأمور، ونعاود بالكلام بأنه من عرف تاريخ علم النجوم متى بدا ومن الذي وضع علم النجوم فإذا عرفنا التاريخ حينئذ يقول القائل مقولته.

### ثالثاً: القرآن منبع للعلوم:

يقولون أن الذي وضع علم الاجتماع هو ابن خلدون ؟، من قال انه ابن خلدون وما هذه النكات الاجتماعية المذكورة في نهج البلاغة كحكم وغيرها وفي القران، إذاً المقصود يجب التثبت فيه هل أن رسالات السماء هي تأثرت بالعلوم البشرية أو العلوم البشرية انطلقت من رسالات السماء، وليس خصوص سيد الأنبياء بل منذ ادم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويحيى وداود....، فالأنبياء عرفوا للبشرية الأعراف. نعم صحيح الإنسان ان المعارف مدفونه في عقله «بعث الله الأنبياء ليثيروا فيهم دفائن العقول»[١] فدور الأنبياء اظهار هناك موجود في الفطرة دفائن العقول لا أن البشر

---

(١) نهج البلاغة/ ص٤٣.

كالبهيمة بل مخزون فيها ولكن الإثارة ليست هي من قدرة ووظيفة البشر بل هي وظيفة السماء وقدرة الباري تعالى «ليثيروا فيهم دفائن العقول ويستأدوهم ميثاق فطرته» وهذه الفطرة فيها مواثيق علمية كبيرة جدا ولكن الذي يفصل ويفتق هذه الأكمام هو دور الأنبياء لا أن نقول أن الأنبياء هم يستفيدون من علوم البشر، فمثلا الآن حتى للأسف محققين كبار في المعارف وذوي باع في الحكمة والتفسير في قوله ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يقول ليس هو الفيزياء وليست تبيانا للكيمياء، مع أن القران يقول ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾[١] فهل هذا إغراق في القران أو أن هذا صحيح، نعم الدور الأهم في القران هو الهداية وفرق بين دور الهداية ودور اظهار العلوم والهداية شيء أعظم من العلوم، فالقران مع انك لست فيزيائي لا يعلمك الفيزياء، أما إذا كنت فيزيائي فقد يعلمك الفيزياء أو يجعلك ويعلمك كيف توظفها في الكمال ولسعادة البشرية لا لدمارها، فالفيزيائي لمن يلتفت يعلمه، وإذا قلنا أن للقران وجود علوي إذاً رسالات هي روافد تهدي البشرية وتبيان لكل شيء فهو تبيان لكن من له قدرة فهذا بحث آخر، ويقول الباقر عليه السلام لو شئت لاستخرجت الدين كله من لفظة الصمد فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عَزَّ وَجَلَّ، حملةً، لنشرتُ التوحيد، والإسلام، والإيمان، والدين، والشرائع؛ من (الصمدّ).. وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أمير المؤمنين

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٥.

(عليه صلوات المصلين) حملة لعلمه»[١].

وهذا بحث آخر فمن يستطيع بهذه القدرة. بل من يستطيع من هذا المتن الظاهر الكثير الكثير ومثل علم الرياضيات هم يقرون أن علم الرياضيات يستطيع أن يجيب عن كل أسرار الكون ولكن من الذي عنده القدرة أن يفجر ذلك ؟ ولذلك لم يجحدوا أن في القران القدرة على كشف الإسرار لكن من المعلم الذي يقتدر على استخراج ذلك وهو شخص لابد ان يكون مرتبط بالسماء، والكيمياء والإحياء والفيزياء هذه لها قدرة أن تكتشف أسرار الحقيقة ولكن من يستطيع أن يستخرجها من تلك العلوم فهذا ليس من قدرة البشر نعم البشر عنده سعي وعنده حركة والسماء تدعوه إلى عدم الجمود بل تدعوه إلى الحركة ولكن لا أن لا يتمرد على السماء فأنت متعلم وطالب حقيقة وعندك قابلية لان تتعلم فلا تتمرد على المعلم الأصلي لك والمعلم الأصلي هو السماء.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ص٩٢.

## المبحث الخامس: معاني الوحي و أنواعه

قيل ان الوحي في اللّغة كما يظهر من بعض اهل المعاجم هو الإِعلام بخفاء بطريق من الطرق[1].

وفي القرآن الكريم جاء في موارد متعدّدة مختلفة منها قوله سبحانه:

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾

بإيجاد السنن والنظم في كل سماء.

ومنها قوله سبحانه:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)﴾

ما أودع في خلقه وكيان النحل من غريزة يتوصل من خلالها إلى أعماله الحيويّة.

ومنها قوله سبحانه:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾

---

(١) راجع في ذلك معجم مقاييس اللغة:٦-٩٣؛ لسان العرب:١٥، ٣٧٩.

ايضاح مصير النبي موسى عليه السلام لأُمّ موسى كان بإلهام وإفهام خفي، عبّر عنه بالوحي.

ومنها قوله تعالى في وصف زكريّا:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

فقد أشار إليهم من دون أن يتكلّم، لان الله تعالى امره أن لا يكلّم الناس ثلاث ليال سويّاً.

ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾

عبر طرق الشياطين من الوسوسة والتزيين وبذر الافكار في الاخرين ممن كان مستعدا لذلك.

والمهم هنا ان الغالب في استعمال كلمة الوحي في القرآن هو كلام الله المنزل على نبيّ من الانبياء، فكلّما مورد ذكر فيه الوحي من دون تقييد او تخصيص او قرينة فيراد منه وحي النبوات، وهو شعور خاص يوجده الله سبحانه في الأنبياء.

وفي المحاجحة «فقال ابن صوريا قد صدقت يا محمد فقد بقيت خصلة أن قلتها آمنت بك واتبعتك أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله قال جبرائيل».

وفي كثير من الكتابات والأبحاث أن مصادر الوحي على أقسام وأنواع عديدة جداً ومن الخطأ حسبان أن الوحي على نمط واحد، وتقول الآية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1] فهذا خصوص التكليم فالتكليم له ثلاث أنماط، وإلا فهناك وحي صورة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾[2] فهذا تكليم بمعنى اخص، وهناك آيات لم ينزل بها جبرائيل عليه السلام منها ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[3] وهناك نزول جملي للقران لم ينزل به جبرائيل عليه السلام، فهذا نوع من الوحي وليس خصوص التكليم الذي هو سماع سواء بالقلب أو الإذن أو غيرها، فالوحي اعم فقد يكون بالرؤية وبالتأييد والتسديد، وبالمناسبة أن الآية الثانية هي تأتي بعد الآية المقدمة التي تقسم أنواع التكليم الإلهي.

وفي آية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ يشرح في نهج البلاغة أن هذا وحي من نمط آخر، فالخلق العظيم الذي تكون للنبي صلى الله عليه وآله وقد شرحه أمير

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٣) سورة الشورى: الآية ٥٢.

المؤمنين عليه السلام في احدى خطبة قائلا : «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»(١).

فحينما اكتملت المكارم قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ فهذا الخلق العظيم يسميه أمير المؤمنين عليه السلام نوع من الوحي وهو وحي تربوي ثم ان شاكلة نفس الرسول مصاغة بيد إلهية وهذا نوع من الوحي، لأن كل سلوك وخلق النبي صلى الله عليه وآله يدل على أدب وخلق الهي، وهذا المبحث مبثوث في الروايات ولكن في جملة من الأبحاث الكلامية والتفسيرية تشاهد عندهم اقتضاب في هذا البحث لذلك عندما يصلون إلى مباحث وعرة وحساسة يحصرون الوحي بأقسام خاصة، مثلا قوله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾(٢) فهذه عصمة النبي صلى الله عليه وآله في النطق، وقالوا هذا عصمة النبي صلى الله عليه وآله في تبليغ الوحي، ونقول أي وحي منها؟، وللأسف حصروه في وحي فيما إذا جاء جبرائيل والحال كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام أن الآية ليست في خصوص الوحي واللطيف أنهم حصروه في القسم الثالث من التقسيم بينما الآية ليست في خصوص هذا المقسم من الوحي التكليمي فضلا من الحصر في الثالث من ألتكليمي فنفس النبي صلى الله عليه وآله قلبا وقالبا هو وحي، فالوحي لا

---

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٨٧، طبعة عبده.

(٢) سورة النجم: الآية ٢ ـ ٤.

يختص فقط بالسماع، وفي قوله ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ فهذا ليس فيه معنى بل فيه متن وجود ولا يرتبط بالمعنى فحتى لو أردت أن تفسر ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى يوصل إليه المعنى فلا يندرج فيه مع انه نوع من الوحي، إذاً الوحي ليس كما ذكره التعريف الرسمي للمتكلمين أو التعريف الرسمي لكثير من المفسرين أو التعريف الرسمي لكثير من ابحاث المعارف من انه عبارة عن إيصال معاني أو سماع، بل أكثر فالوحي أنواع عديدة.

وذكر صاحب القوانين مباحث كأنها اليوم كتبت فبعض المباحث تجد كانه يناظر بعض العلمانيين اليوم، وبعض الاثارات كما ألآن يناقشها، وعنده عبارة ظريفة في الجواب على الإخباريين يقول أن البديهيات العقلية وحي الهي، فهذه الفطرة المبرمجة باليد الإلهية هي وحي، وفي الروايات

قال الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام:

«حجة الله على العباد النبي صلى الله عليه وآله، والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل»[1].

روي عن الإمام الكاظمعليه السلام[2]: «أن لله على الناس حجتين حجّة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة وأما الباطنة فالعقول».

---

(١) الكافي: ١/ ٢٥.

(٢) الكافي: ١/ ١٦.

والميرزا ألقمي غير اللفظ وقال وحي باطن ووحي ظاهر، فهذا وحي بمعنى البديهيات لا نظريات، إذاً هذه الفطرة المودعة البديهية التي هي رأس مال الإنسان هي وحي فطري خفي وهو يتحكم في الإنسان واستعمل في الآيات والروايات فالوحي أقسام عديدة.

وهناك وحي آخر كما ذكرنا وهو أن نفس الشيء الموحى وهو الروح الامري وآلة الوحي الله اعلم بها، فالشيء الموحى إلى الرسول هو وجود الروح الامري وقد أودع في روح الرسول وغرز الروح الامري في روح الرسول وهذا نوع من الوحي كما تغرز الفطرة في الإنسان ولكنه غير ذلك وأعلى، ويقول ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ وهو العلم اللدني، فالوحي أقسام وأنواع إذا تتبع المتتبع لروايات أهل البيت عليهم السلام يجدها كثيرة وغير ما حصرها وقسمها العرفاء وان كانوا أكثر سعة من المتكلمين.

لذلك آية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ فأي وحي هذا ؟ فليس فقط وحي الصوت، ونفس ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ هو وحي، وهذه تدل على عصمة النبي صلى الله عليه وآله العلمية والعملية، فالغواية أو الهوى الجانب العلمي وضل هو الجانب العلمي حتى في الصغريات، فيتركون قوله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾ ويتمسكون بقوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ ويفسر بقسم واحد من تصرفات وحياة النبي صلى الله عليه وآله من الوحي.

أن المعراج هو نوع من الوحي وهو نحو من مكاشفة عاليه ومشاهدة

تامه ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾[1] وهذا نوع من الوحي، فالوحي أقسام وأنواع وباسم جامع نقول انه (ما خفي)، والضمير في الآيات يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله ما ضل هو وما غوى هو وما ينطق هو وفي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ قالوا هناك ليس المراد كل ما يصدر من النبي صلى الله عليه وآله بل نطقه فقط، بل الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله كله كتلة من الوحي قوله وفعله وهديه ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وبعضهم يقول هذا ليس في العاديات أي الامور والافعال الاعتيادية التي لا صله لها بالتشريع بل هو بما يرتبط بالتشريع، وكلامنا أين عاديات الرسول؟، فأسلوب التعامل انما الذي فيه منظومة من الأحكام وينتجها كاثار وسنة لازمة فأين معنى العاديات وبأي معنى تكون ؟؟.

قال الشيخ المفيد:

«فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره ؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنه لو عهد منه في سالف عمره سهوا ونسيان لارتفع الوثوق عن إخباراته ولو عهد منه خطيئة لنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة»[2].

وهذا مذهب الشيعة الذي شهد به علماء السنة قال الفخر الرازي :

---

(١) سورة النجم: الآية ١١ ـ ١٢.

(٢) النكت الاعتقادية ص ٣٧.

«اختلفت الأمة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على قولين أحدهما قول من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع منهم ذنب صغيرا كان أو كبيرا لا عمدا ولا سهوا ولا من جهة التأويل وهو قول الشيعة»[١].

مثلا قد تقول من اختلاف سنة النبي صلى الله عليه وآله في المصاديق أن غرفته كانت من الطين فان هذا خاضع لتبدل المصداق وهذا حتى في القضايا الشرعية التي مثلاً ﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ أو (فاستعففن) فالمصاديق والآليات تختلف لكن ليس موضوع حكم شرعي، واتفاقا هذا التساؤل في عاديات الرسول تذكره قريش لعبد الله بن عمرو، فمنعته قريش وقالت أن الرسول إنسان يتكلم في الرضا الغضب والسرور والرخاء والعاديات، فقال للنبي ذلك وكان جواب النبي صلى الله عليه وآله «اكتب فو الله ما يخرج من هذا إلاّ حقا»[٢].

«... عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بإصبعه الى فيه فقال: أكتب، فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق!»[٣].

---

(١) المحصول ـ ٣\٢٢٥.
(٢) روى أبو داود في سننه ج ٢ ص ١٧٦.
(٣) ورواه ( أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٩٢ ) بتفاوت يسير.

وحتى في العاديات فيها بحث الآداب وأسلوب التعامل لذلك كلهﷺ قالب وحي كيفية مشيه وجلوسه وكيفية تعامله مع أهله وأسرته، ولذلك ضبط هذا في التاريخ والسير.

نعم القضايا الشرعية لا تقتصر على مصداق واحد فقد يتبدل مصاديقها ولكن القالب نفس القالب، مثلا مسواك رسول اللهﷺ وان كان الأطباء الباحثين لحد ألآن يقولون حتى المسواك له خصوصية طبية، وقد يستفاد البعض التعميم إلى الفرشاة والمعجون ولكن أصل التسوك هو مستحب في نفسه وتأسي.

إذاً كل أفعال النبيﷺ هي راجحة فعاديات النبيﷺ هي في الواقع راجحة فمن أراد أن يقلد النبيﷺ في أقواله وسلوكه وهديه لا يقتصر على المصاديق السابقة فقد تستجد مصاديق أخرى تحمل نفس الطبيعة، لان طبيعة الأحكام تجري مجرى الليل والنهار، لذلك ذكرنا كثير من المسلمين ضبطوا كيفية جلوس النبيﷺ ونومه ومحادثته وإقباله ودرجة صوته وحركة عينية، فهذا الضبط لفهمهم أن هذه الأمور هي آداب شرعية استنبطوا من ذلك آداب شرعية وبالتالي يدل من انه مصدر تشريع.

المقصود أن الوحي أنماط وموارد كثيرة تتسع لتشمل كثير من المواطن المعرفية واحد معاني الوحي تطهير الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ فهذا نوع وحي

ولكن ليس وحي سماع وكلام، يعني أن هذا القلب مصاغ بيد القدرة الإلهية، واحد معاني الوحي انه يبرز لك الإرادة الإلهية والشاكلة والأنموذج والهدي الإلهي، فصياغة الطهارة وإذهاب الرجس بيد القدرة الإلهية نوع من الوحي، وهذه نكتة مهمة في المعارف وهو أن الوحي ليس خاص بالنبوة بل اعم بما يكون ارتباط بالغيب بشكل خفي.

«فقال ابن صوريا قد صدقت يا محمد أن قلتها آمنت بك واتبعتك أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله» وهذا سؤال إيهامي من أن الوحي فقط الرسول «قال جبرائيل قال ابن صوريا ذلك عدنا من بين الملائكة ينزل بالقتل الشدة والحرب» لان الذي خسف بقرى قوم لوط هو جبرائيل.

ونذكر ان تعريف النبوة الموجود في كتب المتكلمين أو والفلاسفة أو حتى العرفاء هو تعريف ناقص وقاصر ويسبب قصور في معرفة النبي صلى الله عليه وآله ويسبب بالتالي التجاسر في ما نتعاطاه من معرفة مع النبي صلى الله عليه وآله، لان المقابل يتوهم بان النبي صلى الله عليه وآله مجرد ساعي بريد، بل أن وجود النبي صلى الله عليه وآله وحي والقول انه ناقل فقط خطا في تعريف النبوة وفي معرفة حقيقة النبوة والرسالة، لأنه لم يعرفها، والقصور واقعا موجود في تعريف ومعرفة النبوة والرسالة ما هي.

### اتساع معاني الوحي:

ومن الأمور التي وقع الاشتباه فيها هو أن الوحي على نمط واحد من كونه وحي الهام أو صوت أو تكلم، كلا فان التسديد وحي والتأييد

وحي، ويشرح أمير المؤمنين عليه السلام في أصول الكافي أنماط وأنواع عديدة من الوحي، وخلق الطينة من طينة خاصة نوع من الوحي وهي طينة الفطرة، فكيف ننطلق نحن في الفطرة من البديهيات ونستطيع أن نستعلم المجهولات إذا كانت الفطرة البديهية واسعة جدا أو قل كل الأمور الفطرية بديهية، وتعبير الميرزا ألقمي في القوانين أن البديهيات الهام، إذاً الوحي أنماط فقوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فيوحى إلي أنماط، ولأنه على الدوام يصل إليه مواد الوحي كما في تعبير الروايات ولذلك هذا سبب وباعث لقدويته ولزوم التأسي به، كما في روايات البخاري موجود عندهم .

وقد يستعمل الوحي بمعنى اخص ولكن لا يعني أن الوحي معناه خاص، مثلا ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ ...﴾ هذا فقط في التكليم وغير التكليم شيء آخر ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1] فالوحي أقسام وأنواع، فمثلا في قوله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ فقالوا هذا وحي بمعنى اللطف، وكيف يكون كذلك والآية تقول ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾[2] فهناك ستة اختبارات وأوامر فكيف يكون بعد ذلك معناه لطف ؟!، فان معنى اللطف عندهم هنا هو

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٢) سورة القصص: الآية ٧.

توفيق من الله، فالوحي الذي فيه تسديد وفيه عصمة وفيه آثار فهذا لا يقتصر على الهام أو التكليم أو الرؤية، وهذا الأمر صيرفته وتثمينه عند من يعيش هذا العالم وهم أهل البيت عليهم السلام والذي لا يعيش في هذا العالم لا يدري بالأول والأخر فيه ولا يمكنه ايضاح حقيقته فضلا عن الوصول اليها.

إذاً سبب خطئهم في بحث الوحي أنهم يظنون الوحي فقط هو الإلهام أو الكلام أو الرؤية، ولذلك أمير المؤمنين عليه السلام في أصول الكافي يشدد على هذا المطلب وهو أن الوحي أنماط وأنواع وأقسام، وخلق طينة النبي صلى الله عليه وآله من أفضل الطين هو نوع من الوحي لان هذه الفطرة معلومات وكمالات وهذه الفطرة رابطة بين الإنسان والغيب، فان لله على الناس حجتان باطنه وظاهره والحجة بمعنى الواسطة والرابطة، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[1] فالدين وحي.

وتعبير الميرزا ألقمي في الجزء الثاني في القوانين بجوابه على الإخباريين في مسألة ما حكم به العقل حكم به الشرع والميرزا القمي غير اللفظ في الرواية في وصف العقل وقال نفس حكم العقل هو وحي واستلهام من اللوح المحفوظ في البديهيات وليس النظريات، إذاً الوحي ذو أقسام وأنواع وأنماط، ومنها الأدب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ فان هذا من أقسام الوحي كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، أصلا استعراض الله عن

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

النبي صلى الله عليه وآله موسى من بداية طفولته والى أن كبر كيف كان تحت الحراسة والتربية والتوجيه والإرشاد الإلهي، وهذه كنعوت مؤهلة للنبي موسى كنبي وقدوة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

ولذلك المشكلة حتى في كلمة الوحي عند السيد الخوئي وعند السيد الطبطبائي في الميزان وقد طغى في الساحات العلمية مقولات العامة والحال أن الوحي في اصطلاحات روايات أهل البيت عديدة جدا، مثلا في القران ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾(١) فالموحى روح والموحى هو الله والموحى إليه النبي صلى الله عليه وآله والواسطة الله اعلم من هي وما هي، أي خلق روح القدس في أرواحهم هو وحي، وكل هذه جهات تعطيك زوايا متعددة لتكتل الوحي بأنواعه وأقسامه في النبي صلى الله عليه وآله.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٢) فهم يقولون في الشرعيات لا في الأمور العادية ؟، فيا ترى أي شيء عادي في النبي صلى الله عليه وآله وكما يقول ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ يعني كل خلقك والأفعال مولودة للأخلاق بالبرهان العقلي والفلسفي والعرفاني فكل أفعاله وليدة خلق عظيم بشهادة رب الخلقة، فهم يقولون الأفعال العادية فلا أما الأفعال في جلسة التشريع فصحيح أما في الأمور العادية هو بمنزلة الشافع

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

مثلا ولا يعمل ولايته؟، وهذا غير صحيح لان التشريع على أقسام، فهو في كل أخلاقه على خلق عظيم في حله وترحاله وفي نومه ويقظته وسكونه وحركته وقوفه وجلوسه وفي بيته وظهوره وفي حربه وسلمه، أما بعض الخلق فلا لانه لم يقل انك على بعض الخلق عظيم، فالآية فيها تعميم، والخلق هو مجموعة المنظومة التي تسير البدن، ولذلك وصف بالعظمة وليس فقط في هذه الآية فهناك آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾[1] فمكانة النبي في كل شؤونه هكذا مكانة عظيمة بحيث الإنسان يفقد إيمانه بإساءة يسيرة في نظرنا غير مقصودة تجاه النبي تخرج وتمرق الإنسان من الدين، فهنا لا يشعر بالنتائج وإلا مقصوده ارتكازا موجود ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ كلها افخام من الله عز وجل لمن قاموا بها وهذا واضح انه على سدنة إلهية عظيمة.

ومن قواعد معرفة العصمة في المعصومين وهي قاعدة التكامل في المعصومين، وقد مرت بها شؤون وجهات وحيثيات عديدة منها أن تلقي المعصوم عن المعصوم في الدرجة الأولى ليس تلقي مادي وإنما هو تلقي نوري وإلهامي وتلقي من ألوان القنوات الغيبية والملكوتية ومن ثم يعبر عن أئمة أهل البيت أنهم سفراء الله في خلقه، فالسفير لا يختص بالنبي صلى الله عليه وآله بل بكل قناة غيبية توصل مرادات الغيب إلى الضفة البشرية النازلة فيعبر

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٢.

عن تلك القناة بالسفارة. وأقول لا يتلقى بسمعه البدني وإنما بسمع البرزخي أو العقلي أو الملكوتي.

وبالتالي تتلقى النفس الجزئية وهي ليس البدن وإنما النفس الجزئية ليس البدن الدنيوي وإنما بلحاظ البدن الخاص في قبال النفس الكلية والروح الكلية بل بلحاظ ابدأن مختلفة أو بلحاظ المادي ككل فهذه الكلية والجزئية ليست المنطقية وإنما يعبر عنها كلية أو جزئية في علم العرفان أو تستخدم في علم الاقتصاد، ففي الاقتصاد كلي ليس كلي منطقي وإنما اقتصاد كل البلد واقتصاد جزئي المراد عينة خاصة والكل والجزء قد يكون في المقادير والسعة الوجودية سواء كانت كل مادي أو سعة وجودية غير مادية. وورد تعبير في عزرائيل عليه السلام وهو ملك مقرب أن الأرض والنفوس عنده كالجوزة.

فتلقي المعصومين عن النبي صلى الله عليه وآله غير منقطع بخلاف غيرهم منقطع، ونفس ما يتلقاه المعصومين ليس يتلقونه عن السمع وان كان فيها السمع موجود وهو برزخي أو غيره « يا حسين أن الله شاء أن يراك قتيلاً» وهذا التعبير موجود ولكن ليس بالضرورة سمع حسي بدني ومضافا إلى ما مر بنا أن سنة النبي صلى الله عليه وآله حكمها حكم القران وكذلك الكلام في مصحف فاطمة والصحيفة السجادية فوجودها الحقيقي هو وجود غيبي ومقام تكويني، إنما هذه الألفاظ تنزلات، فسنة النبي صلى الله عليه وآله وهدي النبي صلى الله عليه وآله وشرعه هو عين مقامات النبي صلى الله عليه وآله فهذه السنة ليس من حافظ وواصل لها بشكل غير

منقطع غير أهل البيت، كما أن القران له منازل غيبية هي حقائقه وهذه الألفاظ في المصحف تنزلات وترقق وتشفف وترشح، ودائما يصف القران الكريم انه تنزيل وهو غير التصعيد، فمقامه في الأصل شيء غيبي وإنما هي تنزلات وكذلك مصحف فاطمة، ووساطة فاطمة للائمة في العلم ليس فقط في المصحف المنقوش وإنما احد النوافذ الغيبية فتحتها للمعصومين، فتنزل عليها فصار مقام يرثونها منها فقد ورد في الزيارة «السلام عليك يا وراث فاطمة بنت رسول الله» وهذه الوراثة تكوينية، لذلك علم الأئمة بمصحف فاطمة يظهر ويترشح في ورق، صحيح هو مصحف ورق كما القران أيضا، ولكن هذا تنزل له وجود آخر حقيقي ملكوتي، وهذا المعنى الوجودي ليس في القران فقط بل الزبور والإنجيل والتوراة وصحف إبراهيم وموسى والصحيفة السجادية والسنة النبوية كذلك.

روى أبو بصير قال:

«دخلت على أبي عبداللهعليه السلام فقلت له إني أسئلك جعلت فداك عن مسألة ليس هيهنا أحد يسمع كلامي فرفع أبو عبداللهعليه السلام ستراً... «وساق الحديث»... حتى أجابه الإمام قائلاً: «وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد انما هو شيء املاها الله وأوحى اليها قال قلت هذا والله هو العلم انه لعلم وليس بذاك قال ثم

سكت ساعة ثم قال: انّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه العلم وما هو بذاك، قال قلت جعلت فداك، فأي شيء هو العلم، قال ما يحدث باللّيل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة».

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجّدتنا فاطمة عليها السلام حُجّة الله علينا»[1].

من يتوهم بان سنة النبي صلى الله عليه وآله حفظها في سمعها، فمن حفظها فهذا انما هو من التنزل وإلا اكتناه تلك السنة النبوية يعني اكتناه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ وفي كلمات أمير المؤمنين وبياناته يقول فلما كمل خلق النبي صلى الله عليه وآله قال له الباري ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ ثم قال ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ حينئذ بعث النبي صلى الله عليه وآله رسولاً، وحينئذٍ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وحينئذ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، في المرتبة النازلة لم يبعث ولكنه كان نبيا وهناك خلط خاطئ بين البعثة بالرسالة والبعثة النبوية فالبعثة النبوية كانت وهو جنين في بطن أمه. وتلك المرتبة من النبوة غير هذه المرتبة من النبوة في النفس الجزئية.

وعلى أي تقدير هذه الكتب لها مقامات غيبية تكوينية ملكوتيه ولذلك

---

(١) تفسير أطيب البيان: ١٣ - ٢٢٦.

ورد في الحديث أن حديثنا له ظهر وبطن وللبطن بطن إلى سبعين بطنا كالقران الكريم

قال أبو جعفر عليه السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل محمّد صلوات الله عليهم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله تعالى، وإلى الرسول صلى الله عليه وآله، وإلى العالم من آل محمّد صلى الله عليه وآله وإنّما الهالك أن يُحدَّث أحدكم بشيء لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر»[١].

وهذا إشارة للمقامات والأصول الملكوتية وقوله أن في كلامنا محكم ومتشابه، فعلى أي تقدير حفظ سنة النبي صلى الله عليه وآله من غير المعصوم لا يمكن بما تقدم من البيان، أضف إلى أن نفس هذه الألفاظ المنزلة في درجة ألفاظها لم تحفظ بشكل تام عند غير المعصومين في مرتبة الألفاظ وبالتالي فان الأمر اشد في مرتبة المعاني المستعملة وفي مرتبة التفهيم اشد ومن ثم مرتبة المراد الجدي اشد ومن الحتمي ان مرتبة البطون اشد واشد.

فالحافظ لسنة النبي صلى الله عليه وآله هو المعصوم في درجاتها كافة وكم رأينا في أبواب أحاديث أئمة أهل البيت تخطئة ورفع الالتباس والاشتباه الموجود

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٠/ ١.

عند العامة، فمن إسقاط لفظة تغير راس المعنى وحقيقته وتقديم وتأخير يغير المعنى من راس، وقرائن خفية خفيت عنهم ؟، فان من كانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله لم يدركوا خفايا القران ولا يلمون بها تماما فان افهامهم مختلف واستيعابهم مختلف وحذاقتهم مختلفة ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ فالوعي واصل الالتفات ليس للكل، فليس الحديث بالرواية بل الحديث بالرعاية، وهذا لرد شبهة من يقول أن حفظ سنة النبي صلى الله عليه وآله شريط صوت كما يقول العامة، وشبهة من يقول أن هذا اختلاق من النبي صلى الله عليه وآله فهذا إفراط وتفريط، والآن شبهة دائرة وهي موجودة عند عرفاء الصوفية وهي هل النبي صلى الله عليه وآله مجرد ساعي بريد ويأتي بطرد بريدي أو يعي ويستلهم وينبني بما يوحى إليه وفي حين إنما يوحى إليه ليس من صنع النبي صلى الله عليه وآله فهو حد بين حدين فمن جهة تقول انه ليس من صنيعة النبي صلى الله عليه وآله فهذا اللفظ هو ألفاظ الوحي الإلهي وانظروا إلى الأقسام كم هي فالقران وحي والحديث القدسي وحي والسنة النبوية وحي آخر ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ وعلى الأقل أن العامة تقبل في سنة النبي صلى الله عليه وآله أنها وحي وهي تبليغ للشريعة، وللنظر أن سنة النبي صلى الله عليه وآله تختلف في وحيانيتها عن القران الكريم والحديث القدسي يختلف في وحيانيته عن القران الكريم فهذه أقسام في الوحي ولذلك في روايات أهل البيت التأكيد على هذه الحقيقة التي غفل عنها الكثير من الفلاسفة والعرفاء بان التسديد وحي والتأييد وحي وان خلقة المعصوم نوع من الوحي بأي شاكلة وطراز وهندسة خلقته نوع من الوحي الالهي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ فنفسه خلق النبي صلى الله عليه وآله كله إرادات وفق الذي يريده الله فإذا كنت تريد أن تستعلم إرادات الله التشريعية ما هي فانظر إلى خلق النبي صلى الله عليه وآله وهنا نروي هذه الرواية الجليلة

عن جابر بن يزيد الجعفي -في حديث طويل قال: قال الإمام الباقر عليه السلام:

«يا جابر إن لنا عند الله منزلة ومكاناً رفيعاً ولولا نحن لم يخلق الله أرضاً ولا سماءً ولا جنةً ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً ولا رطباً ولا يابساً ولا حلواً ولا مراً ولا ماءً ولا نباتاً ولا شجراً، اخترعنا الله من نور ذاته لا يُقاس بنا بشر، بنا أنقذكم الله عز وجل وبنا هداكم الله ونحن والله دللناكم على ربكم فقفوا على أمرنا ونهينا ولا تردوا كل ما ورد عليكم منا فإنّا أكبر وأجل وأعظم وأرفع من جميع ما يرد عليكم، ما فهمتموه فأحمدوا الله عليه وما جهلتموه فكِلوا أمره إلينا وقولوا أئمتنا أعلم بما قالوا - إلى أن يقول - وفوض إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلنا الله عز وجل هذا المحل واصطفانا من بين عباده وجعلنا حجته في بلاده، فمن أنكر شيئاً ورده فقد رد على الله جل اسمه وكفر بآياته وأنبيائه ورسله، [...] الخبر»[١].

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ السَّجادعليه السلام قال:

---

(١) بحار الأنوار ج٢٦ ص٨، نوادر المعجزات ص١٢٠، عيون المعجزات ص٦٩، إلزام الناصب ج١ ص٣٦.

«اخترعنا من نور ذاته، وفوّض إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلّنا الله عز وجل هذا المحل، واصطفانا من بين عباده، وجعلنا حجته في بلاده»[١].

إذاً الوحي أقسام عديدة، ولذلك في تفسير أهل البيت ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ لا يفسروه بالوحي الكلامي بل الوحي أقسام والقران الكريم يبين ذلك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ حتى ان روح القدس في روح المعصوم فهذا إنشاء تكويني وخلقة ولكن يعبر عنه بأنه وحي. كما أن هناك أرواح متعددة من روح الغضب والشهوة والخيال وهذه أرواح وإيجاد هذه الروح في أرواح المعصومين فكل إنسان له أرواح والمعصوم يمتاز بأرواح أخرى فإيجادها وإنشائها تكوينا يعبر عنها القران ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ومثل التعبير القرآني الآخر ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾[٢] كما يلقي الكلام وهذا نفسه نمط وحي وأقسام الوحي في الروايات عديدة ولكن لم أجده لا في كتب الفلاسفة أو غيرهم الذين يبحثون حقيقة الوحي ومن أوليات حقائق الوحي مذكورة بروايات في أصول الكافي.

أما ما ورد أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم فهذا بمعنى الخفاء وهو بحث آخر. وكلامنا في الوحي الاصطلاحي الذي هو نتيجة العصمة

---

(١) البحار ج٢٦ ص١٤.

(٢) سورة غافر: الآية ١٨.

والاصطفاء بحيث هذا المتلقي يتلقى وهو معصوم ومصطفى وأما في غير المعصومين فليس عليه المعول، فبلعم بن باعوراء أوتي حرفا من الاسم الأعظم فهل كان سبب في ان يعصمه ؟ وهل هداه؟ فهناك فرق كبير بين المعصوم وغيره، وحتى الشيطان كان بينه وبين الله حواريات ومع ذلك لم يعصم من المعصية فهذا لا يسمى وحي.

إذاً الوحي أقسام وهذه مسألة اشرنا إليها كرارا ودائما وإذا وقفنا على شاهد قراني ننبه عليها، وهو احد الغفلات الكبيرة في المعارف، التي في كتب علوم القران وحتى التي كتبها بعض علماء الأمامية درجوا في تفسير أقسام الوحي مدارج المذاهب الاخرى وهذا من القواعد المعرفية الأم في تفسير القران فلاحظوا الميزان والبيان والتبيان ومجمع البيان وكتب تفسيرية أخرى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1] فهنا يفسرونها بالوحي وهذا نفس التفسير الرائج عند أولئك المخالفين بينما المراد هنا شيء آخر وهذا بحث طويل عريض له نتائج ويؤثر في بحث النبوة والإمامة وفي بحوث عديدة وهو معنى أقسام الوحي، والقران لديه طابع مشترك في قبال الحديث القدسي وفي قبال سنة النبي ﷺ فله طوابع مشتركة وفي هذا الطابع المشترك هناك تفاوت فهناك أم الكتاب وفيه آيات متشابهات ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

---

(١) سورة النجم: الآية ٢ ـ ٤.

مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾[1]

والمتشابهات ليس لها الأمومة لذلك ورد تعبير سورة يس قلب القران وسورة الحمد عدل القران فمراتب سور القران أيضا مختلفة فبعضها محكمات أمهات الكتاب وبعضها غير أمهات.

وذكرت في الإمامة الإلهية أن نزول القران ووحي القران أكثر مفسري الخاصة والعامة يفسرون نزول القران أن له نزولان والعجيب أن البعض ينكر النزول الجملي للقران الكريم، فإذا كان هناك نزول آخر ليس في متناول اليد إذا ما هو ومن ورثه وعن من؟، وهذه تقطع الطريق أمام الأدعياء والطامعين، فهي خاصة بأهل البيت عليهم السلام وهنا بيت القصيد وجذع الأنف، بينما الطبري وجملة من محدثي العامة اقروا بهذا النزول والإنزال الجملي للقران الكريم الذي تختلف حقيقته عن النزول المفرق، وقد بينت روايات أهل البيت ليس نزولان بل نزولات.

إذاً تلقي المعصوم عن المرحلة الغيبية هذا التلقي ليس تلقي بشاكلة واحدة فوراثة أبناء رسول الله عن رسول الله وراثتهم مقامات تكوينية هو نوع من حفظهم لسنة النبي صلى الله عليه وآله، فإذا كانوا يرثون من رسول الله روح القدس فهم بالتالي احفظ لسنة رسول الله لان روح القدس هو جزء

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

القالب الوجودي لـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ وهذا نوع من نقل الحديث ولكن ليس الحديث بأصواته وألفاظه وإنما نقل الحديث بحقائقه، فليس فقط سماع لفظي أو لفظي برزخي أو سماع برزخي أو ملكوتي، لان الوحي القرآني أقسام ونقل سنة النبي صلى الله عليه وآله على تلك الشاكلة هي على أقسام، مثلا كما يقول الباحث أتريد أن تشاهد النبي صلى الله عليه وآله فشاهد عليا فهذا يعني أن «أدبني فأحسن تأديبي» وعلي أدبه رسول الله وكما يقال « الولد سر أبيه ».

إذاً الشاكلة والنموذج الذي يريدوه من النبي صلى الله عليه وآله هو نفس علي بن أبي طالب عليه السلام مع حفظ علو النبي صلى الله عليه وآله وهذا يوضح لنا ان نموذج علي سلوكيا نوع من السنة المنقولة.

فكما أن القران الموحى له أنماط كذلك سنة النبي صلى الله عليه وآله حفظها وتوريثها ونقلها له أنماط وليس كما قد يتوهم، والآن هذه الأبحاث غير موجودة في علم الكلام والمفروض توجد وكذلك غير موجودة في علم التفسير والمفروض توجد وغير موجودة في علم الأصول والمفروض توجد، إذاً نقل سنة النبي صلى الله عليه وآله على أقسام وحفظ سنة النبي صلى الله عليه وآله على أقسام وحقيقة سنة النبي صلى الله عليه وآله هي على درجات.

ولذلك عندما يريد أن يحتج أمير المؤمنين على قريش في كثير من الأمور والمواطن يقول أنا ربيب رسول الله وهل يؤمن احد على السنة غيري، فشاكلتي هي شاكلة سنة ومساري ونهجي هو نهج السنة فأين تطلبون السنة في غيري، وهذا احد معاني نقل السنة وهو السيرة، وهم

يعترفون أن السيرة عبارة عن سيرة تربوية مثلا يؤكدون ان سيرة الصحابة عبارة عن سيرة تربوية مكونة من صنع النبي صلى الله عليه وآله، والسيرة احد مصادر وأقسام السنة، إذاً السنة لها أنماط وبعبارة أخرى للوصول إلى التنظير تارة نصل إليها من لفظ النبي صلى الله عليه وآله وتارة نصل إليه من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وتارة نصل إليه في تقرير النبي صلى الله عليه وآله وتارة نصل إليه في صنع النبي صلى الله عليه وآله كعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهناك فرق بين الفعل والسيرة فالسيرة تكرر ظاهر الفعل والفعل هو صرف الفعل، فالسيرة ظاهرة معينة أو نهج معين تتكرر.

## المبحث السادس: عمق الارتباط بين مقام النبوة والإمامة

«وكذلك محمدا رسول الله وعليا أخوان كما أن جبرائيل وميكائيل أخوان فمن أحبهما فهو من أولياء الله ومن ابغضهما فهو من أعداء الله ومن ابغض احدهما وزعم انه يحب الأخر فقد كذب» إذا كان الفرد يقر للنبي صلى الله عليه وآله بعمق تلك المعرفة التي فيها المعنى العام فلا يصح الإقرار في مكان والإنكار في مكان لأنه مما يدلل انه لم يقر بالطبيعة العامة، لذلك وقع المنكر اساسا في إنكار الوصاية والنص بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في الحقيقة لم يقر للنبي صلى الله عليه وآله بذلك المعنى الشامخ من مقام النبوة والمقامات الأخرى التي له صلى الله عليه وآله والمهم هنا نستطيع ان نتوقف عند مجموعة من الوقفات المهمة في هذا الصدد ومنها:

### الوقفة الأولى: ختام الأنبياء لا يعني ختام باقي المقامات:

ورد وصف النبي محمد صلى الله عليه وآله بأنه خاتم النبيين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[1] وقد بين المفسرون هذا

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

الوصف على أنه اخر الرسالات السماوية وأن النبي محمدﷺ آخر نبي من قبل الله إلى الناس.

ورسالة الاسلام جمعت كمالات ومعارف النبوات وزيادة عليها وفي الاسلام القدرة الحقيقية على مسايرة احتياجات البشرية الى يوم القيامة من الناحية المادية والمعنوية.

أنّ هذه الرسالة ستستمر سليمةً ضمن القرآن الذي لا يمكن أن يتعرّض لأيّ تحريف، كما حصل مع الكتب السماوية السابقة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وهي معجزة مستمرّة صالحة لكلّ الأحقاب التاريخية حتى بلوغ الأهداف النهائية للبشرية على الأرض.

أنّ بمرور الزمن ومن خلال تطوّر المعرفة البشرية، وفي تراث الاسلام إشارات واضحةً إلى ما كشف عنه العلم الحديث ولازال كثير من الحقائق لحد الان لم يكتشفها العلم وهي موجودة في تراث الاسلام.

واستمرار الاسلام بعد النبيﷺ من خلال الاوصياء الذين يمثلون الحجج لله تعالى في خلقه ويترتب على وجود الحجة بقاء العالم بإذن اللهّ سبحانه فقد قالﷺ:

«أهل بيتي أمان لأهل الأَرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأَرض»[1].

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»[١].

ومن ثم ان النبوة قد ختمت لكن المقامات الأخرى كالإمامة والاصطفاء فان ليس فيها اختتام فقد قَالَ صلى الله عليه وآله لا نبي بعدي ولم يقل لا صفي بعدي أو لا ولي بعدي أو لا خليفة بعدي أو لا إمامة بعدي أو لا حجج لله بعدي وإنما لا نبي بعدي ومن هنا من لا يقر بجميع السلسلة وهي سلسلة من اصطفاهم الله واختارهم او يقتطعها فانه نفس الطبيعة العامة لم يدركها ولم يقر بها.

**الوقفة الثانية: الوساطة بين الخالق والمخلوق اعم من النبوة:**

«فمن أحبهما فهو من أولياء الله ومن ابغضهما فهو من أعداء الله» لان أصل توسيط البشرية بين الله تعالى والبشر سواء توسيط عبر الرسالة أو النبوة أو عبر الوصاية والخلافة كما يحكيه لنا القران ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن

---

(١) نهج البلاغه: ٤٩٧.

يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾﴾[1] فليس رسولاً ولا نبي لكنه بعثته من الله وهي بعثة تنصيب الإمام من الله عز وجل ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ فهذا المعنى عام، إذاً أصل الحاجة الوساطة بين عالم الغيب والباري تعالى هو معنى مشترك بين الإمامة والنبوة وهي اعم من النبوة والإمامة من لزوم الوساطة بين الخالق والمخلوق، أو حاكمية الله عز وجل وولاية الله عز وجل التي هي موجودة في مقام النبوة كما مر في حكومة الرسول انه ليس الحاكم هو الرسول بل أن الحاكم الأول السياسي والعسكري والاقتصادي هو الله تعالى فضلا عن أن المشرع الأول هو الله تعالى وكل شي من دون امره ورضاه باطل.

**الوقفة الثالثة: مدرسة ال البيت ﷺ فيها توحيد الولاية:**

لسنا فقط نقر في التوحيد بالذات أو الصفات أو التوحيد في التشريع انه خاص بذات الله ليس كل ذلك فقط بل أيضاً نقر لله عز وجل بان الولي الأول هو الله تبارك وتعالى أي له كل صلاحيات القدرة والولاية وهذا هو توحيد الولاية وهو يوجد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام دون المدارس الإسلامية الأخرى ودون الأديان السماوية الأخرى فالمدرسة الوحيدة في الأرض التي لا زالت تقر بالولاية هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام بمعنى تقر بولاية اولياء الله.

فمعنى الولاية إذا اقره الشخص في النبي ﷺ فكيف ينكره ببقائه لله

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

ضمن وسائط أخرى وان لم تكن وسائط نبوية بل اولياء اخرون واوصياء، فالذي يقره في النبي صلى الله عليه وآله وينكره في غيره فهو في الواقع لم يقر بحاكمية الله في الولاية فهو غير قابل للتبعيض حقيقة لا تنزيلا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبلي»[١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله:

«من جحد عليا إمامته بعدي فقد جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله ربوبيته».

وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«يا علي، أنت المظلوم بعدي، من ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني، ومن والاك فقد والاني، ومن عاداك فقد عاداني، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني»[٢].

ثم قال الشيخ الصدوق:

«واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده - عليهم السلام - أنه بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء»[٣].

---

(١) شواهد التنزيل: ج١: ٢٧١.
(٢) هذه الروايات في (الاعتقادات الشيخ محمد بن علي بن بابوية القمي (الصدوق) ص ٣٨.
(٣) نفس المصدر السابق والصفحة.

**الوقفة الرابعة: التوسيط يعني الربط بين النبوة والامامة:**

كما بينا قبل قليل انه ورد في الروايات أن من أنكر وصيا من أوصياء النبي صلى الله عليه وآله الاثني عشر فكأنما أنكر جميع سلسلة الأوصياء والمرسلين، فالربط بين النبوة والوصاية والإمامة، هو أصل التوسيط، فالإمامة عبارة عن تنفيذ وتطبيق لنفس شريعة النبوة،فان شريعة النبوة لم تأتي لأجل العرض التشريعي بشكل تجريدي فقط وإنما لأجل التطبيق على اساس ان الحاكم هو الله تعالى، فهذا الربط التلازمي بين الإقرار بالوصاية والخلافة للرسول صلى الله عليه وآله وكل النبوات والمرسلين وهي ترجع لأصل واحد وهو ولاية الله وحاكميتها فأنت حينما تقر بضرورتها وحاجة البشر إليها وهيمنته على البشرية فتقر بها في الجميع، وان أنكرتها في حقبة من الحقب فقد أنكرتها في كل الحقب بل لم تقر بحقيقتها واقعا.

ألآن هذه الوساطة بين الأرض والسماء كيف تكون هل بالملائكة أو الوحي المباشر وهو امر لسنا في صدده لكن المهم هناك قناة واسطة مأمونة مع الغيب موجودة ومفعلة ولها أقسام، ولذلك الوساطة النبوية غير الوساطة المولوية لكن أصل جامع الوساطة لابد منها والحاجة إليها التي هي اعم من النبوة والإمامة والوصاية فهذه الوساطة شيء مشترك أن اقر به ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾[1] فهذه لابد من الاقرار بها وهي دائمة وفي كل وقت وليس فقط لصاحب التشريع.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٤.

لذلك معرفه باب الإمامة في الحقيقة ليس هو باب البحث في أسماء الأئمة الاثني عشر وحياتهم فقط وانما هي بالذات ولاية الله وباب النبوة واقعا ليس أسماء الأنبياء والمرسلين وإنما هو عبارة عن حاكمية الله في التشريع.

**الوقفة الخامسة: جهة الاشتراك بين الأصول الخمسة ومحورية التوحيد:**

من كل هذا يتبين أن هناك أصل مشترك بين الأصل الثاني في الاعتقادات وهو والنبوة والأصل الثالث وهو الإمامة وان لم يبلوره الى ألآن المتكلمين بشكل بين، فهناك بعض البراهين العامة في النبوة غير مختصه بالنبوة كما أن بعض البراهين العامة في الإمامة غير مختصه بالإمامة بل هو شامل للنبوة والإمامة وان اختلفت النبوة عن الإمامة بل ما هو أعظم هناك أصل مشترك بين التوحيد والنبوة والإمامة وهو التوحيد نفسه، لأنه في الأصل الأول هو توحيد الذات والصفات والمقام الثاني هو توحيد الله في التشريع وهناك أصل في باب الإمامة هو الولاية، فاعتقد بتوحيد الله في الذات واعتقد بتوحيد الله في الصفات واعتقد بتوحيد الله في التشريع واعتقد بتوحيد الله في الولاية واعتقد بتوحيد الله في الغاية، فالنتيجة ايها العبد اخلص نيتك ووجهتك إلى الباري تعالى، إذاً الأصل المشترك وهو توحيد الله والبرهان على التوحيد ليس برهان فقط على

الذات ومن الخطأ إقامة براهين التوحيد على الذات والصفات بل براهين نفسها بعينها تجري في التشريع وبنفسها وعينها تجري في الولاية وبنفسها وبعينها تجري في الغاية، إذاً براهين التوحيد سارية في كل الأصول الخمسة ثم براهين النبوة تسري في الإمامة بل حتى في المعاد.

كيف في المعاد؟، امور عديدة منها لأنك تتوجه بالنبي صلى الله عليه وآله إلى الله وتتوجه بالإمام إلى الله كما تتوجه بالكعبة إلى الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ أي لاذوا بك وتوجهوا بك واستغاثوا بك في توبتهم وأوبتهم ورجوعهم إلى الله، فإذا كانت الجنة يتوجه بها إلى الله ويتقرب بحبها إلى الله فكيف بحب النبي صلى الله عليه وآله وحب الأوصياء الذي هو أعظم من الجنة فهم أيضاً معاد بمعنى انه يتوجه بهم إلى المعاد النهائي وهو الله.

فالتوحيد هو الأساس الذي ترتكز عليه جميع الأبحاث في الأديان السماوية وهو الأصل الذي يتفق عليه أهل الشرق والغرب في شكله العام عدا بعض التفاصيل المختلف عليها ثم انه يعد محوراً لجميع الأصول والفروع ولا يمكن لك ان تتحرك في بقايا تفاصيل الدين اذا ما لم تسلم به كمبدأ اساسيا فأنت لا يمكن تعتقد بأي نبي او إمام او معاد اذا ما لم تسلم وتصدق مسبقا بوجود الله تعالى. ولا يمكن ان تصلي وتزكي وتقوم اذا ما لم تسلم مسبقاً بعبوديته تعالى.

والحقيقة إنَّ مباحث التوحيد تتسع لتشمل جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية وان طرق البحث في مختلف العلوم وطرق التعامل مع

الحياة جزماً تختلف باختلاف الرؤية المنبثقة من التوحيد فكل موحد يعتبر ان الكون الذي إمامه خلقه الله تعالى فينطلق من هنا في التعامل مع الطبيعة ومع الآخرين.

والملحد ينطلق من زاوية أخرى في تعامله مع الكون والآخرين.

ان معرفة الله تعالى واجبة على جميع بني البشر لحق العبودية الذي له عليهم ونقصد في معرفته ما يمكن للعقل البشري ان يدركه من مظاهر ذاته في هذا الوجود وإلا فان ذاته بكنهها لا يمكن ان يعقلها موجود غيره تعالى لان المتناهي محدود فكيف يحيط باللامتناهي الباقي غير المحدود.

وهكذا النبوة فهي تتمحور فيها معرفة باقي الاصول وتتفرع عليها بعضها فمن الممتنع تجزئة معرفة الاصول او الايمان ببعضها دون البعض الاخر.

**الوقفة السادسة: الترابط بالبراهين بين اصول الاعتقادات:**

ان جملة من براهين النبوة تجري وتتداخل أيضاً في الإمامة والمعاد، ولذلك الباري يصف النبي ﷺ بأوصاف في مبتدئ الأمور وفي الانتهاء كما يقص لنا القران أن كل امة لا تحاسب يوم القيامة إلاّ بمجيء نبيها وكذلك الأئمة ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾، ومعنى هذا أن براهين الإمامة لا تقتصر على الولاية بل تجري أيضاً في المعاد لأنه بالإمام يتجه إلى الله، فحتى في معاد البشر للرسول دور في ذلك، ولكن للأسف ألآن البحوث

في الصياغة العقائدية والمعرفية لباب النبوة منحازة عن المعاد وهذا خطا، والصياغة العقائدية والمعرفية لباب الإمامة عند كثير من الباحثين منحازة عن المعاد وهذا خطا، والصياغة في التوحيد منحازة عن المعاد ومنحازة عن النبوة والإمامة وهذا خطا بل كل هذه الموارد البراهين فيها مترابطة ومتكررة بحسب الدرجات، فمن لم يقر بأنبياء الله فقد كذب بالتوحيد وهو نفس الربط فمن لم يقر بالمعاد كذب بتوحيد الله.

وكذلك أصل الوساطة وحاجة البشر لهداية السماء واصل لطف العناية، وهذه نكتة مهمة وصياغة من المفروض تكون على طبق الآيات والروايات صياغة فنية صناعية متينة ثاقبة في صياغة أصول الدين ومعارف الدين أدلة وعناوينا.

وفي النهج يقول الأمير عليه السلام:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمّنه، ومن قال علام فقد أخلى منه...»[1].

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٤.

**الوقفة السابعة: بحث الشاهد الشهيد:**

النبوة تتجلى حتى في المعاد لأنه من بداية الطريق والهداية بيد الرسول وأيضاً عند انتهاء الطريق لذلك يوصف النبي ﷺ بالشاهد وشاهد لأجل ماذا؟، فهناك قضية الميزان والحساب، والبعض يقول أن النبي ﷺ لا علاقة له بالأمر مستشهدا في سورة الغاشية ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[1] فهذا قد قرأ سورة الغاشية ولم يقرا سورة الأعراف ولم يقرا سور عديدة في أن النبي ﷺ شاهد، فمعنى شاهد ماذا؟، وما معنى قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[2] وفي قوله ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾[3]، إذاً للأنبياء دور في حساب أممهم، وبالتالي تجليات النبوة في القران الكريم لا تقتصر على التشريع والشريعة بل ترتبط بالمعاد أي معاد الناس وحسابهم والشهادة عليهم ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وهذا غير التشريع فان صحيفة الأعمال الخاصة بالفرد للنبي دور فيها وتعرض عليه، إذاً كيف يقول القائل «من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات».

---

(١) سورة الغاشية: الآية ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١ ـ ٤٢.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٩.

فقد روي:

«قدم أبو بكر من السنح ودخل إلى بيت رسول الله ﷺ فكشف عن وجه النبي ﷺ وخرج مسرعاً وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ وهنا هدأت فورة عمر وزعم أنه لم يلتفت إلى وجود مثل هذه الآية في القرآن الكريم»(١).

فهذا الشعار غير صحيح فمن الذي كان من المسلمين يعبد النبي ﷺ ؟؟ بالطبع لا احد ولم يروي التاريخ ذلك عن أي احد اساسا واما من يعتبر التعلق غير صحيح فهو مخطأ لان هذا تعلق نبوي بما هو نبي وعبد الله ورسوله وهو لا ينقطع بالموت، لان القران لا يريده أن ينقطع ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ ولماذا القران يعلمنا ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾(٢) فيعرفنا القران بالنبي ﷺ عبر هذا النعت والصفة لكي يقول أن ارتباطكم بالنبي ﷺ لا يقطع فكما له دور التشريع له دور المعاد أيضاً وهو خليفة الله في خلقه وليس فقط في أرضه، وعلى أي تقدير هذه نكتة صناعية مهمة وهو أن براهين التوحيد لا تقتصر على التوحيد، لذلك ذكرنا أن الفلاسفة تقاصروا عما حرره العرفاء بمعنى، فقصروا مباحث التوحيد على توحيد الذات

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / القسم الثاني: ٥٣ ـ ٥٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

والصفات وان كان المتقدمين من الفلاسفة من الإشراق والمشاء من سقراط وأفلاطون وأرسطو وحتى الفارابي ساروا بمباحث التوحيد وأقاموا ببراهين على لزوم الإمامة والإنسان الكامل، فالمقصود انها أدلة وعناوين وقوالب معنوية بحسب الدرجات.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

وقال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[3].

و وقد ورد في الزيارة للنبي ﷺ (العلامة المجلسي رحمه الله في زاد المعاد):

«السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا احمد، السلام عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين، السابق الى طاعة رب العالمين والمهيمن على رسله والخاتم لأنبيائه، الشاهد على خلقه الشفيع اليه والمكين لديه والمطاع في ملكوته، الأحمد من الاوصاف المحمد لساير الاشراف، الكريم

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.
(٣) سورة المزمل: الآية ١٥.

عند الرب، والمكلم من وراء الحجب، الفائز بالسباق والغائب عن اللحاق، ورحمة الله وبركاته».

من مقاماته صلى الله عليه وآله كونه الشاهد على الخلق بمعنى شاهد على اعمالهم، وخاتم الانبياء هو شهيد الله على الشهداء جميعاً حيث يقول عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾.

وهذا يعني احاطته صلى الله عليه وآله الملكوتية بالجميع وان الاعمال كذلك تعرض عليه، ففي بعض الروايات كل صباح ومساء وفي روايات كل اثنين وكل خميس فهل يمكن ان نقبل شهادة من ليس له اطلاع على الاعمال المراد شهادته عليها

ومقامات النبي صلى الله عليه وآله في القيامة عظيمة وهي اعلى من باقي الانبياء والرسل بل جميع الخلق ومنها هذه الرواية اللطيفة. في تفسير العياشي:

«عن سماعة بن مهران عن أبي إبراهيم عليه السلام: في قول الله: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاما ويؤمر الشمس، فيركب على رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئا فيأتون آدم فيستشفعون منه فيدلهم على نوح، ويدلهم نوح على إبراهيم، ويدلهم إبراهيم على موسى، ويدلهم موسى على عيسى، ويدلهم عيسى فيقول:

عليكم بمحمد خاتم البشر فيقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أنا لها فينطلق حتى يأتي باب الجنة فيدق فيقال له: من هذا؟ والله أعلم فيقول

محمد، فيقال: افتحوا له فإذا فتح الباب استقبل ربه فخر ساجدا فلا رفع رأسه حتى يقال له: تكلم وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه ويستقبل ربه فيخر ساجدا فيقال له مثلها فيرفع رأسه حتى أنه ليشفع من قد أحرق بالنار فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول الله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا»[(١)].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

«يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فيقام الرسل فيسأل فذلك قوله لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام»[(٢)].

**الوقفة الثامنة: الامام من نور النبي صلى الله عليه وآله:**

وهذه نكتة مهمة،فشبكية نسيج العقائد فيما بين بعضها البعض هو نسيج واحد مترابط أدلة وفق درجات، وهذه صياغة مهمة ألفتت إليها الآيات والروايات، فمحمد رسول الله وعليا أخوان والإخوة هنا نورية كما أن جبرائيل وميكائيل أخوان نوريا وليس الرابط هناك توالد، وفي تعبير الرواية من جناح جبرائيل يخلق كذا ملك فهذا اشتقاق وليس ولادة، فيعبر

---

(١) الميزان، الطبطبائي، ج ١، ص ١٧٥.
(٢) بحار الانوار مجلد: ٧ ص ٣١٣.

عنها في الرواية بالاشتقاق وهي تختلف عن الولادة في عالم المادة فالتخليق نفس الإبداع «وكذلك محمد رسول الله وعلي أخوان، كما أن جبرئيل وميكائيل أخوان، فمن أحبهما فهو من أولياء الله، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله، ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يحب الآخر فقد كذب، وهما منه بريئان، وكذلك من أبغض واحدا مني ومن علي، ثم زعم أنه يحب الآخر فقد كذب، وكلانا منه بريئان، والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء»(١).

وروي عنه صلى الله عليه وآله:

«حسين مني وأنا من حسين»(٢).

والروايات اشارت ان محمد وعلي عليهما السلام خلقا من نور واحد فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبى ذر رحمه الله أنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «خلقت أنا وعلي بن أبى طالب من نور واحد، نسبح الله يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمنا

---

(١) البحار: ٩ / ٢٨٣ ح ١ وعن الاحتجاج: ١ / ٤٦ بإسناده عن الحسن العسكري عليه السلام.

(٢) وسنن ابن ماجة ١ / ٥١ ح١٤٤ والترمذي ٥ / ٦١٧ ح٣٧٧٥ مسند احمد ٥ / ١٨٢ ح١٧١١١.

بنصفين، فجعلني في صلب عبد الله وجعل عليا في صلب أبى طالب، وجعل فيَّ النبوة والبركة وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشقَّ لنا اسمين من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد والله الأعلى وهذا علي»[١].

**الوقفة التاسعة: خصائص خاصة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام:**

«وأما ما قاله اليهود فهو أن اليهود أعداء الله فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أتوه بعبد الله بن صوريا فقال يا محمد كيف نومك فانا قد اخبرنا عن نوم النبي صلى الله عليه وآله الذي يأتي في آخر الزمان ؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تنام عيني وقلبي يقضان قال صدقت يا محمد» هذا الحديث مروي حتى عند العامة وهو أن النبي صلى الله عليه وآله ينام عينه ولا ينام قلبه موجود أيضاً في البخاري.

وعن أنس بن مالك يُحدّث ليلة أُسري بالنبي صلى الله عليه وآله من مسجد الكعبة:

«جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام فقال

---

(١) علل الشرائع ١: ١٣٤.

ثم أن الشيعة لم يتفردوا في ذلك بل روى الحقيقة بصور مختلفة جمع من علماء أهل السنة منهم:

١- الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٢٦٠).

٢- الخوارزمي الشافعي في (مناقب علي بن أبي طالب، ص ٨٧ ).

٣- العلامة سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص ص ٥٢ ).

٤- ابن أبي الحديد في (شرح النهج، ٢/ ٤٥٠).

٥- العلامة محي الدين الطبري في (الرياض النضرة ٢/ ١٦٤).

أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم وقال آخرهم: خذوا خَيرهم فكانت تلك فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبيﷺ صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء»[١].

وهذا يبين أن حتى الطبيعة البشرية للرسولﷺ فيها خصائص وامتياز وبالتالي ليس للنبيﷺ نوم حقيقي، لان النوم الحقيقي هو ما كان ينام فيه القلب وينام فيه السمع، وكما هو مقرر في الفقه أن النوم إذا لم يستولي على القلب والإذن ولا ينقض الوضوء، ومن ثم ورد في المعصومين هو هكذا فتنام أعينهم ولا ينام قلوبهم.

قال أبو جعفرعليه السلام:

«للإمام عشر علامات: يولد مطهرا مختونا وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب ولا يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه (فساؤه وضراطه وغائطه) كريح المسك»[٢].

أن عدم نوم القلب يدلل أن هناك نوع من الإشراف والشهادة بشكل دائم عند المعصوم من الولادة إلى ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، وورد في

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٢، ٤٠٠.
(٢) الكافي ١/ ٣١٩ كتاب الحجة - باب مواليد الأئمة.

خصائص المعصومين انه لا يحتلمون، لان الاحتلام عبارة عن نوم القلب وسيطرة الشيطان أو الجن على الإنسان بينما في المعصوم ليس كذلك، وكما ورد في خاصية الرسول يرى من خلفه كما يرى من أمامه وكذلك بقية المعصومين يرون من خلفهم كما يرون من أمامهم، أن العين البرزخية وهي حسية تلك العين العدسة فيها وسيعة جداً ترى بشكل تكويري كامل، والعين الحسية غير العين المادية ولها آلياتها الأخرى، وحتى في المادة الدنيوية توجد أشعة تصور التكوير كامل بشكل كتساوي، فهذه خاصيات للمعصوم ولا يستولي عليه الشيطان فهذه الأمور تدلل أن طبيعة الروح في المعصوم في ارتباطه يختلف.

**الوقفة العاشرة: وجود خصائص للنبي وطرق تفسيرها:**

هناك أمور خاصة بالنبيﷺ منها النبوة والأزواج، أما غيرها المخصصة بالنبيﷺ من الخصائص فتشمل المطهرين بآية التطهير. نعم قضية السحابة خاصة بالنبيﷺ، وكما يذكر جملة من المحققين في هذا المجال كما أن روح النبيﷺ والمعصومين هي خاصة وذات قدرات وطاقة خاصة ذلك أبدانهم ذات قدرات وطاقات خاصة، ويمثل الباحثون في هذا المجال مثلا لو تضع رئيس قوات جيش إذا وضعت له فرس أو آلية قوية تتناسب مع قدرته الحربية والعسكرية وإلا قائد جيش ومقدام تعطيه حصان هزيل فلا يصح ذلك أو تعطي جندي عادي تعطيه فرس شموس أو سلاح خطرة

فلا يحسن استخدامها فذلك عبث، إذاً هناك قاعدة فلسفية وهي «تناسب الأرواح وأوعية الأبدان»، فإذا فرضنا مثلاً أن الأكل ثمين جداً تضعه في ظرف ووعاء جميل، أما النورة التي تطلى بها تضعها في خزف لان لكل شيء له وعاء مناسب له حسب الحكمة العقلية، وكذلك الأرواح والأنوار فهذه هي سلسلة مراتب الإنسان فهناك روح كلية وجزئية ونور كلي وجزئي وكل هذه طبقات ثم تأتي بيئة الزمان والمكان والأرحام، إذاً أجساد الأنبياء والأوصياء تختلف عن الآخرين وهذا بطبيعة الحال لا ينافي البشرية لكنها في قمة وذروة كمال التخليق البشري، لذلك ورد في الروايات انه فاضل طينة أبدانهم خلق منها أرواح المؤمنين[(١)].

عن الباقر والصادق عليهما السلام:

«وكان لطينتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا فقلوبهم تحن إلينا..»[(٢)].

«ان الله خلقنا من أعلى عليين وخلق شيعتنا من طينتنا أسفل من ذلك...»[(٣)].

---

(١) فقد روي في بصائر الدرجات ص٣٤.

(٢) وفيه أيضاً، ص١٦١، عن علي بن الحسين عليهما السلام.

(٣) وفي بحار الأنوار يقول:

نقل عن ابن طاووس رحمه الله انه سمع سَحَراً في السرداب عن صاحب الأمر عليه السلام أنه يقول: «اللهمَّ أن شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا...».

وفي تعبير الحديث فاضل طينة نور النبي خلق منها جميع الأنبياء.

وهناك شواهد عديدة على تلك الخصائص النبوية منها ما ذكره الشافعي حيث يذهب على عدم نجاسة دم وبول النبيصلى الله عليه وآله ويستشهد برواية التي شرب فيها احد الصحابة دم النبيصلى الله عليه وآله حيث قال فعلت حراما ولكن الله حرم بدنك على النار، وهذه أمور ليست إفراطيه بل يشهد لها القران والبرهان العقلي، وهذا بحث عام وان كان المقامات الروحية للأنبياء والأوصياء أهم من البحث في مقامات والخصائص البدنية وأن يشغل الإنسان جهده في أدوارهم السياسية والاجتماعية والحضارية والروحية أهم من الاشتغال في خصائص أبدانهمعليهم السلام.

قال أمير المؤمنينعليه السلام:

«ما برأ الله نسمة خيراً من محمّدصلى الله عليه وآله»[١].

## الوقفة الحادية عشر: المعرفة المنظومية للنبي والإمام أهم من الفردية:

مثلما أن هناك فقه فردي وفقه اجتماعي، فهناك معرفة فردية ومعرفة اجتماعية أي اعرف الرسول والإمام بتعريف موقعيته الاجتماعية بمعنى اعرف الرسول والإمام بتعريف دوره الاجتماعي واعرف الرسول والإمام بتعريف دوره الحضاري واعرف الإمام بتعريف دوره الكوني فهذه نظرة

---

(١) الكافي الشريف ج١، ص٤٤٠.

مجموعيه وليست فردية.

والمفروض في معرفة الإمام والوصي والرسول وان كان الإمامة احد مقامات النبي صلى الله عليه وآله ولكن معرفة النبي صلى الله عليه وآله بمعرفته في بعده المجموعي والجماعي والكوني، وحتى إذا أردنا أن نعرف النفس النبوية نعرفها بالخصائص الفردية النفسية النبوية، وهذه النظرة وان كان لابد منها لكنها نظرة قاصرة، أما القران فيعرف خليفة الله بشكل آخر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] فمباشرة سلط الضوء على بعده الاجتماعي والسياسي والكوني المنظومي، وللأسف حتى ألآن الحاضرة الثقافية البشرية إذا أردنا أن نعرف لهم هذه الأدبيات وما شابه ذلك نعرفها بنزعة تصوروها اسطوريه كالقهرمان أو البطل الفردي، وإنما البشرية ألان في صدد عقلية العقل الجمعي، فيجب أن نفسر الرسالة والإمامة ونعرفها ببعدها المنظومي،وعلوم الإدارة والعلوم الاستراتيجية فهي علوم جيدة موازية لبحث الإمامة والقيادة، لذلك ننظر إلى ملف ليلة القدر ليس ملف فردي وإنما ملف منظومي، وهذه أمور مهمة إذا تضمنها الخطاب الديني واتسعت الى هذا البعد الذي بلغته العقلية البشرية، فالمفروض أن تعرف بهذه الصورة المنظومية فاعرف موقعيه النبي صلى الله عليه وآله والرسول صلى الله عليه وآله الاديانية

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

والإمام في بعده المنظومي البشري وفي بعده الحضاري البشري فضلا عن الخصائص الروحية والبشرية وهذه المدارج في الأهمية بمكان بحيث يجب الالتفات إليها، وليس فقط أن أركز ألآن على الخصائص البدنية للإمام نعم نحن لا ننفيها فهي مهمة وخطيرة وربما نجد لها موقعيه منظوميه بل نحافظ على اثباتها فالكمالات الشخصية للنبي والإمام فردية في بعدها الجمعي والمجموعي المنظومي.

**الوقفة الثانية عشر: النظرة المنظومية للاعتقادات:**

لذلك لا يمكن أن تقصر الدين على انه طقوس فردية بين الفرد والغيب وإنما الدين أكثر واوسع وبعده هو بعد منظومي حتى تعريف التوحيد فلا اقتصر في تعريف التوحيد انه ذات مستجمعه لكل الصفات بل أن نعرف التوحيد بمعنى العدل مثلا، ألآن الأنظمة الغربية العدل السياسي الموجود فيها وان كان نسبي فهو توحيد وان كان عندهم وفق طبقية وبرجوازية وإقطاع وهذا طبعا بالقياس إلى الاستبداد الملوكي الموجود في الشرق الأوسط، فإيهما اقرب إلى اسلمة النظام، وللأسف هذا نحو من أخواء الدين والمعارف إذا فسرناه في بعد الطقوس الفردية وليس ببعده المجموعي النظامي وإذا أردنا أن نعكس التوحيد على النظام السياسي فهو العدل كما يقول ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[١]

ومعنى ان لا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله هو لا يكون لك حقوق أكثر وأنا حقوق اقل، ومعنى التوحيد أن الكل فقير ومحتاج والله غني وهو مالك الملك، وترجمة التوحيد في النظام السياسي والحضاري والاقتصادي أمر مهم، وترجمة النبوة في النظام السياسي والحقوقي والقضائي والحضاري امر مهم ايضا، فمثلا الكثير يقول انتم تعتقدون بالإمام المهدي وانه حينئذٍ ما هي ترجمة أبعاده على نظام المعيشة عليكم ألآن، فيجب ان تعرف عقيدتك بأهل البيت والإمام المهدي على صعيد نفس النظام؟، نقول نعم مدرسة أهل البيت عليهم السلام والإمامة تعني ان الظلم باطل والعدل لابد منه والعدل في قمته العلمية والعملية، وترجمة العصمة العلمية والعملية وهي أن ننشد حالة من التجريد الذاتي للمخلوق البشري إلى تجلي التوحيد الكامل في الأنظمة وهذا هو تعريف الإمام ووفق كل هذه الاستراتيجيات هو شخص مرتبط بالغيب وهو المنتظر المهدي، أما الاختصار على البعد الفردي فهذه زاوية ضيقة من المعرفة انتجت اهمال كثير من المعارف المهمة .

والمعاد مثلا دائما نفسره ببعد فردي فلم لا تقرا المعاد ببعد كوني وجماعي واجتماعي كي يتفاعل حتى أبناء البشرية في العصر الراهن مع مثل هذه المعرفة والأدبيات وبالتالي تكون المعارف مفعلة ومنشطة ومتحركة في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

ثقافة الناس وحياتهم، فتارة مثلا اعرف الرسول او الإمام بدل أن نقول فرد بشري نقول الرسول او الإمام شخص يدفع الفساد في الأرض ويمنعه بما زود من علوم وإدارة، فهو له قدرات ملكوتيه خفية يتم بها انجاز مظهر إدارة الله لإعمال الأرض وهذا تعريف متوازن، وبعبارة أخرى كأنما وجود الرسول او الإمام وجود مبني مؤسس بشكل متلاحم مع مجموع الوجود وليس من خلال وجود منعزل لفرد.

احد الأسباب الكبيرة لعدم ميل كثير من الإطراف من المذاهب الإسلامية والملل لمدرسة أهل البيتعليهم السلام لأننا نحن نعرضها بصورة فردية بينما صورة مدرسة أهل البيتعليهم السلام ليست مدرسة إفراد، صحيح هم أشخاص إفراد ولكن وجودهم وجود مجموعي كتلي ومنظومي ونظامي وتركيز الروايات والآيات على البعد المجموعي أكثر من التركيز على الفرد حينئذٍ يتفهم الطرف الاخر مدرسة أهل البيتعليهم السلام وأما إذا تقارن فرد مع فرد يقول لك هذا فرد وهذا فرد ولا يلتفت إلى أن هذا مفصل في نفس الشبكة الكاملة في المجموع الكوني والاجتماعي، أما إذا بينت خطورة هذا المفصل وموقعيته المجموعة وفق النظام الكوني والوجودي فانه سيلتفت إليه من لا يعرفه ولا يؤمن به، كما هو الدال في القلب إذا فصلته عن البدن فيقال لك أن هذا مجرد لحم وجسم صنوبري، أما وضعت القلب في البدن فيحرك دوران كل الشبكة الدموية والخلايا والألياف، وكذا الدماغ لوحده هو لحم ابيض أما الدماغ في الرأس فكل أعصاب وخلايا بدنيه مسيطر

عليها بهذا الجهاز الصغير فيكون عظيما،لان أعطيت تعريفه في موقعيته المجموعي النظامي، فهناك فرق بين البعد الفردي الشخصي والبعد المنظومي المجموعي الكوني.

**الوقفة الثالثة عشر: دور النبي صلى الله عليه وآله والامام عليه السلام في الهداية :**

وذلك باعتبار أن الحاجة إلى النبوة تتضمن الحاجة إلى الهداية النبوية التي هي هداية اراءة وهداية إيصال، والغاية من هداية الارائة هي في البيان والنذارة والبشارة وتسمى الهداية الارائية التي هي في النبوة والغاية منها الوصول فهي الهداية الايصالية، فإذا كانت الهداية الارائية والايصالية مطلوبة وضرورية، مثلا في القران الكريم حول النبي صلى الله عليه وآله قال تبارك وتعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ فالشاهد من مقامات الإمامة فالدور الأول للنبي هو الإمامة والدور الثاني هو النبوة، وهذه الآية تكررت ثلاث مرات مرتين في سورة الفتح والروم ومرة في سورة المزمل ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا﴾ فهذا الآية تبين أن الدور الأول للنبي هو الإمامة ثم النبوة، إذاً ادوار الأنبياء الهداية الايصالية يعني دور سيد الرسل وهو دور الإمامة عبر الهداية الايصالية والهداية الارائية، والبشارة والنذارة هي اراءة فيعلم الاخرين ويبين لهم، أما شاهدا يراقب الأعمال فيرى الأعمال على النهج والسلوك وتصل إلى الغاية فهو يقودها إلى الغاية ويرقب العمل ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

وهذا من مقامات الإمامة وحقيقتها لان أمّ يؤم أي اتبع في عمل أو سير، لذلك الصراط هو احد عناوين الإمامة في القران فكل ما ورد بعنوان الصراط فهو إمامة، فان الصراط هو سير وحركة، ولكن غير مختصة بالأئمة الاثني عشر بل هي شاملة لإمامة الرسول الذي هو أمام الأئمة وامام الانبياء بل هو صلى الله عليه وآله إمام الخلق كافة.

لذلك الإمامة تبين بعناوين متعددة منها الصراط ومنها الهادي ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ وهذا بلحاظ الأمم اللاحقة التي يتعايش معهم الرسول وان كان الهادي ألإيصالي غير المباشر يبقى رسول الله بنص الآية التي تقول أن النبي صلى الله عليه وآله هو شاهد على عمل الشهداء فالرسول يتحكم حتى في عمل الأئمة فهو يقودهم ويوصلهم إلى المطلوب وهذا من المقامات النبوية العالية والخاصة.

## الوقفة الخامسة عشر: من ينكر الأوصياء فقد أنكر الرسل:

اوضحنا مفصلا ان الجهاز واحد والنبوة تتضمن وجود الهادي الايصالي الذي يوصل إلى المطلوب وهو الإمام، فهدف قافلة ومسيرة الأنبياء هو الإيصال إلى المطلوب وليس فقط الهداية الارائية فالذي ينكر الأوصياء غير الأنبياء فقد أنكر الرسل كلهم، لأنه قال بالهداية الإرائية والبشارة والنذارة بلا غاية وما هي الغاية فان الغاية الوصول إلى المطلوب فمن يؤمن وتعهد إليه المسؤولية من الإيصال من الهداية الارائية إلى الهداية

الايصالية للمطلوب، وهذه مقامات أعزيت للأنبياء فقد اعزي للنبي أن يكون ﴿شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ وليس فقط مبشر ونذير، ودور الشاهد الاطلاع على ما يقوم به من الإتباع وهو من سيقودهم إلى الغاية، فان الذي يقوم بهذا الدور حيث نرى الآية تقول في ابراهيمعليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وليس فقط نبوة ورسالة وقد طلبها لذريته ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ وليس فقط أنبياء ورسلا وهو غير النبوة وهي رسالة أئمة، لان من أنكر مقام الإمامة والخلافة الإلهية إلى يوم القيامة كان كمن أنكر جميع الأنبياء والرسل، لان من مقامات الأنبياء وجود سلسلة ودور الإمامة بل أنها عظمت وبجلت في القران قبل النبوة في الأنبياء، فإمامة الأنبياء دورها هام وهو مقدم على نبوتهم ورسالتهم، إذاً هو الجهاز واحد ومترابط فمن ينكر فقرة من هذا الجهاز فقد أنكر الجهاز برمته.

وقال النبيصلى الله عليه وآله:

«من جحد عليا إمامته بعدي فقد جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله ربوبيته»[1].

وقالصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام:

«يا علي، أنت المظلوم بعدي، من ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني، ومن والاك فقد والاني، ومن

---

(١) روى الشيخ الصدوق، الاعتقادات ص ٣٨ .

عاداك فقد عاداني، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني».

وفي ( عيون الاخبار : ١٦٨ و ١٦٩ )

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي أنت المظلوم من بعدي فويل لمن ظلمك واعتدى عليك، وطوبى لمن تبعك ولم يختر عليك .

يا علي أنت المقاتل بعدي فويل لمن قاتلك وطوبى لمن قاتل معك، ياعلي أنت الذي تنطق بكلامي وتتكلم بلساني بعدي، فويل لمن رد عليك وطوبى لمن قبل كلامك، يا علي أنت سيد هذه الامة بعدي وأنت إمامها وخليفتي عليها، من فارقك فارقني يوم القيامة، ومن كان معك كان معي يوم القيامة، ياعلي أنت أول من آمن بي وصدقني وأنت أول من أعانني على أمري وجاهد معي عدوي، وأنت أول من صلى معي والناس يومئذ في غفلة الجهالة، يا علي أنت أول من تنشق عنه الارض معي [ وأنت أول من يبعث معي] وأنت أول من يجوز الصراط معي، وإن ربي عَزَّ وَجَلَّ أقسم بعزته أنه لايجوز عقبة الصراط إلا من معه براءة بولايتك وولاية الائمة من ولدك، وأنت أول من يرد حوضي تسقي منه أولياءك وتذود عنه أعداءك، وأنت صاحبي إذا قمت المقام المحمود، ونشفع لمحبينا فنشفع فيهم ، وأنت أول من يدخل الجنة وبيدك لوائي، وهو لواء الحمد، وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر، وأنت صاحب شجرة

طوبى في الجنة، أصلها في دارك وأغصانها في دور شيعتك ومحبيك)

يقول الفيض الكاشاني:

«ومن جحد إمامه أحدهم - أي الأئمة الاثني عشر - فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام»[1].

**الوقفة السادسة عشر: البحث في الطبيعة العامة**

**أفضل من البحث في المصاديق:**

وهذا ما يقوله الرسول «وما ذنب جبرائيل إلاّ أن أطاع الله فيما يريده بكم أريتم ملك الموت اهو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق الذين انتم منه ولكنكم بالله جاهلون وعن حكمه غافلون اشهد أن جبرائيل وميكائيل بأمر الله عاملان وله مطيعان وانه لا يعادي احدهما إلاّ من عادى الأخر وانه من زعم انه يحب احدهما ويبغض الأخر فقد كفر وكذب» فالتفكيك كفر لأنه في الواقع ينكر الكبرى، وهذه نكتة مهمة يغفلها اليهود ويغفلها بعض مذاهب المسلمين انه لا يلحظ الكبرى وإنما يلحظ فقط الصغرى ولا يلحظ القاعدة لعامة وإنما يلحظ بعض المصاديق وهذا لا يصح، فالمصداق حقيقته في شخصه أو بالطبيعة الموجودة فيه فتكون معرفته الصحيحة بلحاظ الطبيعة الموجودة فيه.

---

(١) منهاج النجاة ص٤٨.

وقد جرى حوار في بحث الإمامة في بعض المواقع فتجد شخص تأتيه بأدلة عامة على الإمامة ويقول لا اقبلها فكيف لا يقبلها؟، وإنما يريد الأدلة التي تختص بذكر الأسماء وتحددها وهذه مغالطة، لأنه لا يعرف علي بن أبي طالب فقط وهذه ليست حقيقة علي، والعمدة في حقيقة علي بن أبي طالب انه أمام من الله وان الإمامة ضرورة، ومثلما يعبرون بـ (الشخصية الحقوقية وليس الشخصية الحقيقية) وان كانت شخصيتهم الحقيقية والحقوقية واحدة وإلا كيف اعرف حقيقة رسول الله فهل هو فقط انه محمد بن عبد الله وانه رجل من البشر ولده رجل من البشر فهل هذه حقيقة رسول، أو أن هناك قاعدة عامة وهي من ضرورة الرسالة والنبوة وغيرها والنبيﷺ قام بعهدتها، فتفكيك القاعدة العامة في دراسة المصاديق عبارة عن جهالة بالمصاديق وبتعبير آخر أن تفكيك الصغرى عن الكبرى هو جهالة للصغرى، والذي يوضح حقيقة الصغرى هو الكبرى، لذلك الأدلة العامة في كبرى الإمامة في واقعها أبين في حقيقة بحث الإمامة من الأدلة التي تنص على الأسماء، لان تلك التي تنص على الأسماء قد تكون في صدد التركيز على بيان الأسماء والمصداق وليست في صدد الطبيعة العامة والخطيرة الموجودة في المصاديق. إذاً النتيجة تتوقف إلى كل من الصغرى والكبرى أما فقط الصغرى بل الكبرى أهم، فان فهم حقيقة الصغرى هو بفهم حقيقة الكبرى، والكبرى موجودة في الصغرى.

وبعبارة **أخرى** الطبيعة العامة والموجودة في المصاديق مثلا عرفت

إنسان باسم زيد وهو هذا الجسم والشكل الظاهري أما حقيقة زيد فلم تعرفها، وهي الناطقية والحيوانية والروحية والقلبية فهذا أبين في حقيقة زيد من زيدية زيد فقط، أو رأيت حيوان يدب على الأرض لكن لم تعلم أن هذا من الثدييات أو زواحف أو ذو نفس سائلة...... الخ،

فالطبيعة الكلية أعمق وأبين من معرفة نفس الشيء وهي العوارض المشخصة فان العوارض المشخصة هي عوارض وليست هي متن الذات ومتن الذات هو القاعدة العامة وهو الطبيعة العامة الكبرى، وبتعبير لأحد العلماء يقول أن طبيعة الإنسان حينئذٍ متأله وليس حيوان ناطق، وعلى أي تقدير أن معرفة عمق الإنسان هو هذا، أما أن تعرف طوله وعرضه ووزنه أو ابن فلان فهذه كلها عوارض، ولكن انظر بنوته في الروح هو ابن من لأنها أهم من بنوة البدن، فان أبوه من البدن شيء وأبوه من الروح أمر آخر.

أن نفس المتكلمين يبحثون في النبوة العامة ثم النبوة الخاصة بينما عمق البحث هو في النبوة العامة ونفس الكلام في الإمامة، إذاً بحث في كبرى الإمامة في الأدلة هو بحث هام ومن الخطأ كل الخطأ أن تبحث في الصغرى والنتيجة مباشرة، لأنها تعطيك عمق معرفة النتيجة، فان عمق معرفة النتيجة هو بمعرفة الكبرى، وقد جرى حوار مع احدهم يقول لم تأتي بكبريات فإنها ليست فيها دلالة وليس لها دور والحقيقة ان هذه غفلة، أو أن قطعية الكبرى لا تدل على قطعية الصغرى، فإذا كانت الكبرى قطعية وديمومتها قطعية واستمرارها قطعي إذن هل تخلوا من دلالتها

برسول او أمام، فكيف لا تدل قطعية الكبرى واستمرارها على تولد الإمام المهدي، وكيف لا تدل لأنه حسب الفرض إذا كان الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فحين وصلت النوبة الى الإمام الحسن العسكري وبعد ذلك هل تنقطع السلسلة؟ فواضح انها تدل بدليل لّمي على تولد الإمام المهدي، واحد أدلة ولادة الإمام المهدي الكبرى القطعية على ضرورة الإمامة واستمرارها إلى يوم القيامة، ولا يحتاج إلى دليل خاص ورواية بل الامر ثابت من اساسه، وحتى إذا لم تبين المصداق والخصوصية ولكن المهم أن تتعبد بالكبرى فلا تكفر بها او تنكرها، فعمق دور الكبرى أهم بمراتب من بحوث في المصاديق في الطبيعة العامة، لان عمق الحقيقة هو في الطبيعة العامة والقاعدة العامة وليس في خصوص المصاديق بل أن المصاديق هي عوارض وهذا احد معاني «كلنا نور واحد» وليس بمعنى التناسخ الذي يفهمه البعض خطئا، فالطبيعة العامة مهمة لذلك من الحذر أن تذهب إلى المصداق فقط فانه لا تعرف حقيقة المصداق إلاّ بمعرفة حقيقة الطبيعة العامة، لذلك المجلسي (رضوان الله عليه) عقد خمس مجلدات من الطبعة الحديثة في بحث الإمامة قبل أن يبدأ بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وهي بحوث مهمة جداً وحافلة بالمعلومات، لذلك كما ذكرنا ان المتكلمين يبحثون في النبوة العامة ثم النبوة الخاصة، وإلا عيساوية النبي عيسى وموساوية النبي موسى وإبراهيمية النبي إبراهيم لا تعطي معرفة عميقة بالنبي إبراهيم أو موسى أو عيسى، فهذه صفات عرضية وإنما عمق نبوتهم هو النبوة العامة

والطبيعة الموجودة فيهم مع تفاوت درجات الفضل فيما بينهم، أما الانغلاق بالبحث في المصداق فقط هو نوع من السياسة المغرضة لتجريف الحقائق وتخوية الأبحاث وإسفاف البحث وتسطيحه حيث انك لا تفتش عن الطبيعة العامة والبحث في الكبرى، لأنها بالنتيجة لا يعبر عن عمق، أما إذا بحثت عن الطبيعة العامة فتفهم أنه بشرا يوحى إليه فكما ان هناك جنبة بشرية هناك جنبة ملكوتيه غيبية وهذا معنى الطبيعة العامة وهذه هي الكبرى والجانب العلوي المشترك، فهم يريدون أن ينسوا البحث عن ذلك الجانب العلوي وهو بالتالي يكون إسفاف بمستوى البحث وكذلك المعرفة، رغم اننا لا نريد أن نغفل الجانب البشري بل هو ملحوظ ولكن ليس هو بمستوى الجانب العلوي الغيبي.

إذاً هذا بحث مهم وله بيانات عديدة يبين ويلتف ويراوغ عليه بأساليب عديدة من التحايل فلابد من التفطن لها.

**الوقفة السابعة عشر: الترابط بين**

**معرفة الله والنبي صلى الله عليه وآله والامام:**

قلنا ان البحث في الطبيعة العامة مهم وهذا البحث يسري على جبرائيل وميكائيل طبق أي معادلة؟؟ فهل هو على جبرائيلية جبرائيل وميكائيلية ميكائيل أو أن القضية أنهم ملائكة منفذين؟؟ فهل تفهم الجبرئيلية بجبرائيل والميكائيلية بميكائيل أم أنهم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ

مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1] فهذا هو الفهم للملك فحقيقتة عمق معرفة جبرائيل هو بهذا الجانب.

كذلك النبيﷺ يعرف نفسه (وكذلك محمد رسول الله وعلي أخوان) وهو ان نفس مطلب الإمامة موجود في النبوة وهي الإمامة الموجودة في علي وان كانت في عليعليه السلام انزل مما هي في النبيﷺ، ولكن هذه الطبيعة موجودة، فالآية تتكلم عن الامامة للنبي ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ بقرينة شهادا وهي مرتبطة ببحث الإمامة فأنت شاهد على الشهود وتتكلم عن النبوة للنبيﷺ بقرينة قوله ( مبشرا ونذيرا ) مرتبطه ببحث النبوة، وفي آخر سورة الحج ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[2] وهي الذرية التي دعا النبي إبراهيم أن تكون فيها الإمامة وفي القران شي مشترك بينه وبين قربى النبي الذين هم من ذرية ابراهيم التي هي الامة المسلمة في دعوة ابراهيم واسماعيل وهو امر مشترك بتفاوت الدرجة بينهم وقوله تعالى

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ (١) فمقام الشهادة موجود لغير الرسول بنص الآية وهو مستمر وهو الإمامة وهو الاصطفاء والاجتباء، فهل يصح إنكار كون النبي حاكما وولي غير انه رسول فانه لا يمكن إنكار ذلك، فالنبي لم يقل لا ولاية بعدي وإنما قال لا نبي بعدي وخاتم النبيين لا خاتم الأولياء، نعم هو سيد الأولياء وإمامهم ولكن هناك من يخلفه وان كان دونه.

إذاً غفل من لم يعرف حقيقة الرسول وسينكر الإمامة فلو عرف حقيقة الرسول ولما له من مقام الإمامة لم ينكر الإمامة، ولو يعرف المؤمن ببصيرة أن في حكومة الرسول أن الحاكم الأول هو الله تعالى وهذه إمامة وولاية لما أنكر حينئذٍ إمامة علي وإمامة الأئمة الباقين، وإنكاره لإمامة علي ليس بالدرجة الأولى إنكاره لعلي بل سيؤدي للإنكار الأخطر هو الإنكار لولاية الله جل جلاله، لان الحاكم الأول هو الله جل جلاله والقناة التي ينزل منها حكم الله جل جلاله وتدبيره هم البشر الذين اجتباهم الله تعالى بنص آية الحج، فالذي ينكر إمامة الأئمة قبل أن يكون منكرا لإمامتهم هو أنكر مقامات في الرسول من حيث يشعر أو لا يشعر ولم يعرف حقيقة تلك

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

المقامات، ولذلك تراهم في مقامات الرسول يغلطون ويحرفون فيها، فمثلا في قوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾﴾[1] فهم يفسرونها بتفاسير غريبة أو أن الرسول يجتهد ويخطئ والعياذ بالله.

إذاً ضحالة المعرفة بالنبي تسبب ضحالة الإنكار بالأئمة بل وقبل ضحالة معرفة النبي ضحالة معرفة عظمة الله جل جلاله وصلاحيات الله جل جلاله وهيمنة الله جل جلاله وسلطان الله جل جلاله ونفوذ الله جل جلاله، فإذا ألغيت الكبرى ليس فقط في إمامة علي بن أبي طالب فترجع إلى كبرى الإمامة في الرسول وليس فقط كبرى الإمامة في الرسول والولاية في الرسول بل ترجع إلى إنكار الكبرى في ولاية الله جل جلاله ومدى نفوذ الله جل جلاله، فمقولة أن الحكم لله وهذا يعني في التشريع، فهل يعني أن ليس لله صلاحية في الحكم السياسي أو القضائي والتنفيذي، وليس طبيعة وكبرى الإمامة تنتهي فقط فليس فقط تنتهي ولاية الأوصياء بل تنتهي ولاية الأنبياء ليس ذلك فقد يرجع إلى إنكار ولاية الله جل جلاله، فإذا كان الله جل جلاله مشرع فقط فهذه هداية إرائية، ويكون بذلك ليس الله جل جلاله بهادي إيصال وليس ولي في الحكم إلى هذا الحد تتصاعد الطبيعة العامة، إذاً عمق معرفة علي بن أبي طالب ليس كونه علي بن أبي طالب فقط

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

فهذا اختزال واهباط وحط من درجة المعرفة، فعمق معرفة علي بن أبي طالب من حيث انه يمثل محط نزول ولاية الله جل جلاله فترجع إلى معرفة الله جل جلاله وإلى التوحيد وهذا لا يعني أن علي رب واله – العياذ بالله – بل هو عبد مطيع لله جل جلاله ومصطفى وتتنزل عليه الإرادة والولاية الإلهية وهذا معنى كبرى الإمامة وكبر الاصطفاء وكبرى الخلافة الإلهية.

**الوقفة الثامنة عشر: الترابط بين النبوة والإمامة له معاني حقيقية:**

ان تفكيك البحث عن الطبيعة العامة يؤدي إلى هبوط وحط من مستوى المعرفة بشكل عجيب وخطير، لذلك في مسالة تناول أئمة أهل البيتعليهم السلام كما في الروايات ان الآيات تركز على الكبرى والطبيعة العامة لأنها تمثل عمق المعرفة، فان الكثير يقرا هذه الرواية عن الإمام أبو جعفر الباقرعليه السلام:

«بني الإسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية»[١] ولم ينادي بشيء كما نودي بالولاية.

لكن البعض فقط يلاحظ الولاية التي فيها ولاية أهل البيتعليهم السلام بينما العمدة في الروايات المقصود هي ولاية الله ورسوله وأهل البيتعليهم السلام، فالصغرى إنما تعرف بعمق الكبرى فعمق فهم الصغرى هو بالكبرى، وأما

(١) الكافي الأصول ج٢ ص١٨.

تغييب الكبرى عن الصغرى فهو عبارة عن قشور وتسطيح وعوارض مشخصة، كما ان البدن بالنسبة إلى الروح عوارض مشخصة، لذلك كما في الروايات لو يشاهد الفرد نور علي قد لا يعرفه وينكره في العوالم الأخرى، فعلي بن أبي طالب ليس ببدنه، وعلينا ان نقرأ ونحاول فهم الرسول ليس في جانبه البدني وإنما مع جانب (يوحى إليه).

وكذلك نقرأ «محمد رسول الله وعلي أخوان» فيا ترى فالرسول وعلي هل ولدا من أب وأم واحدين ، نعم جدهما واحد وجدتهما واحدة، ولكن أخوان من جهة الروح روى الحاكم النيسابوري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلّي: «الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة ثمّ قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾»[(١)].

وروى الكنجي بإسناده عن أبي امامة الباهلي قال:

«قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجى ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك صحبتنا، أكبّه الله على منخريه في النار ثم تلا: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

---

(١) المستدرك على الصّحيحين، ج٢ ص٢٤١.

﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾»[1].

ومعنى الإخاء انه شقيقه في النور، والروح لها نسب والروح لا تتبع الأراضي ولا تتبع الشعوب، الروح من الآخرة وستعود إلى الآخرة أي من عوالم فوقية فالروح لها نسب آخر لها ارتباط اعمق واعلى.

واما قول الرسول «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»[2].

فهذا ليس مجاز إنما حقيقة ولكن الاغلب لا يفهمه الا عن طريق المجاز لأننا نعتبر الحقيقة من خلال المادة فقط واما وراء المادة وهو الغيب فنغيبه ولا نفهم الامور من خلاله بينما الصحيح ان الحقائق اوسع من عالم المادة وابوة محمد وعلي (صلوات الله عليهما والهما) انما هي ابوة حقيقية ومن مظاهرها ان تربية الامة في تكاملها نحو القرب من الله تتم من خلالهما ومن خلال تعاليمهما وسيرتهما.

## الوقفة التاسعة عشر: المعاني الروحية والمعنوية:

يقول الاجلاف لا تزور ولا تقدس القبر فان بدن الميت لا يؤثر شيئاً، فإذا كان البدن لا يؤثر فهل الروح لا تؤثر أو غير موجودة ولكن هذا ليس في حساباتهم، فالسلاح يؤثر وبخار السيارة تؤثر أما هذا الميت الذي في القبر فلا يؤثر، فهذا اقتصار على المادة وهذا مذهب حسي مادي دهري،

---

(١) كفاية الطالب، ص٣١٧.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى ج ٤ ص ٣٦٩.

بل العوالم الأخرى اشد طاقة واشد نفوذ واوسع تأثير، ثم هناك عملية اشتقاق روحي ونوري، ولقد خلق الله الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ولكن لأجل أن الروح مغيبة لا نقرا نسب الروح، وعندنا في الرواية أن حق الأب المعلم أعظم من حق الأب المولد وهذه ليست تشريفات ومجاملات، فقد ورد أن شخصا هداه ثم قتله أيعفي عنه أهله فقال كيف لا يعفون عنه فان هذا والده فهو قد قضى على بدنه ولم يقضي على حياته الأخروية الأبدية، أما قوله ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1] تأويلها الأعظم من قتلها يعني قد أظلها، فالذي يقتل هنا النفس اما قتل البدن فالفرد ليس اعظم لان من يعيش ستين سنة مثلا فالمساله هينه أما الذي يقضي على حياة الأبد ايهما أعظم بالبعد عن الهدى ؟، بالطبع هذا أعظم ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ يعني مصداقها الأعظم الاحياء الروحي والهداية، ولكننا لأننا نعيش في سجن وصنم المادة نغلفه تحت وطئه قراءات السلف الصالح، فيتنكر البعض للغيب والله يعتبر الغيب أعظم من الشهادة، وهم يقولون الشهادة أعظم من الغيب، طبعا الشهادة مع الغيب والغيب مع الشهادة لا أن تلغي احدهما

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

وكلما غاب يكون أعظم، فهذا ليس مجاملة بل تأويلها الأعظم من هداها، لأنه اوجد له حياة أبدية وسبّب تكوينيا حياة أبدية له.

إذاً هذه نكتة مهمة وهو أن إغفال جانب الطبيعة العامة والمعنى الروحي والهوية الروحية وتغييبها يعتبر من أسطح التسطيحات واخواء للمعرفة.

## المبحث السابع: من مواقف الأنبياء وأقوامهم

ومن تلك المحاججة المهمة لنا مرور على بعض مواقف الانبياء مع اقوامهم وما يمكننا ان نستجلي من خلالها بعض المعارف النافعة بعون الله تعالى.

### الموقف الأول: من مواقف النبي ابراهيم عليه السلام :

#### أولاً: تعجل إبراهيم عليه السلام بالدعاء على العباد:

كان النبي في صدد بيان أخلاقيات رسالة الرسول كيف تكون أو أخلاقيات خليفة الله كيف تكون، وهذه شؤون خاصة بالمعصوم أو التفاضل في العصمة كيف يكون «وذلك قول ﴿نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ قوى الله بصره» الظاهر انه رفع وقوى الله بصره «لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فهمّ بالدعاء فأوحى الله إليه يا إبراهيم إكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فاني

أنا الغفور الرحيم والجبار الحليم لا تضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعي طاعتهم ولست أسوسهم بشفاء الغيض كسياستك فاكفف دعوتك عن عابدي وإمائي فإنما أنت عبد نذير لا شريك في المملكة» فهذه نكتة مهمة فلا تبدي من قرائحك لأنك مهما وصلت الى الحكمة فان الله تعالى هو احكم الحاكمين وهو تعالى اعلم بما يصلح عباده وهو رحيم بهم لا يقطع عطائه عمن عبده وعصاه.

### ثانيا: التمظهر بعبادة الكواكب

### لا يعد ذنباً وامتياز الاستدلال الابراهيمي:

المقصود في الذم المتواتر هو من كان على صرف الكفر والظلال لذلك المتكلمون والفقهاء ذكروا أن الكافر في طريق التحري ممدوح لا لكفره أو ظلاله بل لكونه باحث ومنقب وفاحص عن الحقيقة، فمن ثم يكون ممدوح، واحد الملاحم العظيمة التي يذكرها القران أن نبيا من الأنبياء وهو النبي إبراهيم من أولي العزم في مشهد من قصته يتمظهر بعبادة الكواكب ولكن ليس كعبادة مصرّ أو متوقف عليها وإنما هو فاحص فهذا يعتبر طريق هداية، لان الفاحص في الحقيقة هو يرجوا من بعيد الوصول إلى الحقيقة وهي توحيد الله ومن خلال البحث يكون على طريق الهداية، فمن ثم أن ما مارسه النبي إبراهيم لا يعد ذنب له، وهذا ليس بالأمر السهل أن يتمظهر نبي من الأنبياء وهو من أولوا العزم بهذا اللباس أو السلوك لان فيه جانب تضحية بالسمعة مما يدل أن طريق الفحص هو

طريق نجاة وليس طريق ظلال وان كان هو بلباس أهل الظلال ما دام الفرد فاحصا.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

ويمكن ان نصوغ الاستدلال كالاتي:

الآيات التالية تشرح لنا استدلال إبراهيم من أفول الكواكب والشمس والقمر على عدم صحة كونها آلهة وعدم صحة عبادتها من دون الله تعالى، فعندما جن الليل ظهر كوكب وورد في الروايات أنه كوكب الزهرة، فطرح إبراهيم عليه السلام السؤال: هل يكون هذا رباً؟ ولكنه حين شاهده يغرب، قال: لا أحب الذين يغربون، ومرةً في السماء، رأى القمر وعاد إبراهيم عليه السلام السؤال هل يكون هذا رباً؟ ولكن القمر ايضا اختفى هنا قال إبراهيم عليه السلام: إذا لم يرشدني ربي إلى الطريق الموصل إليه فسأكون في الضالين.

وطلعت شمس النهار، ولما رأى إبراهيم الشمس أعاد السؤال ثالثة

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٦ ـ ٧٩.

هل يكون هذا ربا؟ ولكنه حين رآها تغرب أعلن إبراهيم قراره النهائي: يا قوم! ان كل هذه المعبودات الباطلة التي تجعلونها شريكة لله، كلها مخلوقات متغيرة محدودة خاضعة لقوانين اقوى منها ورائها إلهاً قادراً الذي خلق السماوات والأرض، وكانت النتيجة:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

ونلاحظ ايضا ان استخدام كلمة (رب) تعبر عن ذكاء في الاستدلال لان المربي لا بد أن يكون حاضرا وقريباً من مخلوقاته ومن هنا فلا يجوز لمن يغيب ويغرب ويختفي أن يكون رباً وإلهاً.

بل هو (الرب الباطل) حينما يخضع للقوانين الطبيعية، فلا يمكن أن يحكم على هذه القوانين ويكون مهيمنا عليها.

**الموقف الثاني: من تفسير قصة موسى مع الخضر عليهما السلام:**

احد تفاسير توضيح اختلاف نهج الخضر عن نهج موسى عليهما السلام ليس في انه شريعة الله هناك منهجان وإنما هو شيئاً واحد ولكنهما كما يلي:

الأول: الشريعة تارة تحرز موضوعاتها واليات بموازين وإمارات ظاهرية تصير شريعة ظاهرة.

الثاني: تارة الشريعة تطبق وتقام بموازين واقعية أي بتوسط العلم

اللدني فتسمى شريعة باطنة.

مع أنها شريعة واحدة، وتطبيقها على المصاديق والموضوعات ( وقد اشرنا إليها في الإمامة الإلهية الجزء الثالث) يكون باليات يقينية أو لدنية، لذلك لما بين الخضر للنبي موسى القواعد وتطبيقها كان تطبيق خفي دقيق، صحيح أن موسى في التنظير والشريعة اعلم أما إقامة تلك الشريعة في بعض المساحات الخاصة فقد كان للخضر من الصلاحيات ما لم يكن لموسى، لذلك ورد في الروايات انه كان لكل فضل ولذلك الخضر برر للنبي موسى عن افعاله بما يوافق ثوابت في شريعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ موسى.

قال تعالى:

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن

سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

ورد في ( تفسير علي بن إبراهيم ):

لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشا بخبر أصحاب الكهف قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى أن يتبعه وما قصته فأنزل الله تعالى ﴿وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وأَمْضِيَ حُقُباً﴾.

قال وكان سبب ذلك أنه لما كلم الله موسى تكليما فأنزل عليه الألواح وفيها من كل شيء موعظة ورجع موسى إلى بني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أن الله قد أنزل عليكم التوراة وقال في نفسه ما خلق الله خلقا أعلم مني فأوحى الله إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك وأعلمه عند

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥ ـ ٨٢.

ملتقى البحرين عند الصخرة رجل أعلم منك فصر إليه وتعلم من علمه فنزل جبرئيل عليه السلام على موسى عليه السلام وأخبره في ذل موسى في نفسه وأعلم أنه أخط ودخله الرعب وقال لوصيه يوشع إن الله قد أمرني أن أتبع رجلا عند ملتقى البحرين وأتعلم منه فتزود يوشع حوتا مملوح وخرجا.

فلما خرج وبلغا ذلك المكان وجدا رجلا مستلقيا على قفاه فلم يعرفاه فأخرج وصي موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضي ونسيا الحوت.

و كان ذلك الماء ماء الحيوان فحيي الحوت ودخل في الماء فمضى عليه السلام ويوشع معه حتى عييا فقال لوصيه ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ فذكر وصيه السمكة فقال لموسى عليه السلام فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ على الصخرة فقال موسى ذلك الرجل الذي نصبه رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعا عَلَى ﴿ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ إلى عند الرجل وهو في الصلاة فقعد موسى عليه السلام حتى فرغ من الصلاة فسلم عليهما.

حدث محمد بن علي بن بلال عن يونس قال: اختلف يونس وهشام في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام أيهما كان أعلم وهل يجوز أن يكون حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فقال قاسم الصيقل فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إما جالس وإما متكئا فسلم عليه موسى فأنكر

السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام فقال من أنت قال أنا موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما قال جئت لتعلمني ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ قال إني وكلت بأمر لا تطيقه ثم حدثه العالم بما يصيب آل محمد عليه السلام من البلاء حتى اشتد بكاؤهما ثم حدثه عن فضل آل محمد حتى جعل موسى يقول يا ليتني كنت من آل محمد حتى ذكر فلان وفلان ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يلقى منهم ومن تكذيبهم إياه وذكر له تأويل هذه الآية ﴿وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين أخذ الميثاق عليهم فقال موسى عليه السلام ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً فقال الخضر إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ فقال موسى عليه السلام ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً ولا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾ قالَ ا لخضر عليه السلام ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شيء حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

يقول ﴿فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شيء﴾ أفعله ولا تنكره علي حتى أخبرك أنا بخبره قال نعم فمروا ثلاثتهم حتى انتهوا إلى ساحل البحر وقد سنحت سفينة وهي تريد أن تعبر فقال أرباب السفينة نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فإنهم قوم صالحون فحملوهم فلما جنحت السفينة في البحر قام الخضر عليه السلام إلى جانب السفينة فكسره وحشاها بالخرق والطين فغضب موسى غضبا شديد وقال للخضر ﴿أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ فقال له الخضر عليه السلام ﴿أَ لَمْ أَقُلْ لك إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ قالَ له موسى عليه السلام

﴿لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ ولا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾ فخرجوا من السفينة.

فنظر الخضر عليه السلام إلى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر في أذنيه درتان فتأمله الخضر عليه السلام ثم أخذه وقتله فوثب موسى على الخضر عليه السلام وجلد به الأرض فقال ﴿أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ فقال الخضر عليه السلام ﴿أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ قال موسى عليه السلام ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شيء بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾ فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا بالعشي قرية تسمى الناصرة وإليها تنسب النصارى ولم يضيفوا أحدا قط ولم يطعموا قريبا فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيفوهم فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال ليتهدم فوضع الخضر عليه السلام يده عليه وقال قم بإذن الله فقام فقال موسى عليه السلام لم ينبغ أن تقيم الجدار حتى يطعمون ويروون وهو قوله ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ فقال الخضر عليه السلام هذا ﴿فِراقُ بَيْنِي وبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ﴾ التي فعلت بها ما فعلت صالحة فإنها كانت لقوم يعملون في البحر فأردت أن أعيبه وكان وراء السفينة ملك يأخذ كل سفينة غصبا كذا نزلت وإذا كانت السفينة معيوبة لم يأخذ منها شيئا.

وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبواهُ مُؤْمِنَيْنِ وطبع كافرا كذا نزلت فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب طبع كافرا ﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وكُفْراً فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وأَقْرَبَ رُحْماً﴾ فأبدل الله والديه بنتا ولد منها سبعون نبيا من أنبياء بني إسرائيل.

﴿وَ أَمَّا الْجِدارُ الذي أقمته فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وكانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُم وكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما إلى قوله ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾.

**الموقف الثالث: عمران قوم عاد:**

«مسائلة عباد الله بهم أرسل الله على قوم عاد ريحا صرصرا عاتية تنزع الناس كأنهم إعجاز نخل خاوية وأمر جبرائيل أن يصيح في قوم صالح عليه السلام»[(١)].

أن عاد في الربع الخالي من الجزيرة ويقال في علم الاثار أن مدينتهم تحت الرمال وهي مدينة عظيمة في التقنية ويقال إلى ألآن البشرية لم تصل إلى تقنيتهم فقد وصلوا إلى تطور عجيب ولذلك ايضا حتى ألآن التطور الفرعوني في مصر المكتشفين منه في حيرة وهذه الصخور وبعض الموازين والمعادلات والمومياء، فعاد يقال أن لهم تطور مدني عظيم بحيث أن بيوتهم من البلور والجواهر وبشكل ليس فيه أسباب ضعف، فحسب ما توصف تلك المدينة في الروايات التاريخية وحتى في الروايات عن المعصومين توصف بتقدم مدني عمراني عجيب، والربع الخالي هي نفس جبال صلالة في عمان مطلّة على الربع الخالي، أما ثمود قوم صالح فهم يبعدون ٢٤٠ كم شمال المدينة باتجاه تبوك وبيوتهم في الصخور إلى ألآن موجودة، ولذلك تاريخياً نُؤكِّد انه تحت الربع الخالي كنوز عجيبة[(٢)].

---

(١) راجع قصص الأنبياء للجزائري.

(٢) راجع الملحق في آخر الكتاب، ملحق حول آثار قوم عاد.

**الموقف الرابع: أمثلة لافتتان امم الأنبياء:**

وأكثر الإيهام والالتباس والمغالطة والحيرة في الأمم وفي موارد عديدة نشأت من التباس أعمال الشيء الذي هو في غير دائرته وافقه بل فوق افقه ومداه، وقد مثلنا سابقا أن انحراف النصارى واليهود أنهم شبه لهم قتل النبي عيسى عليه السلام وان الله نقم على انحراف النصارى واليهود، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾[1] فهم ليس لهم يقين وإنما يتبعون الظن، فكيف يعبر القران الكريم بقوله ﴿شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ أي في عينهم أي القي شبه النبي عيسى على احد حواري النبي عيسى أو ربما يقال على عدو للنبي عيسى فقتلوه، فان إلقاء الشبه أمر حسي، هذا الحس يقين فكيف يعبر عنه القران الكريم بالظن وكيف يذم إتباعه وبالتالي التواتر الذي لدى إتباع الديانة المسيحية والنصارى منشئه الحس، فانه شاهدوا بالحس قتل النبي عيسى عليه السلام فنقلوه إلى الأجيال، وفي تعبير المفسرين ومنهم الفخر الرازي أن هنا لغز وتعقيد في مراد الآيات القرآنية وصعوبة حله، فهل أن الحس ليس بحجة وهل التواتر ليس بحجة، وكثير من مفسري العامة يعبرون أن الأديان قامت على التواتر والحس، فمعجزات الأنبياء وغيرها فإذا كان

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

القران يعبر عن الحس والتواتر بأنه ظن ولا يتبع وليس يقين فعلى أي شيء نعتمد؟.

هذا الإشكال والتساؤل من الفخر الرازي وغيره من مفسري العامة في الحقيقة أنهم لم يلتفتوا إلى النكتة في منهج القران الكريم، فان المراد في الحقيقة لا يريد أن يقول أن الحس ليس بمطلقه حجة أو أن التواتر المستند إلى الحس ليس بحجة، بل مراد القران الكريم أن الحس حجة واحد أسباب اليقين والتواتر حجة واحد أسباب اليقين هو في دائرة محدودة بعدم وجود يقين اكبر منه ومخالف له، لان اليقين درجات فإذا وجد شيء ويكون سببا لليقين يخالف الحس والتواتر فذلك اليقيني أحرى بالإتباع وتسلب صفة الحجية عن الحس والتواتر، وهذا من ظرائف المنهج والمنطق القرآني.

بل وحتى المناطقة يعترفون أن البديهيات ستة أقسام وهي على ستة مراتب ودرجات، ولم يجعلوا الحس أبده البديهيات، وإنما جعلوا الأوليات ثم الفطريات ثم الحسيات ثم الاستقراء ثم الحدسيات فالحس لم يجعلوه أول أو ثاني أسباب اليقين بل هو الثالث، فجعله في المراتب المتأخرة معناه أن مراتب اليقين على مراتب متفاوتة، فإذا كان اليقين أسبابه على مراتب فدرجات اليقين متعددة إذاً مراتب اليقين ليست على وتيرة واحدة في قوة الحجية ودرجة الحجية واعتبارها، والمرتبة العليا هي التي يعول عليها وإذا صادمت المراتب النازلة من اليقين، فمع كونه يقين إلاّ أن هذا اليقين له

درجات، فإذا تجاوزت بدرجة من اليقين عن مداه يكون تمسك بغير حجة ويكون من التمسك بالظن فينقلب اليقين ظنا، فهل تعبير القران مسامحي أم التعبير باليقين ظني ليس مسامحي، هو ليس مسامحي لأن حقيقة اليقين إذا كان له درجة ومدى ومدار معين وحدود معينة فهذا يعني أن ما وراء خط وحدود ومدى هذا اليقين هناك يكون اليقين ليس بصفة اليقين بل بصفة اضعف، وهو شبيه المصباح فإذا كان على مئة وحدة كهربائية فله دائرة من كشف المجهولات بحدود عشر متر مثلا أما إذا تجاوزت به إلى ما بعد عشر متر ولنفرض خمسة عشر متر سترى أن له نوع من الارائة ولكن ارائته ضعيفة وملتبسة، ففي دائرته للارائة هو واضح أما ما ورائه تكون الدائرة ملتبسة وغير واضحة فلا يكون حجة، أما لو كان المصباح درجته ألف وات كهربائية فترى مداه إلى مائتين متر، فلذا لو أراد مسترشد أن يأخذ المصباح ذي مئة وحدة كهربائية ويستضيء به لمئات الأمتار، لكان بذلك متبعا للظن وتاركا لليقين والنور. وحتى ألف وات فهو لمئات الأمتار أما آلاف الأمتار فلابد أن يستضيء بالشمس مثلا أو القمر، لان لذلك سعة بيان وكشف أكثر.

ومثال آخر يذكره القران حيث بين أن أعظم فتنة افتتن بها اليهود هي دعوى قتل النبي عيسى، وان فتن امتحانات الله في الإدراك والبصيرة والفكر أعظم صعوبة من الامتحانات في الغرائز وأعظم تعقيدا ومثوبة وأعظم عقوبة، ومنها فتنة الجمل والخوارج والنهروان وصفين وكلها

بالدقة فتن في البصيرة، وتعبير أمير المؤمنين عليه السلام «أنا فقئت عين الفتنة»، بمعنى أزال تلك الفتنة وأزال السحب المظلمة لهذه الفتنة، وإلا فانت حينما في الطرف الأخر تجد أم المؤمنين فمن يجرؤ على مقابلتها إذا كانت على خطا؟، فلم يكن إلاّ صهر النبي صلى الله عليه وآله وابن عمه وصاحب يوم الغدير هو من يستطيع أن يبين أن هذه المفاهيم قد تخطئ في الطرف الأخر، أو أن هؤلاء الخوارج ذوي الجباه السود يتلون الكتاب وجباههم ساجدة ويتمظهرون بعبادة وزهد وتقشف، فمن يقدر أن يخطئ طريق التقديس الخاطئ؟، إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام، أو الدجل الذي استعمله بني أمية وما شابه ذلك فمن يكشف زيفه الا امير المؤمنين عليه السلام.

ويذكر القران مثال آخر لفتنة فكرية وهي فتنة العجل والسامري فقد صاغ لهم السامري عجل من ذهب ثم لما رمى في داخل العجل تراب من تحت حافر حصان جبرائيل باعتبار أن جبرائيل أتى مع الحصان ألنوري ليهدي النبي موسى وبني إسرائيل في عبور البحر، والسامري من أهل الفهم وكان من أصحاب النبي موسى لكنه انحرف، فشاهد أي موضع يطؤه حصان جبرائيل يخرج الزرع فجأة فكأنه يفيض الحياة على التراب فعرف أن موضع تراب الحافر له خاصية ملكوتيه فاخذ قبضة من التراب ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾[1] فعرف

---

(١) سورة طه: الآية ٩٥.

أنها تسبب الحياة و (كذلك سولت لي نفسي) فسببت أن يخرج صوت له والتبس هذا الأمر على بني إسرائيل وهم رأوا أمرا حسي فبالتالي امنوا به فتركوا دليل العقل وذهبوا إلى الحس، كما ان المسلمين تركوا نص الغدير وذهبوا إلى حس البيعة في السقيفة، فبالتالي هم قد اخطئوا بالتمسك بالحس وتركوا العقل والوحي وهذه فتنة أخرى من اشد الفتن ابتلى بها اقوام الانبياء واصحابهم لازالت اضرارها عبر الاجيال.

**الموقف الخامس: التحريف في الأديان وتعصب اليهود:**

«فهذا رب العالمين قد وعدني» فالنبيصلى الله عليه وآله لم يستجب لهم إلاّ بعد أن إذن له الله تعالى «أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم ويزيد في بصائر المؤمنين منكم قالوا قد أنصفتنا يا محمد فان وفيت بما وعدت من نفسك من الإنصاف» ولا ندري هل اليهود الذين اسلموا هل ابقوا على نسبهم فاليهود بغض النظر عن تعصبهم لليهودية لهم تحسس خاص تجاه النسب فالمفروض أن سلالة من اسلم منهم يحتفظ بنسبه ولعل هذا هو الذي يكون من الحجج الدامغة على اليهود في هذا الزمان،وهو أن في اليهود المعاصرين للنبيصلى الله عليه وآله هناك من امن بآيات وحجج النبيصلى الله عليه وآله.

فالتعبير من الرسولصلى الله عليه وآله لأنه ألآن الكثير من التبشير اليهودي أو المسيحي ينكرون أن النبيصلى الله عليه وآله إبراهيم قد اخذ ابنه إسماعيل إلى مكة، فهم يقفزون على الحقائق ولكنهم لا يستطيعون أن ينكروا أن اليهود كانوا في

المدينة وفي خيبر ولماذا نزحوا من الشام وهي الجنان والارض ذات الانهار والزروع إلى صحراء قاحلة أليس ذلك لأجل الاستبشار بنبي آخر الزمان، ونفس هذا برهان على نبوة نبي آخر الزمان فخيبر هي اثر برهاني تاريخي أدياني على أن اليهود والمسيحيون كانوا على علم بمجيء نبي آخر الزمان.

«وإلا فأنت أول راجع من دعواك للنبوة وادخل في غمار الأمة ومسلم بحكم التوراة» هنا في حجاج اليهود أنهم كانوا يداينون بحكم التوراة فاليهود في ذلك الزمان قد لا يخصون التوراة باليهود، بينما ألآن اليهود لا يدعون غيرهم إلى اعتناق اليهودية، بينما حجاج كثير من اليهود مع الرسول ومع الأئمة كان حجاجهم أن تقتنع بنبوة النبي ﷺ موسى وامن بها فقط وانه آخر الأنبياء، ومن العجيب أن اليهود في كل قرن يعيثون في تحريف التوراة أكثر فأكثر، كما هو الحال في طباعة الصحاح فكل طبعة تحرف أكثر وتغير أكثر وأكثر، فهؤلاء كل جيل يأتي منهم ينحرفون أكثر فأكثر، ولذلك الصهيونية هي تحريف زائد على اليهودية على ما هي عليه من الانحراف، الآن الصهيونية فيها حاخامات هم ينظرون للصهيونية ويعتبرونها هي الدين والذي يحارب الصهيونية يحارب نفس التوراة، فالصهيونية عبارة مرحلة مسخ لليهودية على ما مرت عليه اليهودية من تهود، وهذه نكتة مهمة هو أن يتابع الإنسان مراحل التغير المتعددة التي مرت بها الأديان، ولذلك هنا تكمن ضرورة وجود وبقاء سلسلة المعصومين فلا يمكن أن يعصم الدين إلاّ بالمعصومين وإلا يبتلى ويناب

بنوائب التغيير إلى أن يمسخ عدة مرات حاله حال بقية الاديان، فمن الجيد اذن معرفة كم مرة مسخت اليهودية، والصهيونية كما يعترفون نشئوا قبل قرن أو قرنين بتحريف اليهودية، وحتى ما يخص المسيحية من هذا الجانب فقد تابعت بحث في بريطانيا هو ضد الصليبية التي هي نوع مسخ للمسيحية بشكل جديد ويستشهد المؤلف وهو كاتب بريطاني بالدليل على أن المسيحية حرفت عدة مرات ويستشهد أن هناك طقوس دينية عند المسيحيين الشرقيين غائبة تماما عن المسيحية الغربية، فالمسيحية الموجودة في بلاد الشام عندهم طقوس قد اندثرت في المسيحية الغربية وان تلك المسيحية قد صودرت في المسيحية الغربية، وهذا أمر مهم وهو حقيقة ثابته أن دين المسيحية أو اليهودية مرت بكم طور تغييري مسخي انحرفت من خلاله اغلب التعاليم.

**الموقف السادس: حول الهدهد العجيب:**

دابة دراكة كما في الهدهد العجيب أمره حيث قال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] واللطيف لماذا الهدهد قدم محذور حاكمية المرأة واستغرابه منه أو استنكاره لحاكمية المرأة أكثر من استنكاره لمحذور

(١) سورة النمل: الآية ٢٣ ـ ٢٤.

عبادتهم لغير الله، فهل هناك ما هو اكبر من التوحيد؟، فالاستغراب يكون من شيء منكر ولا يستغرب الإنسان من شيء غير منكر، وهذا تقرير من القران لهذا المطلب وهو احد أدلة عدم حاكمية المرأة في القران رغم أن بلقيس كانت رشيدة مع ذلك هذا الاستنكار يعتبره القران فالقران يقرر هذا التعجب ويدل ذلك انه هذا شيء غير محله، فالقران لم يفند ذلك رغم ما يمتدحها القران يقرر أنها ليست حاكمة، فما السر ان الهدهد قدم ذلك المحذور؟.

ونظير هذا التعبير ما ورد معناه عن أمير المؤمنين عليه السلام «الحكم يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم» فهل الظلم هو أزيد من الشرك؟، كلا واتفاقا هناك شرك أو كفر فردي وهناك كفر اجتماعي سياسي، والكفر السياسي وهو الطغيان والظلم، وان مظهر التوحيد في النظام السياسي الاجتماعي هو العدل، ومر بنا أن التوحيد في النظام السياسي بدرجات دانية لا يفرط الله في بقاءه فالحكم يبقى مع الكفر، لان الكفر هنا الفردي ولا يبقى مع الظلم لان الظلم في النظام السياسي، أو قل الكفر كتسمية وعنوان ويبقى مع الملك ولكن لا يبقى من الكفر الحقيقي الواقعي وهو الظلم، فان الظلم كفر حقيقي وإلوهية وربوبية واعتى وأكثر خطورة.

وهنا نفس الشيء حاكمية المرأة في الواقع لا تؤدي إلى العدل السياسي وهو اخطر ظلم سياسي «ما ولي قوم امرأة إلا كان أمرهم سفالاً» أي يسفل نتيجة وجود عاطفية المرأة وتأثيره على إرادتها وبالتالي تختلط

الأمور، واختلاط الأمور يسبب فساد في النظام السياسي، وهو نفس التعبير الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام. فالكفر تسمية أو الكفر من جهة فردية، أما الكفر على صعيد واقع النظام السياسي فهذا لا يبقيه الله ولا يديم عمره لأنه يحول دون أصل فلسفة التكوين وخلقة الأرض وعمارتها.

إذاً اغرب شيء ينقله الهدهد في سياق ذكر محاذير وطامات عند قوم سبا أول محذور ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ فمركز المحذور والإشكال هو كونها امرأة، ثم يذكر محذور عبادة الشمس فان عبادة الشمس طقس فردي أما حاكمية المرأة هو واقع نهج كفري وهو على خلاف الفطرة الإلهية وهذا يدل على عظمة خطورة وفساد أن المرأة تكون حاكمة في رأس الحكم، فالمرأة ليست مخلوقة لهذا وهذا ليس استنقاص للمرأة وهو بحث آخر، فإذا صارت وزيرة خارجية لا يمكن أن تترك المكياج فهل وزارة الخارجية لأجل المكياج أو ترتب شعرها الأشيب مع كبر سنها وتتأذى إذا لم تفعل ذلك فهذا جانب عاطفي وأنثوي، فالمرأة هي هيَ لا تتغير طبيعتها، وهذه الطبيعة ليست ناقصة. نعم الإسلام والدين عرف كيف يكاملها ويجعل من مريم عظيمة ويجعل من فاطمة أعظم فالتكامل مفتوح للمرأة وبالنهج الذي رسمه لها.

إذاً الكلام انه كيف يدرك الهدهد محذوريه الفساد في النظام السياسي اخطر من الفساد في الاعتناق الفردي أو التسمية وهو نفس تعبير أمير المؤمنين عليه السلام «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم». ويمكن للدواب

بأقدار من الله أن تدرك والآن حتى في علوم الأرواح الغربية الحديثة يقولون بان هناك الروح جامد أو صامتة وهناك ناطقة وفاعلة ويعتبرون أن الجمادات لها أرواح وكذا النباتات ويعبرون ذلك بمشاهدات كما في قضية البروفسور الياباني كيف اكتشف تأثير البسملة على الماء ويعبرون روح الحيوان روح ناشطة ولكن كلها ليس بنشاط الإنسان والآن تشاهد بعض الحيوانات إذا علمتها بعض التدريبات الفكرية تتقنها وتتفاعل فيها، فهذا أمر ليس محال وممكن سيما القران يشير إلى ذلك ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[1] أي فيه شعور، فسابقا أوله المفسرون وقالوا تسبيح بمعنى أن نظام خلقتها يشهد على عظمة الله فهو تسبيح فهذا تأويل وليس هو المراد الحقيقي، وإلا ظاهر الآية هو الادراك والشعور، وفي آية أخرى ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾.

فالمهم في العلوم التجريبية قواعدها إعدادية وليست فاعلة وسبب عدم الاطراد تراهم بعد جيل من علماء الفيزياء أو الأحياء أو الكيمياء أو غيرهم إنهم ما ضبطوه من معادلة قد تتخلف وسبب التخلف هو أن هذه المعادلات ليست فاعلة وإنما هي معادلات قابلة أي استجداء واستعطاء أما أن يعطى أو لا يعطى فهذا بحث آخر، وهذه نكتة مهمة في جميع العلوم الطبيعية أنها علوم إعدادية، وهذا يشير له ابن سينا في إلهيات الشفاء.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

## المبحث الثامن: حجية الأنبياء والأئمة المعصومين

البحث عن الحجية ذا مراتب وهي مجموعيه وليست انفكاكيه ومفككة عن بعضها البعض بل هي مجموعيه ومترابطة، وفرق بين أن تقول الأخذ بأحدهما أو تقول الأخذ بكليهما فالحجة الأدنى لا تتقاطع ولا تتنافي مع الأعلى بل هي شعبة وفي ظل الأعلى وإنما تمييز ما صورته حجة دانية عن ما هو حجة دانية واقعية، فميزان المحق من المبطل في المراتب النازلة نميزه بالمراتب العالية، من خلال أن المحق ينقاد وتابع وشعبة لما هو أعلى.

وهناك مثال تقريبي وهو بحث جانبي وهو أن كل الأنبياء يدعون لدين واحد أما اي واحد منهم عليهم السلام شريعته المنسوخة لا يدعو لها فعيسى عليه السلام هو في زمانه كان يدعو إلى (أحمد) وليس انه يعزب عن الدعوة إلى سيد الأنبياء بل أن من فرائضه أن يدعو إلى سيد الأنبياء.

ولنا هنا مجموعة من الافادات المهمة بشكل مباشر وغير مباشر مع هذا الموضوع:

## الإفادة الأولى: التمييز وفق البديهيات العقلية:

على أي تقدير تمييز المحق في المراتب النازلة عن المبطل هو بالانطباق بل حتى في العبودية والألوهية وهو كيف يميز الذي تحصل له مكاشفة أو مشاهدة فهل هذا الهام رحماني ورباني أو انه الهام شيطاني فانه قد بعض النفثات منبعها غيبي بينما هي من الشيطان وإنما نميزها ببديهيات العقل، إذاً بديهيات العقل تميز له الإله المحق من الإله المبطل كما في نمرود أو فرعون ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[1] فهذا في تميز الألوهية فقد يأتيك هاتف أو الهام أو إيحاء شياطين وتميزه بالبديهية العقلية فبذلك أصبحت العقلية وهي المحكمات في الصدارة وبعدها المحكمات في فرائض الله وبعدها المحكمات في سسن النبي صلى الله عليه وآله وبعدها تأتي محكمات سنن المعصومين وبعدها تأتي محكمات توافقات الفقهاء فيما هو شرعي، إذاً حتى في الألوهية هناك من هو مبطل ومن هو محق وهو قابل للتصوير.

## الافادة الثانية: التمييز وفق نظام تراتبي:

إذاً هذه المراتب مجموعيه وفي في نفس مجموعيتها فيها انتظام تراتبي وهذا أمر مهم جدا لتمييز هذه الأمور، ولذلك تمييز كل حجة حقيقية عن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

حجة صورية هي بالحجة التي هي أعلى منها، بمعنى الحجة الكاذبة في صورة الحجة الحقيقية فمثلا ربما تأتيك إيحاءات تظن أنها رحمانية والبعض مثلا يرى نور شعشعاني فيظن انه اله مع الباري فالمقصود تمثل من الجن بشكل نور فيظن انه اله ويلمس منه بعض الأمور بان يخبره أن غدا يقع كذا حدث أو الشخص الفلاني يضمر لك كذا وتراها مطابقة للواقع، ومثل هذه الأمور قد يعطى من الجن فيما إذا صار رئيس فرقة ضالة مثلا وليس لكل احد وإبليس بنفسه يريد رئاسة وزعامة ولا يريد عليه زعيم، إذاً قد ترى أنهم ينبئون بمغيبات وان الشيء الفلاني موجود في كذا مكان أو بوقوع حرب عن قريب ستقع وهذه أمور ليست بغيبية وإنما حقيقتها هي أمور خفية فأنت لو كان عندك جهاز كاشف لعرفتها ونحن ليس عندنا بينما الجن عندهم مثل تلك الأمور تبعا لتكوينهم، ولا دلالة فيها على الأمور الغيبية والملكوتية او انها من لوازم مقامات ايمانية مثلا، وما سيقع أيضا ليس له دلالة بينما البعض يتصور أن له دلالة، علما أن الكهنة هذه هي أدوارهم، والقران لم ينفي أن الجن يسترق السمع بل قال ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ لا انه لا يخطف فيتبعه شهاب يصيبه أو لا يصيبه وقد يدلي بالمعلومة إلى جني آخر قبل أن يحترق، إذاً هذه تدلل أن هناك اختطاف لبعض السمع، حتى في قوله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ موجبة جزئية للصدق.

**الافادة الثالثة: التميز يكون من خلال الحجة الأعلى:**

إذاً هذه الأمور كيف أميز بينها أنها حجة واقعية أو ليست بحجة ؟، أميزها بالحجة الأعلى، ولو فرض أن الترديد في الحجة فالأعلى إلى أن تصل إلى البداية، وهذه نكتة وضابطة مهمة في تمييز الحجج وفرز ما هو سقيم منها وما هو صوري منها عن ما هو حقيقي. ومر بنا أن الذي يحصل عند الأنبياء هو في مرحلة الخيال أما ما فوق الخيال فليس لديهم قدرة كما في قوله ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾، ومر بنا أن تزيين الشيطان في غير المعصوم لانهم يستطيعون التسلل إلى العقل وطبيعة وجودهم هو وجود لطيف لا يرقى إلى العقل الكامل وان كان لديهم شعبة من العقل الجزئي فطبيعتهم وحركتهم في عالم اللطافة في الخيال والأجسام وفي الخيال لديهم قدرة عجيبة أما في عالم العقل لا يستطيعون التسلق ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فليس هذا ترحم وتعاون من إبليس بل انه لا يستطيع فهذا تخصص وليس تخصيص.

**الافادة الرابعة: حجية المعجزة العلمية**

**أعمق من المعجزة العملية:**

قيل عن بعض الأدعياء لمقامات السفارة مع قدرتهم على السحر لكن إذا أتيته بمبحث عقلي ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ لا يخرج من ذلك راس خيط، لذلك ما يدعونه من معاجز دوما لا قيمة لها، ولاحظ رغم ذلك أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمعجزة علمية، وليس كشف خبر بل مسألة

علمية وبرهان ساطع، بل يأتيك بأجساد وصور و تمثلات وهذه لا قيمة لها لأنها تشتبه بين السحر والتخييل وبين الحقيقة فلا وقع ولا خطب ولا شأن لها، بل المدار على الحقائق العلمية العالية، لذلك المتكلمون والحكماء قالوا بان اصحاب الالباب ينقادون إلى المعاجز العلمية كمعجزة سيد الأنبياء أما المعاجز العملية احيانا بعض منها تلتبس بالشعبذة والتحايل السحري، لكن في الأنبياء هي بنحو محطم وغالب لأقوى واعتى السحرة فمن ثم صارت معجزة، فلو أتى شخص عادي ويرى عصا موسى ويؤمن بموسى فلا يؤثر كثيرا بينما أول من امن بموسى هم اسحر السحرة لا عموم الناس، لان أولئك في أنفسهم يصنعون المزيف فبالتالي هم يعلمون الحقيقي من المزيف كذلك في أمور الطب وغيره حينما عجز الاطباء امام معاجز عيسى عليه السلام.

ومع أنهم جاءوا بسحر عظيم واستمالوا الناس وقد وصف القران سحرهم ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ ولذلك المعجزة العملية لا يأبه بها الحكماء من جهة أن التمييز فيها صعب لا انه ممتنع، بخلاف المعاجز العلمية فلا سبيل للشياطين والجن إليها وتميزها يكون سهل، ولذلك إذا تشاهد بعض الكرامات إذا كانت عملية فلا باس بها لكنها غير الكرامات العلمية.

### الافادة الخامسة: آثار العلم في النشأت أعمق من آثار العمل:

مربنا أن المرحوم الشاه آبادي وكان يعظم المرحوم المجلسي فيفسر هذه الرؤية ان الكتب العملية التي للعلماء قد جزائها لا يتبين في البرزخ أو

الجنة أو الآخرة، لان العلم جزاءه أعظم من نفس أجسام الجنة، فالعلم جزاءه ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أما في البرزخ فتظهر آثار الأعمال من صلة رحم أو تصدق بالمال على شخص مدقع أو رأفة بضعيف أو ربما تشاهد شخص في البرزخ سيء الحال وشخص حسن الحال ولكن في الآخرة له مقام سيء الحال فيختلف فلا تتعجب منه وهذا ليس إغراء في التساهل في الجانب العملي كلا ولكن لجانب العلم جزاءات اكبر وهذه مشاهدة حول أحوال أهل البرزخ وهي موجودة في الروايات فتمر على أهل البرزخ وأهل المحشر أحوال مختلفة وعقبات مختلفة فقد تجد إنسان في عاقبة حاله هناء وفي عاقبة حاله سيء ونكد فتراه في فترة فرح مسرور وفي فترة نكد مغموم، والأعمال مهمة ومؤثرة في هذين العالمين ولكن العلم اثره اعمق وجزائه أعظم، بل حتى في دار الدنيا فبعض الأعمال يشاهدها الإنسان لكن العلم مقامه أعظم، ولكن لا يعني هذا عدم الاكتراث بالأعمال ولكن ضرورة وأهمية اقتران الأعمال بالعلوم والعلوم بالأعمال.

**الإفادة السادسة: حجية القرآن كمعجزة علمية أعمق:**

وعلى أي تقدير أحكام كثيرة يمكن التميز بينها بين مقام العلم والعقل ومقام الأجسام والأعمال، ومنها تسلط وسيطرة الجن أو الشياطين أو السحر أو الشعبذة وكيف تميزه عن المعجزة العلمية، ومن ثم كان القران

أعظم معاجز الأنبياء لأنه في الأول والأصل معجزة علمية قبل أن يكون عملية، ولذلك احد الآليات المهمة في تمييز المحق من المبطل سيما أصحاب الشعبذة والسحر والأدعياء كما يظن البعض في مرتاض باستطاعته أن يخبرك عن الأشياء ولكن لو طرحت عيه مسألة علميه معقده تراه يترجل وهذا يميز المحق من المبطل كما في مسائل التوحيد أو الجبر والاختيار والميز بينها وهكذا بحوث معرفية أو تفسيرية لا ترتبط بالجسم والأجسام، أو بحوث مكارم الأخلاق كيف يصل إليها وقراءة المبحث بألفاظه غير ما يقرأه بمعانيه أو يشعب من معانيه شبكة فحتى لو قراءه بهذا المقدار لكنه إذا أشكلت عليه تراه يترجل، ولذلك لهذه البحوث العلمية القرآنية حجيتها أمر مهم جدا وإلا والتمثلات والسحر والصور ما هي إلا أمور بسيطة فأصعب شيء عليهم هو العلم بل حتى البحوث الأخلاقية الدقيقة لا يمكن أن يصل إليها الجن.

### الإفادة السابعة: تمييز صاحب الحجية

### وفق الوقار والسكينة:

وهناك الية علمية وعملية جيدة للتمييز حيث يسأل زرارة «كيف عرف النبيﷺ أن الآتي الذي يأتيه هو عن الله لا عن الشيطان؟، (وهذا السؤال يدل على علمية زرارة الكبيرة فإلى جانب كونه فقيه كان متكلم نحرير أيضاً) فقال له: عرف أن الآتي الذي يأتيه انه جبرائيل لا الشيطان

بالوقار والسكينة».

وقد روي «قيل للصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قِبَل الله أن يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان؟ .. فقال: إنّ الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قِبَل الله عز وجلّ مثل الذي يراه بعينه»[١].

فالجن والشيطانين حتى المؤمنين منهم يصعب عليهم أن يكونوا وقورين في الأخلاق ويصعب عليهم السكينة فان طبعهم ناري، والحدة في بني ادم هي بسبب الجن، وعندما تزوج ابن ادم قابيل من جنية بعد ذلك صار تزاوج بين نسل هذه الجناوية وبين نسل الحورية فالسكينة والوقار من الحورية فلما امتزجت الزيجات صارت الحدة والخرق موجودة، فمشية الجن وأجسامهم وتكلمهم وإيحاءاتهم وحديثهم عبارة عن فز وأز فدوما حالة شدة وحركة سريعة ودفعيه ففيها افتزاز وفيها اشتعال.

**الإفادة الثامنة: عدم السكينة والمجون تنافي الحجية والاتزان:**

إذاً مر بنا ضابطة تمييز حجة الأدون بالحجة الأعلى وضابطة أخرى وهي المعجزة العلمية وضابطة ثالثة هي التمييز بمكارم الأخلاق، فمكارم الأخلاق من السكينة والوقار وسكينة المنطق والمشي وسكينة الهدي النابعة من السيطرة الحقيقية على النفس والرغبات والهوى فهذه ممتنعة عند الجن

---

(١) تفسير العياشي ص٢٦٢.

وحتى المؤمن منهم بخلاف الجانب الرحماني.

وانظر إلى شعب أغصان الحدة أو الخرق أو الاضطراب أو الرقص والغناء وفي المجون فان فيها حالة سكرة اضطراب وحركة شديدة بينما الحزن بسكينة الذي ليس بجزع وسخط هو سكون فقد تشاهد مرتاض عنده سكينة ولكن في الآخر تراه يضطرب بالجنون وهذا واضح فيه انه ليس رحماني، ولذلك الشيطان من الشطط فان فيها نوع من الاضطراب والحدة والاندفاع واللاسكون، أما جانب السكينة والوقار والهدوء والحلم وهذا ليس فقط في الجسم بل السكون في المنطق والآراء وفي الصفات النفسانية وكل هذه درجات سكينة ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أو في معركة حنين ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وانظر انه سمي النفس الرحماني بالسكينة في مقابل ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ ففيها أوار واشتعال وتلون وعدم الثبات واضطراب وهذا جانب شيطاني، أما جانب الرحماني فهو جانب سكينة.

وفرق الشعر عن القران فان الشعر فيه اضطراب ووزن ونغمة، بينما الذكر فيه هدوء وسكينة، والفقهاء عندهم المجون حرام فكل ما أو جب سكرة العقل حرام، فانه يمنع العقل عن السكون، الآن تلاحظ من يتفرج على لعبة كرة قدم واللعبة ليست فعل جدي فيتقاتلون وتصيبه سكتة قلبية فلاحظ هذا فيه مجون، وكان احد المجتهدين يحرم هذه الحالة وليس اصل لعبة كرة القدم وإنما التي هي في النوادي والتي فيها انتماءات وولاءات

زائفة كاذبة فالتفرج عليها محرم والمجتهد هو الشيخ ألهاجري قدس وتوجيهه لطيف فان فيها مجون تسكر العقل، وهذا ليس من باب المصالح المرسلة وإنما من باب عنوان المجون الذي أتى في الأدلة واللهو، فهناك مقاييس كاذبة صورية زائفة لا معنى لها ولو الآن الدول السياسية توظفها لغايات قد تكون حسنة من حمية وتعزيز الهوية الوطنية ولكن هذه الوسيلة كاذبة وخاطئة، وان كان في بعضه موجبة جزئية فبعض ما محرك ومهيج قد يحلله الشرع ويستخدمه ويوظفه ولكن بقدر صارم دقيق وعينة مضيقة لا بشكل مرسل.

**الافادة التاسعة: أثر الحزن والرفق في التعقل والاتزان:**

الجانب الرحماني شعاره السكينة والذكر «القران نزل بحزن فاقرءوه بحزن» والحزن إذا لم يكن من شيطان و يؤدي إلى اضطراب واستفزاز وبالتالي عدم قناعه او قنوط، فالحزن سيكون ذكر وعقل وتعقل وهداوة للقوى الحيوانية في الإنسان، وأما الفرح والطرب هو ترف وإثارة للقوى الحيوانية في الإنسان، وقد تجد من يقول لماذا كل شعائر الحسين حزن في حزن فالحزن إذا تحمله الإنسان وهو في نفسه ترشيد عقلي وكبح لنزو الشهوات، والنزو بمعنى القفز والاندفاع والاشتعال والحزن طبيعته يعني يستل فتيل الشهوات بشكل قاتل وصارم بخلاف الفرح والطرب فيسعرها بشكل مشعل، والحزن بيئة للذكر ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ وبيئة القران الحزن فبيئة إخماد وتهدئة الغرائز بشكل معقول فبيئة الحزن هي

بيئة الذكر والتعقل والعقل، والرفق مأخوذ من اللين وسمي الرفيق رفيقا لأنه يرفق بصديقه، وان الله رفيق يحب الرفق في الأمور كلها وهذا كله من شعب السكينة، وأتعجب للأخلاقيين عندما لم يقولوا أن من أصول الأخلاق السكينة ولم يركزوا عليها كثيرا كغيرها بينما قالوا الكرم أو العفة والسخاء والشجاعة والعلم، بينما السكينة شيء عظيم وهي مظهر عملي كبير جدا، وليس من الضروري أن يكون الشجاع متهور بل يكون رابط الجأش، وفي وصف أمير المؤمنين في الزيارة «كان شديد الغضب عظيم الحلم».

ما وضع اللين والرفق على شيء إلا زانه وما وضع الحدة والخرق بمعنى الاندفاع على شيء إلا شانه، فاللين صفة طبيعتها فيها جانب من شعب السكينة فالسكينة نستطيع أن نقول أنها من الأخلاق الإلهية لا فقط مكارم الأخلاق الإنسانية فإذا كانت لدينا أخلاق إنسانية فهناك أخلاق إلهية والتي هي أعظم من مكارم الأخلاق الإنسانية ومكارم الأخلاق الإنسانية تنشعب من تلك الأخلاق الإلهية وهو بحث مهم اعتمده بعض اهل المعرفة في كثير من تفاصيل تعاليمهم يتناول مستوى عالي من تهذيب النفس وسيرها في طريق التكامل، وعندنا في الروايات المؤمن غالبا ليس عبوس بل هش بش وحزنه في قبله لا في وجهه بينما الكافر أو المنافق فحزنه في وجهه وفرحه في قلبه، فالحزن اجعله بقلبك كي تهدئ فيه الغرائز ومن الأمور العجيبة الماسكة لزمام الغرائز هو الحزن، واحد أسرار الشعائر الحسينية هي هذه وهي أن تقلب الشخص والشاب المتهور الغارق في

الشهوات إلى حكيم ونزيه ووقور وعفيف بالحزن فتقطع وتخرص شقشقة الشياطين بهذه الشعائر وهذا احد الإسرار للمشهد النفساني لشعائر سيد الشهداء والمشهد الروحي هذا من اسراره، فالحزن يبرمك عن علائق الغرائز ويجعل بينك وبينها برما وتسخي بها.

وإحصائيا في عاشوراء تقل الجريمة كما في شهر رمضان بسبب السكينة والهدوء لان الإشباع يفجر الغرائز بينما الصيام يستل فتيل الغرائز وأيضا يسبب هدوء الأعضاء والميول والرغبات بسبب، ولذلك عندنا الشبع بأس القرين للإيمان والجوع نعم القرين للإيمان لان الشبع والترف مقترن بالغريزة.

**الافادة العاشرة: التميز في الحجية من خلال مكارم الاخلاق:**

إذاً هذه ضابطة اخرى للتمييز بين المعجزة الحقيقية والمعجزة الصورية وعلامات الحجة الحقيقية عن الحجة الصورية وهو الامتياز بالسكينة، ومكارم الأخلاق هو مائز رابع وهي ترجع إلى الفطرة والبديهة، فإذا كان هناك ما يدعو إلى رذائل الأخلاق التي يحكم بها العقل والفطرة فمن الواضح أن هذا ليس سبيل حق ولا صراط حق، وكما في الروايات هناك رسول ظاهر ورسول باطن ففي الحديث: «العقل رسول باطن، والرسول عقل ظاهر»[١].

والميرزا ألقمي في القوانين يعبر عن الفطريات بالوحي الفطري، فقد

---

(١) المنطق الاسلامي ـ محمد تقي المدرسي.

غرز الباري في ذوات المخلوقات الفطرة وقد نستفيد ذلك من قوله تعالى ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكل هذه لها فطرة، أو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ لذلك نرى الهدهد يستنكر بفطرة على قوم بلقيس ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] فمكارم الأخلاق أيضا هي ضابطة للتميز في الحجية الحقيقية من غيرها .

هؤلاء من تنظيم القاعدة أو أدعياء السفارة إذا كان المجون خلقهم وإذا كان انتهاك الأعراض خلقهم كيف يكون مسارهم مسار حق لان مسار الحق عبر مكارم الأخلاق وليس رذائل الأخلاق، وهذا تميز بالحجة الأولى وهي البديهيات. إذاً الباري تعالى وضع للإنسان ضمانات أمان وضمان للبصائر يميز فيها بين الباطل والحق.

وننصح القارئ الكريم بمراجعة دعاء مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال للإمام السجاد عليه السلام في كتاب ( الصحيفة السجادية ).

## الافادة الحادية عشر: العصمة والاصطفاء

### تلازم الحجية وفرقها عن بعض المقامات الاخرى:

من صرح في القران او النبي صلى الله عليه وآله بعصمته من الواضح أن هذا تصريح بحجيته لان في حكم العقل بيان عصمة شخص من قبل السماء

---

(١) سورة النمل: الآية ٢٤.

نوع تصريح بحجيته لان من حكمة وغايات العصمة السداد والاقتداء به في سداده أو الاحتجاج به فيكون التصريح بالعصمة هو تصريح بالحجية، ولذلك بينا أن الحجية المصطفات اعم أقسام الحجية وهي نوع اصطفاء، وداخل هذه الحجية المصطفات أقسام والحجية المصطفات بالمعنى الأعم شاملة للنبوة وللرسالة ولكن الحجية المصطفات لا يبعد أنها ذات أقسام عديدة.

مثلا مريم عليها السلام ليست بنبيه ولا أمام ولا رسول ولكنها حجة مصطفات ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1] مثلا الوصاية مع الإمامة متلازمة أو الوصي احد شؤون الإمامة وهذه كلها بحوث بكر تحتاج إلى تحقيق وتنقيب وغور كثير من قبل الباحثين لبيان الاوجه الصحيحة منها، فهل كل أمام وصي أو الإمامة اعم، مثلا لدينا مطهرين ولكن لا يعبر عنهم بالأئمة ولا أوصياء، وعلى كل هي مقامات إلهية عديدة الآن هذه الشؤون المختلفة هل تتلازم مع أقسام أو قد نشاهد هذه الأقسام في شخص من دون تلازمها مع ذلك القسم، وبالتالي الضابطة الصناعية يلتفت اليها وهذه كلها بحوث بكر لم ينقب فيها بشكل مبسوط وهي حساسة ومهمة.

مثلاً التعبير عن بعض أولاد الأئمة أو ابن النبي صلى الله عليه وآله «لو كان ابني إبراهيم حياً لكان نبياً» فقد ورد عن مقسم عن ابن عباس قال:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

«لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ وقال إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرق قبطي»[١].

وفي الزيارة الواردة على تقدير كونها متن رواية ففيها إشارات من النسمة الطاهرة وقطعا هي نسمة طاهرة، ونفس تعبير النبي ﷺ في إبراهيم رواه الفريقان وهو يدل على الطهارة والعصمة، وهذا في أي شان مع انه ليس نبي بالفعل، أو التعبير في وصف الطاهر والقاسم من أبناء النبي ﷺ فقد وصفوا بالطهارة أو علي الأكبر وصف بالطهارة في الزيارة

جاء في كتاب ( مصباح الزائر ) لابن طاووس قال: وتأتي الى رجلي الحسين فتقف على علي بن الحسين وتقول:

«السلام عليك أيها الصديق الطيب الطاهر، والزكي الحبيب المقرب، وابن ريحانة رسول الله. السلام عليك من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته. ما أكرم مقامك، واشرف منقلبك. اشهد لقد شكر الله سعيك، واجزل ثوابك والحقك بالذروة العالية، حيث الشرف كل الشرف،وفي الغرف السامية في الجنة فوق الغرف، كما من عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

مع انه لا يمتلك وصاية ولا إمامة ولا نبوة، أما الاصطفاء فلماذا ؟،

---

(١) أخرجه ابن ماجه ـ ١ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

فان ظاهر كثير من الروايات أيضا اصطفاء خاص، أيضا مثل من بدا في إمامته محمد العابد ابن الإمام الهادي والقاسم ابن الإمام موسى بن جعفر كما في الرواية، وعلى أية حال هؤلاء من أبناء الأئمة، وبالنسبة إلى الخضر لم يعبر عنه بني ولا وصي ولا أمام ولكن عبر عنه بالعبد فهناك اصطفاء فهو ولي ولديه ولاية اصطفائية وكانت له حجية، أما لقمان شيء آخر، إذاً هناك شؤون للحجية أو للإمامة أو للاصطفاء هذه الشؤون تكون منفردة وتبرز وتبين في بعض الأفراد ليس بعيدا أن تكون موجودة، فالحصر ليس هو بتي نهائي بل هو قابل للبحث والتدبر والفحص.

الآن ما ورد في سلالة إبراهيم في النبي إسماعيل إلى أن يبعث سيد الأنبياء والروايات تدل أن لهم درجة من الاصطفاء جلهم فمجموعة الآيات في ذرية إسماعيل تشير إلى ذلك وقد جمعنا الآيات في الإمامة الإلهية، فهم امة مسلمة وكلمة باقية في عقبه وليكونوا شهداء على الناس وتوجد ايضا تعبيرات عديدة، وحتى ورد في الروايات أنهم أوصياء مع أن الوصاية لها درجات واختلافات، فوصي بكل النبوة ووصي لكل المواريث وهناك وصية خاصة إلهية، وهذه أمور قابلة للبحث. ولذلك التعبير «أني لم أخلو ارضي من حجة ولولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

وروي عنه عليه السلام قال:

«لو بقيت الأرض يوماً واحد بلا إمام لساخت الأرض بأهلها، ولعذّبهم الله بأشدّ عذابه.. إنّ الله تبارك وتعالى جعلنا حجّة في أرضه وأماناً

في الأرض لأهل الأرض، لن يزالوا بأمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يهلكهم ثمّ لا يمهلهم ولا ينظرهم، ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه، ثمّ يفعل الله تعالى بهم ما شاء وأحبّ»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهر مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً»[٢].

أما قضية لقمان والحكمة فهذه مقامات لا ترتبط بالحجية يقول الله (جل وعلا): ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[٣] وعقد الباري سورة كاملة في لقمان ولكن لم يبين أن قول لقمان حجة لان له مقام محدد وإنما ما يبينه لقمان متضمن للبرهان وللدليل لا أن للقمان ولاية أو حجية، وظاهر الآيات أن مقام الحكمة يمكن أن يكتسب، فـ «لا نبي بعدي» والإمامة بالنص الصحيح والعصمة بالنص الصحيح أما الحكمة فيمكن أن تكتسب والباب مفتوح لها، ومقام الصديقين لا يعني الحجية ولا الاصطفاء الخاص مع انه عطية لدنية ولكن لا يعني الحجية فالمقامات الغيبية عديدة وموجودة ولا ربط ولا اختصاص لها بالحجية، وكما في قوله ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ

---

(١) الكافي ١: ١٧٩ الحديث (١٢) كتاب الحجّة.
(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢٠٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾[1] فمن يصل إلى مقام الإحسان يؤتى حكم وعلم.

## الإفادة الثانية عشر: حول حجية الفقيه مقابل أقسام أخرى:

وقد يشكل أن الفقيه لتفقهه فهو حجة ظاهرية فلماذا الحكيم الذي يؤتى الحكمة لدنيا كما قال تعالى: يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {البقرة/ ٢٦٩} وقوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {لقمان/ ١٢}

والصديق الذي قال فيه الامام الصَّادِق عليه السلام:

( إنّ أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة، حتى ورثوا منه حبّ الله، فإنّ حبّ الله إذا ورثه القلب واستضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل اللطف صار من أهل الفوائد.

فإذا صار من أهل الفوائد تكلم بالحكمة، وإذا تكلم بالحكمة، صار صاحب فطنة، فإذا نزل منزلة الفطنة عمل في القدرة، فإذا عمل في القدرة عرف الأطباق السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلّب في فكرٍ بلطفٍ وحكمةٍ وبيان، فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبته في خالقه.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٢.

فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى، فعاين ربه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصدّيقون .

إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصدّيقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة، فمن أخذه بهذه المسيرة إما أن يسفل وإما أن يرفع، وأكثرهم الذي يسفل ولا يرفع، إذا لم يرع حق الله ولم يعمل بما أمر به .

فهذه صفة من لم يعرف الله حق معرفته ولم يحبه حق محبته، فلا يغرّنك صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم، فإنهم حمر مستنفرة !..»[1].

فالفقيه حجته ظنية ظاهرية وليست حجية معصومة ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[2] فإذا كان الناس يحذرون ممن تفقه في الدين وحجته ظنية قد تخطئ وقد تصيب فكيف بمن يؤتى الحكمة، ومعرفة انه يؤتى الحكمة هو عن طريق أخبار المعصوم، فيخبر أن سلمان قد أؤتي الحكمة روي:

( دخلت على الصّادقعليه السلام أنا وأبي فقال له: أمن قول رسول اللهصلى الله عليه وآله

(١) كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر للخزّاز: ص٢٥٣.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

سلمان رجلٌ منا أهل البيت ؟.. فقال : نعم، فقال : أي من ولد عبد المطلب ؟ .. فقال : منا أهل البيت، فقال له : أي من ولد أبي طالب ؟.. فقال : منا أهل البيت، فقال له : إني لا أعرفه، فقال : فاعرفْه يا عيسى !.. فإنه منا أهل البيت ثم أومأ بيده إلى صدره .

ثم قال: ليس حيث تذهب، إنّ الله خلق طينتنا من علّيين، وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك، فهم منا، وخلق طينة عدونا من سجّين، وخلق طينة شيعتهم من دون ذلك، وهم منهم، وسلمان خير من لقمان»[١] .

وهب انك ذهبت إلى البرزخ والتقيت بسلمان أو رجع سلمان في الرجعة ومعه حكمة مع انه فقيه، والفقه ليس فقط في الفروع ولذلك في بحث الاجتهاد والتقليد في تفاصيل العقائد قابل للتصوير وعموم الأدلة خلافا لما يقال وليس على المسائل المتوقفة على اليقين بل المسائل المتوقفة على الظن المعتبر.

فالذي يشهد له القران بالحكمة أو انه صدّيق أو انه أهل الفراسة أو انه أهل العلم بالمنايا والبلايا، فهذا لا تكون له نمط حجية ولو ظنية. أما نبأ العادل أن كان عن حس يكون حجة أما إذا كان من حدس فيدخل في الفقاهة، والكلام إذا كان عن الغيب فنقله كراوي حجة ونقله كفقيه حجة ونقله كحكيم متضمن كلامه للبرهان هو حجة كسلمان أو لقمان.

---

(١) بصائر الدرجات: ص ٣٣١.

وأهل التقوى وأهل الفراسة أو التوسم هؤلاء حجيتهم علمية أي ينبهون على نكات علمية هي في نفسها إقامة للحجة ولا ريب في ذلك باعتبار هنا أوجد لك العلم والدليل والكلام لو لم يتلقى الإنسان منه علم ولو من كلامه إلى دليل ولم يلتفت إلى البرهان فهل لهم حجية تعبدية أو لا؟، أما الفقيه سواء في الفروع أو المعارف فهو يستند إلى روايات كتاب وسنة والى قول المعصوم، والاخر لا يستند إلى قول المعصوم بالطريق الحسي.

نعم النواب الخاصين فالنائب الخاص له مقام حجية ولكن يختلف سنخا عن مقام حجية الفقيه أما قول الحكيم أو الصديق والقول بان هذه حجية تعبدية من دون أن نستبين الدليل من كلامه فهذا يحتاج إلى بحث.

إجمال الكلام:

هذه بحوث وأقسام تحتاج إلى إثارة وبحث، ثم هل أن كل مدح دليل الحجية للراوي أم لابد من دليل على الحجية كما أن القران يمدح الرواة مثلاً ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهل هناك حجية مطلقة للراوي أو لابد من دليل خاص فصرف المدح أمر آخر، فصرف الفضائل لابد أن تقرا بقراءة قانونية وقراءة فقهية وقراءة صناعية لكي لا تكون معارف الفضائل للمعصومين مجرد مديح، وقصر الفضائل على مدائح وثناء هذا نوع من التسطيح بل يجب التعمق فيها كمقامات.

**الإفادة الثالثة عشر: حجية الله فوق كل الحجج:**

الأنبياء والأولياء والأصفياء حجتهم دون حجية فرائض الله عز وجل، فثوابت فرائض حجية الله هي فوق حجية الأنبياء، لان الخطاب ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مخاطب به الجميع ابتداء من سيد الأنبياء ثم الأئمة ثم الأنبياء ثم بقية الناس وخطاب ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ مخاطب به الأئمة ثم الأنبياء ومن ثم الناس، فطاعة الله أو ولاية الله وطاعته وحجية الله هي فوق حجية وولاية وطاعة سيد الأنبياء والأنبياء، وهذا يستلزم بان فرائض الله المحكمة هي ميزان وضابطة لصدق أي نبي من أنبياء الله فإذا كان نبي من أنبياء الله يتعدى ثوابت فرائض ودين الله فهذا يكتشف انه ليس من أنبياء الله كما هو الحال في مسيلمة الكذاب ،أما أنبياء الله فيعلم صدقهم بتوسط إتباعهم لفرائض الله تعالى ولدين الله تعالى، لان فرائض الله تعالى القطعية الثابتة هي فوق صلاحية الأنبياء أو أن صلاحية الأنبياء هي دون هذه الفرائض، فعالم حجية الأوصياء أو حجية الأنبياء في دين الله هو عالم منظم ومرتب لذلك لا يستطيع آت ويقول أستطيع أن ارفع وجوب الصلاة بل حتى الأنبياء لا يستطيعون ذلك، لان الصلاة من الدين أما التفاصيل والأجزاء والشرائط فهذا أمر آخر ،فاصل فريضة الصلاة والصوم والحج والجهاد كل الأنبياء يبعثون بها، فلا يستطيع النبي عيسى رفع الجهاد كما ينسب إليه زورا من قبل النصارى انه يرفع الجهاد كيف يرفعه وهو من الدين وليست من سنن الأنبياء كي تنسخ أو لا تنسخ،

وكثير من الباحثين يتخيلون ذلك والحال انه غير صحيح، ولان الجهاد من فرائض الله القطعية من الدين وليست من الأمور الظنية والقطعيات غير مختصة بنبي من الأنبياء وليست فقط عن سيد الأنبياء فكل سلسلة الأنبياء لها حجية وما يمكن زعزعة هذه الحجية.

نعم حجية سيد الأنبياء فوق حجية بقية الأنبياء وحجية الله فوق حجية سيد الأنبياء.

**الإفادة الرابعة عشر: حجية الإدراك العقلي:**

وأدراكنا العقلي هو مبدأ الأمور كما في بيانات القران وبيانات الروايات، فإذا كان أمر ثابت عقلا فلا يمكن افتراض أن دين الله وفرائض الله تتخطى هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لان تعامل الله مع خلقه هو بتوسط العقل فكيف يتم التعامل سلبا مع شيء هو الذي قادنا وهدانا إلى الباري تعالى وأودعه الله فينا لكي يهدينا إلى الباري، لا يعني هذا أن حجية العقل فوق الله ولكن المعرف لنا والهادي لنا إلى العقل والفطرة وليس معنى ذلك فوق حجية رسول الله، بل بمعنى هي المبدأ الذي تعرفنا به على الله ثم على رسوله وهذه هي الفطرة، أما أن دين الله فلا يصاب بالعقول فهذا في التفاصيل، أما اصل التوحيد واصل ضرورة الدين فهذا بالعقل ولذلك في رواية الكافي عن الصادق عليه السلام (في كتاب العلم والجهل) مبدأ الأمور معرفتها بالعقل إلا أن العقل حيث رأى انه محدود ولا يدرك

التفاصيل علم أن العقل يحتاج إلى العلم والعلم إنما يأتي من الوحي عبر رسالات السماء ليعلم مراضي الله عن موارد سخط الله عز وجل، وهذه مراتب في الحجية لا يمكن أن تتخطى عن بعضها البعض فكيف يأتيك دعي من الأدعياء باسم الارتباط بالمعصومين أو احد الأنبياء الذي نوع سفارة وارتباط غيبي فمثل هذا المدعي يتجاوز البديهيات العقلية باسم انه من الغيب ،كيف ذلك؟، فان الله يستدل على ألوهيته بالعقل ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فإذا كانت معرفة الله تعالى نصب لها طرقا لمعرفة الألوهية وهو العقل فكيف يفرط بهذا الميزان، فتلك مجرد هلوسات وتغليطات وتلبيسات، وكذلك فرائض الله فتوحيد الله والمعاد وعدل الله وكمالات الله والعبودية لله كلها يدركها العقل وفق استطاعته ومن يستحيل ان يأتي نبي من الأنبياء يقول لا توحدوا الله.

ومن المناسب هنا واتماما للفائدة نورد للقارئ الكريم وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم حول العقل فقد قال عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾[1].

يا هشام: بن الحكم إنّ الله عزّ وجل أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلّاء، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٧ ـ ١٨.

وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

يا هشام: قد جعل الله عزّ وجل ذلك دليلاً على معرفته، بأنّ لهم مدبّراً، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[2].

وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4].

يا هشام: ثمّ وعّظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) سورة النحل: الآية ١٢.
(٣) سورة الزخرف: الآية ١ ـ ٣.
(٤) سورة الروم: الآية ٢٤.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٣٢.

وقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾(1).

يا هشام: ثمّ خوّف الذين لا يعقلون عذابه، فقال عزّ وجل: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾(2).

يا هشام: ثمّ بيّن أنّ العقل مع العلم، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾(3).

يا هشام: ثمّ ذمّ الذين لا يعقلون، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(4) وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾(5).

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾(6).

ثمّ ذم الكثرة، فقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن

---

(1) سورة القصص: الآية ٦٠.
(2) سورة الصافات: الآية ١٣٦ ـ ١٣٨.
(3) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.
(4) سورة البقرة: الآية ١٧٠.
(5) سورة الأنفال: الآية ٢٢.
(6) سورة لقمان: الآية ٢٥.

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾[١]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾[٢].

يا هشام: ثمّ مدح القلّة، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٣].

وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾[٤].

وقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٥].

يا هشام: ثمّ ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاّهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[٦].

يا هشام: إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[٧] يعني العقل.

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٨] قال: الفهم والعقلَ.

يا هشام: إنّ لقمان، قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقلَ الناس، يا

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٦.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٧.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٣.
(٤) سورة ص: الآية ٢٤.
(٥) سورة هود: الآية ٤٠.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
(٧) سورة ق: الآية ٣٧.
(٨) سورة لقمان: الآية ١٢.

بنيّ إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكّل، وقيمتها العقل، ودليلها العلم، وسكّانها الصبر.

يا هشام: لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكّر، ودليل التفكّر الصمت، ولكل شيء مطيّة، ومطيّة العاقل التواضع، وكفى بك جهلاً، أن تركب ما نُهيت عنه.

يا هشام: لو كان في يدك جوزة، وقال الناس: لؤلؤة ما كان ينفعك، وأنت تعلم أنّها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة، وقال الناس: أنّها جوزة، ما ضرّك وأنت تعلم أنّها لؤلؤة.

يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام: ما من عبد إلاّ وملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع إلاّ رفعه الله، ولا يتعاظم إلاّ وضعه الله

يا هشام: إنّ لله على الناس حجّتين، حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة، وأمّا الباطنة فالعقول.

يا هشام: إنّ العاقل، الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام: من سلّط ثلاثاً على ثلاث، فكأنّما أعانَ هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام: كيف يزكو عند الله عملك، وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربّك، وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام: الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند ربّه ـ وكان الله ـ آنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزّه في غير عشيرة.

يا هشام: نصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة إلاّ بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يعتقد، ولا علم إلاّ من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام: قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف،وكثير العمل من أهلِ الهوى والجهل مردود.

يا هشام: إنّ العاقل رضي بالدّون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدّون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام: إن كان يغنيك ما يكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن

كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شيء من الدنيا يغنيك.

يا هشام: إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام: إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام: من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرّع إلى الله في مسألته، بأن يُكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يُدرك الغنى أبداً.

يا هشام: إنّ الله جلّ وعزّ حكى عن قوم صالحين، أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[1] حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يُبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحدٌ كذلك إلاّ من كان قوله لفعله مصدِّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنّ الله لم يدلّ على الباطن الخفي من العقل إلاّ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام: كان أمير المؤمنين(عليه السلام)، يقول: ما من شيء عبد الله به أفضل من العقل، وما تمّ عقل امرأ حتّى يكون فيه خصال شتّى، الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبه من الدنيا القوت، ولا يشبع من العلم دهره، الذلّ أحب إليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلّهم خيراً منه، وأنّه شرّهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام: من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بإخوانه وأهله مدّ في عمره.

يا هشام: لا تمنحوا الجهّال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

يا هشام: كما تركوا لكم الحكمة، فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام: لا دين لمن لا مروّة له، ولا مُرُوّة لمن لا عقل له، وأنّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، أمّا إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلاّ الجنّة، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: لا يجلس في صدر المجلس إلاّ رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم

عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهنّ، فجلس فهو أحمق.

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام): إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يا ابن رسول الله ومن أهلها ؟ قال: الذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] قال: هم أولوا العقول.

وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وأدب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروة، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً.

يا هشام: إنّ العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنّف برجائه، ولا يتقدّم على ما يخاف العجز عنه.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي أصحابه، يقول: أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمّن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، وليكن نظركم عبراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذكراً، وطبيعتكم السخاء، فإنّه لا يدخل الجنّة بخيل، ولا يدخل النار سخي.

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٢.

يا هشام: رحم الله من استحيا من الله حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنّة محفوفة بالمكارة، والنار محفوفة بالشهوات.

يا هشام: من كفّ نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومن كفّ غضبه عن الناس، كفّ الله عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام: إنّ العاقل لا يكذب، وإن كان فيه هواه.

يا هشام: وجد في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ: إنّ أعتى الناس على الله من ضرب غير ضاربه، وقتل غير قاتله، ومن تولّى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيّه محمّد ﷺ، ومن أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

يا هشام: أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله بعد المعرفة به الصلاة، وبرّ الوالدين، وترك الحسد والعجب والفخر.

يا هشام: أصلح أيّامك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو وأعدّ له الجواب، فإنّك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله، فإنّ الدهر طويلة قصيرة، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك، واعقل عن الله وانظر في تصرّف الدهر وأحواله، فإنّ ما هو آت من الدنيا، كما ولّى منها، فاعتبر بها.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: إنّ جميع ما طلعت عليه الشمس في

مشارق الأرض ومغاربها، بحرها وبرّها، وسهلها وجبلها، عند وليّ من أولياء الله، وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال ـ ثمّ قالعليه السلام: أَوَلا حرّ يدع هذه اللمّاظة لأهلها ـ يعني الدنيا ـ فليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة، فلا تبيعوها بغيرها، فإنّه من رضي من الله بالدنيا، فقد رضي بالخسيس.

يا هشام: إنّ كل الناس يبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها، إلاّ من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة، ولكن لا يهتدي بها منكم إلاّ من عمل بها.

يا هشام: إنّ المسيحعليه السلام قال للحوّاريين: يا عبيد السوء يهولكم طول النخلة، وتذكرون شوكها ومؤونة مراقيها، وتنسون طيب ثمرها ومرافقها، كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة، فيطول عليكم أمده، وتنسون ما تفضون إليه من نعيمها ونورها وثمرها.

يا عبيد السوء نقّوا القمح وطيّبوه، وأدقّوا طحنه تجدوا طعمه ويهنّكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه، تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه.

بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجاً يتوقّد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضأتم به، ولم يمنعكم منه ريح نتنة، كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممّن وجدتموها معه، ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها.

يا عبيد الدنيا بحق أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلاّ بترك ما تحبّون، فلا تنظروا بالتوبة غداً، فإنّ دون غد يوماً وليلةً، وقضاء الله فيهما

يغدوا ويروح.

بحقّ أقول لكم: إنّ من ليس عليه دين من الناس أروح وأقل همّاً ممّن عليه الدين، وإنّ أحسن القضاء، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح همّاً ممّن عمل الخطيئة، وإن أخلص التوبة وأناب، وإنّ صغار الذنوب ومحقّراتها من مكائد إبليس، يحقّرها لكم ويصغّرها في أعينكم، فتجتمع وتكثر فتحيط بكم.

بحقّ أقول لكم: إنّ الناس في الحكمة رجلان: فرجلٌ أتقنها بقوله وصدّقها بفعله، ورجل أتقنها بقوله وضيّعها بسوء فعله، فشتّان بينهما، فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول.

يا عبيد السوء اتّخذوا مساجد ربّكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوىً للشهوات.

إنّ أجزعكم عند البلاء لأشدّكم حبّاً للدنيا، وإنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا.

يا عبيد السوء لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة، ولا بالثعالب الخادعة، ولا بالذئاب الغادرة، ولا بالأُسُد العاتية كما تفعل بالفرائس، كذلك تفعلون بالناس، فريقاً تخطفون، وفريقاً تخدعون، وفريقاً تغدرون بهم.

بحق أقول لكم: لا يغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً، وباطنه فاسداً، كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت

قلوبكم، وما يغني عنكم أن تنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسه، لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيّب، ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم، ويبقى الغلّ في صدوركم.

يا عبيد الدنيا إنّما مثلكم مثل السراج، يضيء للناس ويحرق نفسه، يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم، ولو جثوّاً على الركب، فإنّ الله يحيي القلوب الميّتة بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميّتة بوابل المطر.

يا هشام: مكتوب في الإنجيل: طوبى للمتراحمين، أولئك المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس، أولئك هم المقرّبون يوم القيامة، طوبى للمطهّرة قلوبهم، أولئك هم المتّقون يوم القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة.

يا هشام: قلّة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت، فإنّه دعة حسنة، وقلّة وزر، وخفّة من الذنوب، فحصّنوا باب الحلم، فإنّ بابه الصبر، وإنّ الله عزّ وجلّ يبغض الضحّاك من غير عجب، والمشّاء إلى غير أرب، ويجب على الوالي أن يكون كالراعي، لا يغفل عن رعيته، ولا يتكبّر عليهم.

فاستحيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون من الناس في علانيتكم، واعلموا أنّ الكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم.

يا هشام: تعلّم من العلم ما جهلت، وعلّم الجاهل ممّا علّمت، عظّم

العالم لعلمه، ودع منازعته، وصغّر الجاهل لجهله ولا تطرده، ولكن قرّبه وعلّمه.

يا هشام: إنّ كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق، وإنّهم لفصحاء عقلاء، يستبقون إلى الله بالأعمال الزكية، لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنّهم أشرار، وأنّهم لأكياس وأبرار.

يا هشام: الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار.

يا هشام: المتكلّمون ثلاثة: فرابح وسالم وشاجب، فأمّا الرابح فالذاكر لله، وأمّا السالم فالساكت، وأمّا الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فاحش بذيء، قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه، وكان أبو ذرّ رضي الله عنه يقول: يا مبتغي العلم إنّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك.

يا هشام: بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه، إنّ أُعطي حسده، وإن ابتلي خذله، إنّ أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وإنّ شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه، وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار، إلاّ حصائد

ألسنتهم، ومن حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه.

يا هشام: لا يكون الرجل مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

يا هشام: قال الله جلّ وعز: وعزّتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي، وعلوّي في مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلاّ جعلت الغنى في نفسه، وهمّه في آخرته، وكففت عليه في ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.

يا هشام: الغضب مفتاح الشر، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن خالطت الناس، فإن استطعت أن لا تخالط أحداً منهم، إلاّ من كانت يدك عليه العليا فافعل.

يا هشام: عليك بالرفق، فإنّ الرفق يُمنٌ، والخرق شُؤمٌ، إنّ الرفق والبرّ وحسن الخلق يعمّر الديار، ويزيد في الرزق.

يا هشام: قول الله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[1] جرت في المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتّى ترى فضلك، فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء.

يا هشام: إنّ مثل الدنيا مثل الحيّة مسّها ليّن، وفي جوفها السمّ القاتل،

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

يحذرها الرجال ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

يا هشام: اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، فإنّما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنّك قد اغتبطت.

يا هشام: مثل الدنيا مثل ماء البحر، كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّى يقتله.

يا هشام: إيّاك والكبر، فإنّه لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من كبر، الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبّه الله في النار على وجهه.

يا هشام: ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.

يا هشام: تمثّلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال لها: كم تزوّجت ؟ فقالت: كثيراً، قال: فكلّ طلّقك ؟ قالت: لا، بل كلاّ قتلتُ، قال المسيح عليه السلام: فويحٌ لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين.

يا هشام: إنّ ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كلّه، وإنّ ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربّه، وإذا كان عالماً بربّه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربّه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلاّ بالنفس الحيّة، فكذلك لا يقوم الدين إلاّ بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلاّ بالعقل.

يا هشام: إنّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأنّ الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آله الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف برأسه شجّه، ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكنّه، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه.

يا هشام: ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النسك، وأقبح من ذلك العابد لله، ثمّ يترك عبادته.

يا هشام: لا خير في العيش إلاّ لرجلين: لمستمع واع، وعالم ناطق.

يا هشام: ما قسّم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وما بعث الله نبياً إلاّ عاقلاً، حتّى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين، وما أدّى العبد فريضة من فرائض الله حتّى عقل عنه.

يا هشام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه، فإنّه يلقي الحكمة، والمؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام، قليل العمل.

يا هشام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّهم عن ذكري، وعن طريق محبّتي ومناجاتي، أولئك قطّاع الطريق من عبادي، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن انزع حلاوة محبّتي ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام: من تعظّم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض، ومن تكبّر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله، ومن ادعى ما ليس له فهو أعنى لغير رشده.

يا هشام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود حذّر، وأنذر أصحابك عن حبّ الشهوات، فإنّ المعلّقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عنّي.

يا هشام: إيّاك والكبر على أوليائي، والاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك، وكن في الدنيا كساكن دار ليست له، إنّما ينتظر الرحيل.

يا هشام: مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومشاورة العاقل الناصح يُمنٌ وبركة، ورشد وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإيّاك والخلاف، فإنّ في ذلك العطب.

يا هشام: إيّاك ومخالطة الناس والأنس بهم، إلاّ أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً، فآنس به واهرب من سايرهم، كهربك من السباع الضارية، وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله، وإذا تفردّ له بالنعم أن يشارك في عمله أحداً غيره، وإذا مرّ بك أمران لا تدري أيّهما خيرٌ وأصوب، فانظر أيّهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإنّ كثير الصواب في مخالفة هواك، وإيّاك أن تغلب الحكمة وتضعها في أهل الجهالة.

قال هشام: فقلت له: فإن وجدت رجلاً طالباً له، غير أن عقله لا يتّسع لضبط ما القي إليه ؟

قال عليه السلام: فتلطّف له بالنصيحة، فإن ضاق قلبه فلا تعرضنّ نفسك للفتنة، وأحذر ردّ المتكبّرين، فإنّ العلم يُذِلُّ على أن يملى على من لا يفيق ).

قلت: فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها ؟ قال عليه السلام: (فاغتنم جهله عن السؤال حتّى تسلم من فتنة القول، وعظيم فتنة الردّ، واعلم أنّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده، ولم يؤمنّ الخائفين بقدر خوفهم، ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده، ولم يفرّح المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته، فما ظنّك بالرؤوف الرحيم الذي يتودّد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه، وما ظنّك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يرتضاه، ويختار عداوة الخلق فيه.

يا هشام: من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبدٌ علماً فازداد للدنيا حبّاً إلاّ ازداد من الله بعداً، وازداد الله عليه غضباً.

يا هشام: إنّ العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به، وأكثر الصواب في خلاف الهوى، ومن طال أمله ساء عمله.

يا هشام: لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل.

يا هشام: إيّاك والطمع، وعليك باليأس ممّا في أيدي الناس، وأمت

الطمع من المخلوقين، فإنّ الطمع مفتاح للذل، واختلاس العقل، وأخلاق المروات، وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم، وعليك بالاعتصام بربّك والتوكّل عليه، وجاهد نفسك لتردّها عن هواها، فإنّه واجب عليك كجهاد عدوّك.

قال هشام: فقلت له: فأَيّ الأعداء أوجبهم مجاهدة ؟ قال عليه السلام: أقربهم إليك وأعداهم لك، وأضرّهم بك وأعظمهم لك عداوة، وأخفاهم لك شخصاً مع دنوه منك، ومن يحرّض أعداءك عليك، وهو إبليس الموكّل بوسواس القلوب، فله فلتشتد عداوتك، ولا يكونن أصبر على مجاهدته لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركناً في قوّته، وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه، إذا أنت اعتصمت بالله، فقد هديت إلى صراط مستقيم.

يا هشام: من أكرمه الله بثلاث فقد لطف به: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام: أحذر هذه الدنيا وأحذر أهلها، فإنّ الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردّ معانق لهواه، ومتعلّم متقرّى، كلّما ازداد علماً ازداد كبراً، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه، وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحبّ أن يعظّم ويوقّر، وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجزٌ أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرفه،

فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه، وأوجههم عقلاً.

يا هشام: اعرف العقل وجنده، والجهل وجنده تكن من المهتدين، قال هشام: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلاّ ما عرّفتنا.

يا هشام: إنّ الله خلق العقل، وهو أوّل خلق خلقه الله من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، فقال الله جلّ وعز: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرّمتك على جميع خلقي، ثمّ خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت فلعنه، ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلمّا رأى الجهل ما كرّم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا ربّ هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه ولا قوّة لي به، أعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال تبارك وتعالى: نعم، فإن عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجندك من جواري ومن رحمتي، فقال: قد رضيت، فأعطاه الله خمسة وسبعين جنداً.

فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين جنداً: الخير وهو وزير العقل، وجعل ضدّه الشر، وهو وزير الجهل، الإيمان، الكفر، التصديق، التكذيب، الإخلاص، النفاق، الرجاء، القنوط، العدل، الجور، الرضى، السخط، الشكر، الكفران، اليأس، الطمع، التوكّل، الحرص، الرأفة، الغلظة، العلم، الجهل، العفّة، التهتك، الزهد، الرغبة، الرفق، الخرق، الرهبة، الجرأة، التواضع، الكبر، التؤدة، العجلة، الحلم، السفه، الصمت،

الهذر، الاستسلام، الاستكبار، التسليم، التجبّر، العفو، الحقد، الرحمة، القسوة، اليقين، الشك، الصبر، الجزع، الصفح، الانتقام، الغنى، الفقر، التفكّر، السهو، الحفظ، النسيان، التواصل، القطيعة، القناعة، الشره، المؤاساة، المنع، المودّة، العداوة، الوفاء، الغدر، الطاعة، المعصية، الخضوع، التطاول، السلامة، البلاء، الفهم، الغباوة، المعرفة، الإنكار، المداراة، المكاشفة، سلامة الغيب، المماكرة، الكتمان، الإفشاء، البر، العقوق، الحقيقة، التسويف، المعروف، المنكر، التقية، الإذاعة، الإنصاف، الظلم، التقى، الحسد، النظافة، القذر، الحياء، القحة، القصد، الإسراف، الراحة، التعب، السهولة، الصعوبة، العافية، البلوى، القوام، المكاثرة، الحكمة، الهوى، الوقار، الخفة، السعادة، الشقاء، التوبة، الإصرار، المحافظة، التهاون، الدعاء، الاستنكاف، النشاط، الكسل، الفرح، الحزن، الألفة، الفرقة، السخاء، البخل، الخشوع، العجب، صون الحديث النميمة، الاستغفار، الاغترار، الكياسة، الحمق.

يا هشام: لا تُجمعُ هذه الخصال إلاّ لنبي أو وصي، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأمّا ساير ذلك من المؤمنين، فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل، حتّى يستكمل العقل، ويتخلّص من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وفّقنا الله وإيّاكم لطاعته»[1].

(١) رواه الكليني الكافي ج ١ ص ١٣؛ والحراني في تحف العقول مع اختلاف يسير.

**الإفادة الخامسة عشر: الأنبياء لا يخالفون دين وفرائض الله:**

هل يمكن لنبي من الأنبياء أن يقول لا تخضعوا لله ؟، الجواب كلا، الآن عندما تواتر رسل الله فاني اعلم أن دين وفرائض الله اعلمها من الوحي ولم اعلمها من طريق العقل بل من مجموع سلسلة الأنبياء علمت أن دين وفرائضه التي لا يرفع اليد عنها هو دين الإسلام وهذه فيها أركان الفروع، وهذه الأركان وهذه العقائد هل يمكن لنبي من الأنبياء يتخطاها ؟، لا يمكن ذلك وإذا جاء احد وادعى غير ذلك فاعلم انه ليس محقا، لان أولئك حيث صدقوا على الله وقالوا هذا من الدين لا من الشريعة وهذا من أوامر الله لا من سنن الأنبياء أو هذه من فرائض الله التي لا تتخلف ولا تختلف بحيث لا يمكن رفع اصل الصلاة أو اصل الجهاد. فعلمي بنوبته هو أن يكون مطيعا وتابعا لله عز وجل، ولان علمي بدين الله لا يتر بحجة من الحجج بل هو مجموعه حجج، ولا يمكن أن اقرأ حجة واترك حجج أخرى.

وهذا المقدار مما يدركه عموم الناس غير المطلعين على رسالات الله هم يدركون شيئا من فرائض الله ولو بحكم العقل «أن ما حكم به العقل حكم به الشرع» فيدركون هذه الأمور الفطرية، فإذا جاء دعي من الأدعياء ويريد تجاوز فرائض الله فانه لا يمكن ذلك ومنه يعلم انه مبطل، وأيضا صلاحيات الأئمة لا يمكن أن تتجاوز قطعيات سنن النبيﷺ وفرائض الله وبديهيات العقل لذلك المحكمات في الكتاب والسنة وبديهيات العقل انما هي مدار ومحور وميزان، إذاً محكمات العقل ثم محكمات فرائض الله ثم محكمات سنن النبيﷺ القطعية خلافا للظنيات من فرائض الله وسنن

النبي صلى الله عليه وآله فأنها ليست مدار، ولا القطعيات النظرية فانه صورتها قطع وواقعا هو ظن، وإنما الكلام في القطعيات قالبا وروحا فتلك تكون محكمات ومدار وهي فوق بعضها البعض، ومن ثم هناك سياج عن تلاعب أي لاعب وتغاليط أي مغلط، فهناك نظام فطري في المعرفة رسمه الله تعالى لا يمكن تخطيه وهذا هو معنى العبودية لله حتى في المعرفة ولا يمكن تخطي هذا النظام وهذه الحجية.

### الافادة السادسة عشر: الايمان بمجموع الحجج:

تلك الحجج طبيعتها حجية مجموعيه منظوميه، وان اكبر انفراط منهجي تقع فيه الفرق المنحرفة من خوارج وغيرها أن يفرطوا في مجموع الحجج.

ان الحجج مجموع متكامل منظومي ومترابط ومتكامل ومتراكب لا مفكك ومبعثر واللازم هو الايمان بها كلها واتباعها جميعا وليس نؤمن ببعض ونكفر ببعض، لذلك القران يدحض ويقول ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ

ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾[1] فلا يمكن التبعيض في الحجج وما دام هي حجج فلا يمكن التبعيض فيها، وحيث أنها مجموع فلا تكون قراءتي لحجة من الحجج بمنأى وبتجزئة عن الحجج الأخرى وهذه قراءة ناقصة وهذه نكتة جدا مهمة وان لم تبلور في علم أصول الفقه أو البحوث العقلية أو بحوث أخرى ولكنها تمثل ضرورة معرفية ومنهجية حساسه ، فالحجج لابد أن تقرا مجموعيا لان لها دلالات معية مع بعضها البعض، وهي بنفس الوقت لها استقلال ولكن لا بمعنى أنها تنأى وتنفصل وتتجزأ وتتفكك عن بعضها البعض، وعلى هذه النكتة الخفية الغامضة يلعب الأدعياء في الدجل متخذين من الاستقلال استقالا تاما للفصل بين تراتب الحجج ومجموعيتها.

## الافادة السابعة عشر: الترتب والتناسب بين قنوات المعرفة:

وبالنسبة للنصارى وكما مر بنا ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾[2] هنا الشارع جعل الوحي فوق بديهة الحس فكيف ندعي أن البديهيات هي فوق الوحي، والبديهيات لها مراتب كالأوليات والفطريات والوجدانيات (القناة الروحية) والحسيات والتجريبيات والحدسيات وهذا الترتيب هو

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧ .

اخطر من العد فقط، لان الترتيب يدل على موقعيه الحجية، وتعريفها بعضها عن بعضها مهم جدا، ومن ثم إعجاز الأنبياء أين يندرج ؟ لا يندرج في الحسيات وقد شرحت ذلك في العقل العلمي وهو يرجع إلى الوجدانيات واما مشاهدة لمعان القدرة الغيبية فهو فوق الحسيات، وإذا قلنا البديهيات الأعلى فنقصد الأوليات والفطريات وأما نفس الوحي الذي هو إعجاز وجداني ولمعان يجده في قلبه أو يجده بلمعان الغيب وهذا يتضمن استدلال عقلي، وقد ذكرت هذا ليس استدلال عقلي وهو عند الفارابي وارسطو خلافا لابن سينا ان برهان المعجزات ليس برهان نظري أو برهان بقوة الفكر بل أعظم من قوة الفكر فهو برهان بلمعان الغيب ودرك مشاهدة وواجدية لمعان الغيب، بينما الفكر ترتب صغرى وكبرى ولو بديهية، كلا فأبن سينا يؤاخذ عليه انه حصر البرهان الكلي النظري بقوة الفكر بينما ارسطو وسقراط وغيرهم ذكروا أن هناك برهان عياني وهو أعظم من البرهان النظري الكلي خلافا لدعوى ابن سينا، وهذا البرهان العياني هو في الحقيقة وجدان وهو اكبر من الحس، ولكن مهما وصل الإعجاز فلا تتخطى الأوليات بل تبقى الأوليات والفطريات فوق كل تلك الأمور إذاً الوجدانيات فوق الحسيات لان المعلومات الحسية نطاقها ضيق ولذلك تسمى علم حصولي وأما الوجدانيات فنطاقها أوسع وآفاقها أعظم سواء نافذة الوهم أو الخيال أو العقل أو الروح.

لذلك بالعقل والفطرة اهتدى الإنسان إلى معرفة التوحيد وما شابه

ذلك، ولو في بيان أن معرفة الله هي الأولى تصورا وتصديقا فتكون الفطرة هي التوحيد ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فالمنطلق هو التوحيد الفطري لا التوحيد النظري أو الإيحائي أو معرفة التوحيد عبر قنوات متعددة، القناة الفطرية هي المبدأ في التوحيد وهذه نكتة مهمة.

إذاً هذه خطوط حمراء وضوابط وموازين لا يمكن أن تتخطى شريطة أن نعي المحكمات القطعية بصورة بديهية لا المحكمات النظرية ولا الظنيات في فرائض الله، وأركان فرائض الله قطعية لا قطعية نظرية وكذلك سنن النبي صلى الله عليه وآله القطعية لا الظنية والنظرية.

إذاً التدقيق في قنوات المعرفة ومنابع المعرفة ومراتب المعرفة من تراكب وتراتب وتلاحق وتعاقب والالتفات إلى الصغريات وتندرج تحت أي قسم من الأقسام هو أمر بالغ الأهمية لقطع الطريق عن تسويل المسولين وتشكيك المزعزعين.

**الافادة الثامنة عشر: الخضر لم يخالف حجية فرائض الله:**

وهناك ملحمة مهمة بالنسبة إلى النبي موسى والخضر فانظر إلى النبي موسى عليه السلام يقول له الباري اذهب إلى ولي من أوليائي ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1] فهذا لا يعني تجاوز فرائض الله، ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾...﴾ ومع كل هذه

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

الأمور فهناك ثوابت تبقى وهو أمر صحيح عند النبي موسى لا يمكن ان يفرط بها، لذلك الخضر لم يعترض عليه في هذه الثوابت ولم يقل ان عمله فوق هذه الثوابت بل اشاره انه إنا دون هذه الثوابت بل سأبين لك إني منصاع إلى هذه الثوابت ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ ...﴾ فلم أصادم هذه الكبرى ولست أفرط بهذه القاعدة ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ ولست أفرط بحرمة دماء وأموال الناس فلست أفرط بكذا وإنما الصغرى هي لتلك القضية، فهنا لم يقل الخضر أن حجيتي فوق هذه الحجج بل قال أني منصاع لهذه الحجج ولكن الصغرى شيء آخر.

لذلك الخضر لم يأبى ولم يأنف كيف يأنف وهو عبد لله وإنما قال ان هذه القواعد منقاد لها ولم يتمرد ويخالفها او عنده غيرها وإنما الصغريات تندرج في موارد أخرى، وهذه نكات جدا مهمة ونلاحظ هنا أيضا حجاج الخضر مع موسى في حين أن الخضر مصيب في الصغرى والتطبيق ولكن لم ينكر على النبي موسى لم تتمسك بهذه القواعد بل ثبته على التمسك بتلك القواعد بل التطبيق على الصغرى هو المطلب، وهكذا هي البصائر عند الأنبياء والأولياء والأوصياء لا مثل الأدعياء الذين يدجلون والذين يطمسون الفرائض والقواعد وعلامة المحق من المبطل أن المحق ينقاد إلى المحكمات ويخضع لها ويتبعها ويكون تابع لها، أما المبطل يتمرد عليها ويتكبر وهي علامة واضحة لهما قد تمحور حولها موسى والخضر عليهما السلام وكلا بين انصياعه لها بأسلوبه.

**الافادة التاسعة عشر: انصياع الاولياء لحجية فرائض الله:**

فرق بين الأمرين من أن يأتي خليفة أموي ويقول إنا فوق من أن أُسائل أو يقول إنا ظل الله في الأرض وحتى لو آمرتكم بمعصية الله، بينما هي «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، بينما قول الزهراء حينما غصبوا فدكا:

«وزعمتم: ان لا حظوة لي ولا ارث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية اخرج أبي منها ؟ ام هل تقولون: أن اهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست انا وأبي من اهل ملة واحدة ؟»[1].

فليست تقول أني فوق القواعد والثوابت من فرائض الله ولكن نحن أحق من ينقاد لحجج الله، أو كلام لسيد الشهداء قبل بدأ القتال مع الاعداء:

«ويحكم! أتطلبوني بقتيل منكم قتلته!؟ أو مالٍ لكم استهلكته!؟ أو بقصاص جراحة!؟»[2].

فهذا مما يدلل أن ثوابت دين الله فوق حجية الإمام الحسين والإمام الحسين أحرى وأحق من ينقاد إلى هذه الحجج، وهو بخلاف يزيد وهو طاغوت أو يأتيك الوليد بن عبد الملك الذي رمى القران بسهمه وما قاله وحكى الماوردي في ( كتاب أدب الدنيا والدين):

أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما في المصحف فخرج له

---

(١) العلاّمة الطبرسي في كتابه الاحتجاج.

(٢) الإرشاد:٢: ٩٧ ـ ٩٩.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياما حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده).

فانظر إلى التمرد على حجج الله وفرق بين الأمرين، فانظر إلى كلام الزهراء وكلام الحسين عليه السلام وكلام أمير المؤمنين في حجاجه مع الخوارج وفي حجاجه مع أصحاب الجمل فليس يريد أن يبين نفسه فوق فرائض الله وسنن النبي صلى الله عليه وآله القطعية ولكن اكد انه أحق من انقاد لها وذاك هو المميز والتفضيل فعلاما تقاتلونه وبما استحللتم حرمته وهو قد حفظ الحرمة، وهذه نكتة مهمة جدا، وهذا علامة المحق من المبطل وهو أن المحق منقاد لمراتب الحجج والمنظومة أما تسائله عن شيء؟، وكيف لا تسائل لان محط السؤال قاعدة فوق ذلك وهذا معنى الخضوع لله عز وجل والعبودية لله عز وجل، ومعنى العبودية انه انقاد لتلك الفرائض والحجج ولا يعتبر نفسه فوقها فانظر هنا لعبودية علي بن أبي طالب لدين الله «اشتملت عني شملة الجنين...» قال «والله ما ونيت عن ديني...» ولم يقل إنا فوق هذا الكلام فليس هو متجبر على فرائض ولا مخالف لسنن النبي صلى الله عليه وآله، فانظر إلى

الجواب التوحيدي من علي بن أبي طالب فالدين هو فوق اي قرار ذاتي وهو المحور وهو الذي ينقاد له، ولكن الصغريات مورد آخر.

وهذا الحوار بينهما لإفهام الحاضرين وفي إفهام الحاضرين يبين أمير المؤمنين انه كيف ينقاد لا انه يتسلق على الفرائض كما قال الآخر «ما تركناه صدقة» فيتسلق على آيات الإرث فهذا قفزة على فرائض الله فهل الإرث ينسخ من دين الله وغيره من الأمور، ففرق بين أن يقفز على فرائض ولا ينصاع لها ويلتف عليها ويلتوي وبين أن يقول أن الفرائض لابد أن انقاد لها ولكن هنا مثلا الصغرى لتلك وهذه الصغرى لها تلك، فرق كبير بين العبد الصالح لله من الأوصياء والأنبياء وبين جلاوزة وعصابات الحكم فان الالتزام بفرائض الله فرق واضح بينهما.

**الافادة العشرون: ضرورة الالتزام بتراتبية الحجج:**

«فقال سلمان يا بن صوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتم» البحث في هذه الإثارة عند اليهود وهي غامضة ومعقدة وهي كيف يميزون بين جانب المحو والإثبات وجانب مبرم من قضاء الله وحكمة، وهناك عدة ضوابط ذكرها سلمان :

أول تلك الضوابط : أن ما ينشر في الكتب هو ثابت ولا يمكن أن يطرأ عليه التغيير وكل ما اخبر الله عز وجل مما ينتشر عند عموم الناس لا يكون مما فيه البداء أو التغير أو المحو والإثبات لان الله كتبه على نفسه أمام

المخلوقات والتزم بتحقيقه،

**الضابطة الثانية:** هي إنما انتم اردتم من المحو والإثبات من باب أنكم لم تصدقوا بالحجة التي أوصلت لكم أخبار الله وهم الأنبياء والرسل بل تتهمونهم وهذا ليس من باب العمل بقاعدة البداء أو المحو والآيات إنما هذا في حقيقته تكذيب.

فتارة يصدق ثم يتوسل إلى الله بالتغيير فهذا بحث آخر أما انتم فمن رأس لم تصدقوا، فتارة الإنسان المؤمن يتشبث بالبداء أو النسخ الإلهي أو يتشبث بالمحو والإثبات الإلهي بعد تصديقه بما هو حجة،وتارة يريد أن يتمرد على الحجة الإلهية تحت عنوان يتخذه كمبرر وهو قاعدة المحو والإثبات فهذا ليس تمسك بقاعدة المحو والإثبات بل هذا نوع من التمرد على الحجة الإلهية والحاكمية الإلهية تحت ذريعة قاعدة المحو والإثبات، وهذا تملص من إتباع الحجية بعنوان وذريعة أن نتشبث باسم الهي آخر وبسنة إلهية أخرى وفعل الهي آخر، لذلك حتى في أسماء الله من امن بان الله رحيم لا يسوغ له أن يحاسب أفعاله بحسب أن الله شديد العقاب ومنتقم جبار، فكما أن الإيمان بان الله منتقم وجبار وشديد العقاب لا يعني انه لا يؤمن بان الله سريع الرضا، يعني أن التمسك باسم معين لا يسوغ للعبد الكفر أو الإنكار أو الجحود أو عدم التبعية لاسم آخر وحجة إلهية أخرى، ألآن انتم تؤمنون بصفة إلهية فيمحو الله ما يشاء ويثبت لكن لا يعني ذلك أنك لا تؤمن بان الله عَزَّ وَجَلَّ له حجج فهو الهادي والمرسل والمعاقب

والمثيب، فوجود اسم الهي معين لا يدعو إلى عدم التصديق باخر.

ومن باب المثال لنفرض انه قامت لدي حجة معينة فلو عبد قال أنا من جهة مراتب الحجج لابد من ابتاعها ومراعاتها فتحت ذريعة تراتبية منظومة الحجج أنا لا اعمل بالحجة الفعلية المتوسطة لكي أتحرى حجة فوقية فاترك العمل بها فهذا تصرف لا يسوغ، فأنت تعمل بالحجة المتوسط ولتكن متحريا إلى حجة أعلى إلى أن تقف على حجة أعلى حاكمة، أما تحت ذريعة احتمال وجود حجة أعلى أو تحت ذريعة احتمال حجة حاكمة على دليل ناهض أقوى فاترك هذا الدليل الموجود، فهذا غير مسوغ وليس له مبرر فان صرف التحري والتنقيب والبحث واحتمال وجود حجة أقوى لا يبرر ويسوغ رفع اليد عن الحجة الأقوى المتوسطة. نعم إذا وصلت إلى حجة أقوى فبه ونعمت حينئذٍ لا يسوغ التشبث في البقاء على الحجة المتوسطة وترك الحجة الأقوى كما أفتن بذلك النصارى واليهود فاتبعوا الحس حيث شبه لهم قتل النبي عيسى عليه السلام، وصحيح أن الحس حجة ولكن لا يلتزم به في مقابل قول النبي عيسى باني سأبقى إلى أن تملأ الأرض قسطا وعدلا وما شابه ذلك، فان ذلك إعجاز ووحي أقوى من الحس لكنهم تركوا الوحي وتمسكوا بالحس، ألآن إذا كان نبي من الأنبياء أعظم فهل اتركه تشبثا بشريعة النبي إبراهيم عليه السلام أو عيسى؟، فان هذا مذموم مع وجود شريعة سيد الرسل، أما إذا لم أقف على حجة أقوى واترك الحجة المتوسطة تحت ذريعة إني باحث متحر ومنقب محتمل لحجة أقوى، او

لسبب تلك الحجة أقوى وأنا احتملها فلا أسوغ لنفسي أن أتمسك بالحجة المتوسطة فهذا غير صحيح، بل لابد من الاسترسال بالحجة المتوسطة والإتباع لها إلى أن يقف الإنسان على حجة فوقها وبالتالي يتبع الحجة الفوقية أما مادام لم يقف ومع انه يتحرى ويفحص لكن في فترة تحريه وفحصه لا يجوز له أن ينكر الحجة المتوسطة أو يتمرد عليها، مثلا الله تعالى له أمر في قضية ما واحتمل أن له أمر ناسخ لها سيأتي بذريعة أن احتمل أن هناك أمر ناسخ سيأتي أو أتى ولم أقف عليه فهل اترك إطاعة أمره المنسوخ بالاحتمال؟، انه هذا لا يسوغ لي.

أما كيف فهمنا توسط الحجج المتوسطة فان هذا بحث آخر وكلامنا في سلم وتراتبية ورتب سواء حجج أدلة أو صفات إلهية أو أسماء إلهية أو أفعال إلهية، فمثلا إذا كنت أعيش في عهد مالك الاشتر في مصر فأقول مالك نائب عن أمير المؤمنين‹ع› فانا لو أصل إلى أمير المؤمنين‹ع› واطلب منه هذا الطلب يرخص لي والآن مالك منعني وليكن ولكن استأذن من أمير المؤمنين‹ع› المؤمنين فأتصرف في الأراضي أو شيء معين وأقول سأصل إلى أمير المؤمنين‹ع›، فان هذا لا يسوغ. نعم إذا وصلت إلى أمير المؤمنين‹ع› ورخص فهذا بحث آخر أما ألآن فواجب عليّ طاعة مالك الاشتر، أو النائب الخاص كالحسين بن روح النوبختي أو العمرين فأقول أن هذا النائب الخاص لا اعلم انه من الإمام بل أنا سألتقي مع الإمام واستجيز منه فأخالف في هذه الفترة حتى القاه‹ع› فان هذا غير سائغ، فانا

محكوم ألآن بهذه الحجة فلم تأتني حجة أو مولوية جديدة مرخصة من الشارع سواء على صعيد ثبوت الولاية ثبوتا أو على صعيد الولاية إثباتا فلا يصح لي أن أتمرد أو استعصي عليها، بل لابد أن أتمسك بهذه الحجة المتوسطة وبهذا الأمر إلى أن يأتي الناسخ، لان هذا نوع من التقحيم في ذات المولى، وحتى في نظام البر افرض وجود دليل معتبر لدينا متوسطة معتبر ظني فما دام هو معتبر أنا ملزم به إلاّ أن يأتي معتبر آخر أقوى واقف عليه ولو بالفحص والتنقيب، إذاً بحث منظومة الحجج فيه نوع إرباك في الفكر البشري وفيه على الحقيقة نوع من الدقة، فتارة وجود حجة أقوى في متناول اليد أو ملزم الفحص عنها وهي في متناول اليد لكنه لا يفحص ولا يتناول ويتبع فقط الحجة المتوسطة، فمثلا إذا تركت الفحص عن الحجة الأقوى وأقول لم أقف ولم أصل إليها ولم افحص وإنما فقط أتمسك بالحجة المتوسطة ؟، فهنا مؤاخذ أيضاً، فمثلا يتبع النبي عيسى وقيل أن هناك سيد الأنبياء بعث في مكة وليس عليّ الفحص؟، كلا لا يسوغ ذلك، صحيح لابد عليك أن تستمسك بإتباع النبي عيسى عليه السلام ما دمت لم تقف على نتيجة البحث ولكن هذا لا يسوغ لك عدم الفحص لأنك احتملت وجود حجة ناسخة فافحص عنها، وفي فترة الفحص لا يعني أن تترك شريعة النبي السابق. نعم تمسك بها ولكن لا تترك الفحص، وهذه بحوث متعددة في منظومة الحجج فهناك بحث الفحص كيف هو وبحث التمسك بالحجة الأقوى كيف هو وبحث متى يسوغ لي رفع اليد عن الحجة المتوسطة أو السابقة، وهذه كلها مرتبطة بتراتبية الحجج.

### الإفادة الواحدة والعشرون: مغالطات اليهود في التزام ترتيبية الحجج:

اليهود يتركون تصديق أنبياء الله وإتباعهم تحت احتمالات معينه و هذا لا يسوغ لهم أن يكذبوا أنبياء الله تحت ذريعة احتمال أن يأتي ناسخ لهم، وهذا مثل بعض العرفاء والصوفية عندهم بعض هذا الزيغ وهو أن الله رحيم فمن قال سيعذب وكذا، وحتى بعض من يحامي عن بني أمية وبني العباس والظالمين يقول من أين لك ان تدين هؤلاء الظالمين لعل الله يرحمهم فأنهم سيفدون على رب رحيم ودود؟، صحيح الله ارحم الراحمين ولكن الله حكم في كتابه معاقبة الظالمين فإذا جاء حكم ناسخ أو عفو الهي فهذا بحث ولكن لحد ألآن لم يأت ذلك بدليل صحيح، فيكيف يسوغ لك أن تركن إلى الظالم وقد أقيمت لك الحجة الإلهية بان لا تركن إلى الظالم فعليك ان لا تواد من حاد الله ورسوله، ولم يأتي بيان من الله انه قد عفي عنهم، وهذه نفس المغالطة اليهودية فهذه ليست مغالطة في خصوص المحو والإثبات مع انه مرتبط بالمحو والإثبات لان عفو الله مرتبط بمشيئته، فيتمسكون بذيل المشيئة لتقميص الظالمين لباس أبيض، فيتمسك ببعض العموميات ويترك العموميات الأخرى وهذه مغالطة من جهة أخرى، وحتى بعض العصاة قد يقول أمرني الله بالصلاة وزجرني عن الفواحش ولكن ارتكبها لأنه رحيم مثلا فأي مسوغ هذا بل أن هذا تمرد على الله، فحتى لو جمدنا على أن المشيئة الإلهية مطلقة وانه لا يحكم على الله شيء بل

الحاكمية لله ولكن الكلام انه عندك حجة بالفعل ولم يأتيك أمر ناسخ أو مرخص بل هذا تمرد على الأوامر الإلهية.

**الافادة الثانية والعشرون: التمرد على تراتبية الحجج بذرائع مشبهه:**

بعد تشخيص والتزام الحجة المتوسطة الفعلية لا يسوغ لك عدم الفحص بل لابد من الفحص، ولكن وجوب الفحص لا يسوغ لك ترك الحجة المتوسطة ما لم تقف على الحجة الأعلى، فاسم الرحمة الإلهية أعظم اسم الهي وسبقت رحمته غضبه وهذا صحيح ولكن هل هذا يسوغ لنا فتح باب الفواحش فهل وصل إليك ناسخ للأوامر والنواهي أم انه تمرد على الله تحت ذريعة التمسك بالاسم الأعظم، ومع ذلك نجد صرف التهديد والوعيد الإلهي الذي هو صنف من الغضب لا ينافي أصل الرحمة بل ان عذابه من رحمته كما يقول بعض اهل المعرفة.

ولو نظرنا إلى البحث نجد أن هذه جدلية ومغالطة فكرية ليس عند اليهود بل تحدث حتى في الساحة الفكرية الإسلامية عند الأمة الإسلامية من الصوفية وغيرهم هؤلاء يدافعون عن الظالمين تحت هذه المغالطة.

وهذا ما تشير إليه الضابطة الثانية لسلمان «وأرادوا تكذيب الله وأنبيائه في أخبارهم والتهاون في أخبارهم أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله» أيضاً إذا أراد العبد أن يحكم اسم الهي أو حجة

أو سنة إلهية أخرى هذا ليس من باب أن ذاك الاسم حاكم بل هذا من باب التمرد ومغالبة الله على هذه الحجة الفعلية أو الاسم الإلهي الموجود، وليس في الحقيقة أنهم أرادوا التمسك بالحجة الأقوى من باب التمسك بالحجة الأقوى، بل الحقيقة من باب المغالبة والتمرد وهذا حينئذ ليس تمسكا بالحجة الأقوى، وبعبارة أخرى هذا ليس طريقا إلى المحو والإثبات في المثال الذي تحدثنا عنه، ومثال المحو والإثبات هو أن تتضرع وتتصدق وتدعوا والذي مر سابقا من أن هذه الضابطة موجودة عند أهل البيت عليهم السلام من أن القضاء والقدر قبل أن يبرم أو يكوّن في الخارج الإنسان يدعو ويتضرع ويتمسك باسم اكبر، أما بعد الوقوع فلا كما يقولون أنا قوم نبتهل أو نفزع إلى الله قبل وقوع المصيبة فإذا كان رضينا بقضاء الله تعالى.

«أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله هل كانوا هؤلاء» أن التمرد على الله عبارة عن كفر وليس طاعة «وأي عداوة يجوز أن يعتقد لجبريل ويصد عن مغالبة الله عز وجل وينهى وهو في حالة طاعة الله وينهى عن.... غضب الله فقال ابن صوريا قد كان الله اخبر على السن أنبياءه ولكنه يمحو ما يشاء ويثبت» فقد تشبثوا باحتمال وجود حجة ناسخة (فقال سلمان إذاً لا تثقوا بشيء ما مما في التوراة من الأخبار عما مضى وما يستأنف) لماذا تحت ذريعة أن الله يمحو ما يشاء ويثبت، فمجرد احتمال الناسخ فهو إذاً ينسخ كل شيء.

**الافادة الثالثة والعشرون: التمرد على تراتبية الحجج اعتمادا على الاحتمالات:**

«إذاً لعل الله قد عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطل في دعواهما لان الله يمحو ما يشاء ويثبت» بل في الروايات أن الله يمحو ما يشاء عما وقع كما في الروايات، فكيف نحتمل أن ما وقع يكون ليس بحقيقة مع انه حقيقة، وهذا أسلوب نقض من سلمان «ولعل أن كل ما أخبراكم به موسى وهارون أن يكون أن لا يكون» وبعبارة أخرى إذا اخبر بذلك أما الأئمة يجب أن نأخذ به إلاّ أن يأتي ناسخ تشريعي وتكويني، «وكذلك ما أخبراكم عما كان لعله لم يكن وما أخبراكم انه لم يكن لعله كان ولعله ما وعدهم من الثواب يمحوه» إذاً هذه القاعدة أن اسم أعظم فمعنى هذا كل الأسماء يطلبها فيعطلونها بذريعة أن هناك حجة أقوى وبالتالي يتمردون حتى على الحجج الأدنى.

«ولعل ما توعدهم من العقاب يمحوه» وهذا منطق من يدافع عن بني أمية وبني العباس، ويقولون دعنا على ما جرى بين الصحابة فقد وفدوا على رب رحيم وهو يرحمهم، وهذا بحث آخر فأنت تحكم وتقضي على الله أم أن له المشيئة على عبادة؟، ومن قال أنه ليس له المشيئة، وإنما الكلام في انه قد انذر وحذر وقال «لا تركنوا إلى الذين ظلموا» وتوعد الذي ظلم بالعذاب ونبقى نتمسك بذلك إلى أن يأتي ناسخ وينسخ ذلك الحكم أما ألآن فنتبرأ من الظالمين وندينهم.

وبعض آراء الصوفية تقترب من ذلك ومن يأتمون ببني أمية يقولون أن يزيد لعله تاب من ذلك ولم تأتي لهم حجة، وهذا بيان مفيد فأنت عندك حجة على أمر معين ثم تقول احتمال توجد حجة ولكن لم تقف على الحجة، والفتنة والشبهة من جهة عدم ضبط شرائط الحجية وقواعدها وأدلة الاستدلال، وصحيح أن الدين يدعو إلى التعقل والى التفهم، ولكن من قال أن التعبد ليس بتفهم ومن قال أن التعبد ينفي التفهم، فالمغالطة تنشا من تشابه الأمور.

«أنكم جهلتم معنى يمحو الله ما يشاء ويثبت فلذلك انتم بالله كافرون ولإخباره عن الغيوب مكذبون» يعني الجهل بمعنى الأسماء ومنظومة الأسماء والحجج تسبب الكفر والتمرد، ويكذب احتمال أن هناك ناسخ تكويني وسيأتي هذا في جانب علم نظري الإدراك المحض، وفي جانب العقل العلمي أتمرد على الطاعة تحت ذريعة الترخيص ( وعن دين الله تنسلخون ، ثم قال سلمان إذاً حفظ... به يقام الدين ولا يبقى على دينه) تحت ذريعة أن يستمسك بحجة من الحجج من دون أن أراعي شرائط ومراتب الحجج بل مجرد احتمالات واهية انزلها بمنزله اليقينيات عمليا وهذا من الخلل الفادح.

**الافادة الرابعة والعشرون: أساليب القران في اثبات حجية الأولياء:**

ومن الأساليب القرآنية الكثيرة نذكر هنا:

**الاسلوب الاول: اسلوب الفضائل ودلالته على حجية الاولياء:**

مر علينا مرارا في البحث المنهجي المعرفي وعلوم المعارف أن الفضائل والفضيلة أسلوب ذكي لبيان وبرهان مراتب الحجية، فحين يقال فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فان الأمر ليس قضية فضيلة بل هو قضية أدلة على الحجية وبيان لها، وكل فضيلة هي دليل حجية فيعبر عنه بلسان العقل العملي فضيلة وبلسان العقل النظري برهان، فالفضائل إذا كانت من نمط لدني فهي تعني الحجية وتبين منصب لدني، وهذا أسلوب مداراتي من القران أو أسلوب تقيتي من القران وأسلوب امني في البيان، لان الأمور إذا طرحت بصراحة تسبب تمرد بعض الفئات والتيارات أو تؤدي إلى جرأتهم على تحريف القران فحفاظا من القران على نفسه يستخدم الأسلوب المداراتي، وهو نوع من التقية بالمعنى الأعم، فلما يكون القران في أسلوب لطائف وأسلوب إشارة وأسلوب حقائق فمعنى هذا أسلوب تقية وتخفيت الأمور ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

ناهيك عن وجود مبدا الاختبار في اعتماد الاشارات مع الاخفاء النسبي للتوصل للحقيقة من خلال غموضها نسبيا وهو امر اعتمده القران والانبياء والمعصومين مع الامم والافراد في كثير من الحالات.

ومثلا من اهم تلك القضايا في القران الكريم وروايات النبي صلى الله عليه وآله لبيان قضية دلائل حجية علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كخليفة وكمنصب وبيان مقام أهل البيت عليهم السلام فيبينها القران بأسلوب الفضائل، ففي أسلوب

الفضائل المعاند لا يهتدي بسهولة وبصراحة فيقع المرء باختبار ومواجهه وبحث نحو الحقيقة في أن هذا تنصيب وبيان منصب وحجية ومقام أو يأخذها من باب الثناء العام، مع انه يغيضه ذلك الثناء، وللأسف التعاطي من كثير من فرق المسلمين مع الفضائل لأهل البيت في القران أو روايات السنة النبوية انه يعني مدح وثناء ولا يرتقي إلى شيء آخر وهذا خطأ معرفي فادح كبد الامة خسائر كثيرة عبر التاريخ والخسارة مستمرة لحد الان !!!.

ان أسلوب الفضائل في القران هو أسلوب دلائل وحجج وبراهين وليس صرف ثناء وخطاب ومدح وشعر وترنم وانس؟، كلا وإنما هي براهين بأسلوب الفضائل.

وقد تصدي سيد الأنبياء لبيان أفضليته على بقية الأنبياء بمعنى أن حجيته مقدمة على حجية بقية الأنبياء، ونفس التعبير «لو كان موسى حيا ثم لم يؤمن بنبوتي لم ينفعه إيمانه شيئا ولا نفعته النبوة» فهنا عندما يبين النبي ﷺ أفضليته على إبراهيم ونوح وأدم وموسى وعيسى وباقي الانبياء معناه أن حجيته مقدمة وهم ملزمون أن يتبعوه.

### الأسلوب الثاني: مقدار الأدب مع الأولياء وعلاقته بالحجية:

قد وجدنا وذكرنا أسلوب مهم متبع في الشريعة والقران وهو الأدب والاحترام والحرمة، فحينما يقال أن لهذا الولي أدب وحرمة أكثر من ذلك معناه أن مقام حجيته مقدم وهذا أسلوب أخلاقي آخر لبيان الحجج والبراهين، ﴿قَالَ

لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾﴾[(١)] فلم يقل الخضر لموسى اتبعني فان هذا أمر ولا يمكن للخضر ان يقول ذلك بل قال «أن اتبعتني» فالخيار راجع إليك وهذا ليس فقط بحث أدب وموقف اخلاقي من الخضر بل بيان موقعية ومقام النبي موسى وموقعية الخضر وهو أن لكل منهما مقام ولكل منهما فضيلة، فحجيتهم متشاطرة وليس أن حجية احدهم على الأخر بشكل مطلق بل لكل حجيته في مجاله كما قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ وهذه نكات مهمة في بحث الآداب، وهذا راجع إلى نفس بحث الآداب لأن كل عقيدة لها انعكاس في الآداب والأخلاق وكل أصل اعتقادي ينعكس على أصل أخلاقي، فالأمر الأخلاقي ينعكس على فعل من الأفعال الجارحية في البدن وكذلك الأفعال في البدن تؤثر على توليد الصفة الأخلاقية والصفة الأخلاقية تولد المعتقد كما تشير له الآية وأشارت لها العقيلة عليها السلام ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ﴾ أي فعالهم فحينئذ إذا بين أدب وخلق معين هو نفسه برهان على مطلب اعتقادي.

مثلا التواضع الذي تشير له الآية ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾[(٢)] وهذه أول صفة فيهم، والتواضع معناه معايشة التوحيد وهو أنا مخلوق وعبد فقير والبقية

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

مخلوقين وفقراء إلى الله، فليس له معنى أن افرق بيني وبينهم فيكون هذا تواضع، فالتواضع عبارة عن توحيد وليس هناك فرعون نفسي وإنما هناك اله واحد وليس هنالك أرباب، فالتواضع يكون من هذه الزاوية برهان التوحيد أو دليل التوحيد وآيته، وهو اسمه أدب ولكن حقيقته يرجع إلى بحث معرفي برهاني.

فلسان الآداب في الحقيقة لسان برهان وحجج ومقامات، فقد ورد مستفيضا ان الإمام المهدي يتقدم على النبي عيسى بعد ان يطلب من عيسى ان يتقدم للصلاة لكن عيسى يؤكد انه لا يتقدم على المهدي عليه السلام فقد أخرج أبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (و اله ) وسلّم:

«ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: لا وان بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمّة»[1].

فهو ليس فقط تعارف وآداب صورية وإنما لها كنه معرفي وهو أن حجية المهدي عجل الله فرجه تعلو على حجية النبي عيسى، وهذه الروايات موجودة في مصادر فرق المسلمين والبعض يقول هذا من باب الآداب والاحترامات والمجاملات ومن ثم يقولون ان النبي عيسى حجيته أعلى والصحيح ان كلامهم هذا لا يمكن وليس بصحيح اطلاقا، لذلك النبي لكي يستدل على أن حجية موسى وعيسى دون حجية سيد الأنبياء

---

(١) العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي ص١٣٤.

واللازم الأخذ بالحجية الأكبر قال ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فيقدمه ويصلي خلفه،

رُوِيَ عَنِ النبيﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«مِنْ ذُرِّيَّتِي الْمَهْدِيُّ إِذَا خَرَجَ نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِنُصْرَتِهِ فَقَدَّمَهُ وصَلَّى خَلْفَهُ»[1].

وهذا منسجم مع سياق أن النبي موسى لو لم يؤمن بي وبنبوتي فلم ينفعه إيمانه شيئاً. إذاً الفضائل والآداب براهين أخرى على مقامات الحجج، وليس فقط مجرد آداب وأعراف بشرية بل هي آداب إلهية تعكس حقائق ودلائل وبراهين على المقامات.

فالرسولﷺ مثلاً عندما يحترم ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ويقوم قائماً ويقبل يديها.

رُوي عن عائشة:

«أنّ فاطمة إذا دخلت على رسول اللهﷺ قام إليها مِن مجلسه، وقبّل رأسها، وأجلَسَها مجلسه. وإذا جاء إليها لَقِيتْه، وقبّلَ كلٌّ الآخَر، وجلسا معاً»[2].

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت:

---

(١) بحار الأنوار ١٤ / ٣٤٩، للعلامة المجلسي.
(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣:١١٣.

«ما رأيتُ أحداً كان أشبَهَ كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخَلَت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلَسَها في مجلسه»[١].

فان الفريق الأخر يفسر ذلك انه حنان وعطف على البنت، ولكن الصحيح ان المسألة ليست كذلك فهؤلاء الحجج الإلهيون لا يفعلون ذلك من باب آداب صورية وتعارفات وتشريفات بل هي حقائق ودلالات علو مقام الزهراء وان لها شأن خاص وخطير، فالنبيﷺ يربي المسلمين على حرمة هؤلاء الاولياء العظام بشكل بارز وامتياز خاص وان هذا ليست تعارفات صورية، فهم يقولون انه أخذته حنية الأبوة، كلا ليس الأمر كذلك وإنما ترتبط هذه بمقامات وحجج، ونفس الأمر في قوله «من أغضبها أغضبني ومن أغضبني اغضب الله» فهذا ليس فقط آداب وإنما هو بيان حجج.

**الاسلوب الثالث: اساليب اخرى كالقصص والامثال وغيرها:**

هذه نكتة مهمة وهو أن الأسلوب المعرفي قد يبين بأساليب متعددة، لذلك القران مثلا القران عنده أمثال ووعظ والجدال بالتي هي أحسن وعنده قصص وحكم فهناك ثمانية أبواب من أساليب القران الكريم وكلها براهين، والكثير من المفسرين حتى من الوسط الداخلي يعتبرون الحكم

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوريّ ٣: ١٥٤.

براهين أما الوعظ والقصص أسلوب غير برهاني لتفهيم الحقائق لمن ليست له القابلية لفهم البراهين، وهذا كصورة صحيح ولكن كلب ليس بصحيح فان الأمثال براهين والوعظ أيضاً براهين والقصص براهين لذلك يعبر القران الكريم ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ فهي بحث عقلي لذلك قال اولي الالباب أو قوله جل جلاله : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] أي لا يتعقلها إلّا من هو عالم، فهذه الأبواب الثمانية في القران التي منها النذارة والبشارة أيضاً كذلك، فان احد البراهين أسلوب النذارة أو البشارة، لذلك ذكرنا في فرق بين لسان وصيغة الحجة في باب العقل العلمي ولسان وصيغة وقالب الحجة في العقل النظري، فان التنجيز والتعذير وهو لسان الحجية في باب العقل العلمي، ونفسه برهان في باب العقل النظري، فان هذا تعبير وعبرة أي تعرف الترادفات بين الحقائق والتشاكل والتماثل.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

## المبحث التاسع: العصمة

الحديث عن العصمة عموما وعصمة الانبياء خصوصا واسع ومتشعب ونحن وفي اجواء المحاججة النبوية نجمل الكلام في مجموعة من الجوانب:

**الجانب الأول: معنى وتعريف العصمة:**

«أتظنون أن رجلا يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته»

العصمة لغةً: عَصَمَ، يعصم من باب ضَرَبَ: حَفَظَ ووقى[1].

فالعصمة في كلام العرب: معناها المنع[2].

ذكر هنا تعريف للعصمة وهي أن العصمة دوما بمدد وتأييد رباني وقد قال الشيخ محمد رضا المظفرﷺ أنّ العصمة:

«هي التنزّه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ

---

(١) راجع المصباح المنير: ٤١٧ مادة «عَصَمَ».

(٢) مختار الصحاح: ٤٣٧ مادة «عصم».

والنسيان، وإن لم يمتنع عقلاً على النبيﷺ ان يصدر منه ذلك، بل يجب ان يكون مُنزّهاً عمّا ينافي المروءة، كالتبذّل بين الناس من أكلٍ في الطريق، أو ضحك عالٍ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام»[1].

إذاً عصمة النبيﷺ في سلوكه العلمي والعملي أدل دليل على ارتباطه بالغيب، وشرط النبوة العصمة وهي كاشف إنّي عن وجود ارتباط بالله تعالى يقول العلامة الطباطبائيﷺ:

«العصمة الالهية: التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد، وسيّء العمل»[2].

«فهل جرتم عليّ منذ نشئت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية أو زلة أو كذبة أو خيانة أو خطا من القول أو سفها من الرأي» فالخزي يرتبط بالإعمال والزلة علمية والكذبة امر عملي والخيانة عملي وخطا من القول منبعه العلم وسفها من الرأي علم وعمل فكلها وجدتموها ليس فيها أي مؤاخذة «أتظنون أن رجلا يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو هو بحول الله وقوته» فإذا كان بحول الله وقوته فهذا مدد رباني ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝٨٤﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾، إذاً المقامات الغيبية هي بفعل

---

(١) عقائد الإمامية ـ تحقيق محمد جواد الطريحي: ٢٨٧.

(٢) الميزان ـ السيد الطباطبائي ١٦: ٣١٢.

من الله تعالى، وهذا بحث آخر في العصمة فمع أنها فعل من الله كيف لا تكون جبرية ؟، يوجد مقامين بعدم الاتصاف بالجبر هما في أصل الاتصاف بهذه الصفة وفي صدور الأفعال عن هذه الصفة ليست جبر، ولكن هي ليست تفويض بل فيها جنبة فعل من الله متمحض.

من كلام الِإمام الرضاعليه السلام:

« إنّ الِإمامة خصَّ الله عزَّ وجلَّ بها إبراهيم الخليلعليه السلام بعد النبوة والخلّة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال: ( إنّي جاعلك للناس إماماً ...».

إنّ الِإمامة هي منزلة الأَنبياء وإرث الأَوصياء... إنّ الِإمام زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين....

الِإمام يحلُّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة...

الِإمام الماء العذب على الظماء، والدال على الهدى، والمنجي من الردى... والدليل في المهالك من فارقه فهالك... الِإمام المطهّر من الذنوب المبرّأ عن العيوب... الِإمام واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كلّه، من غير طلب منه له، ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضِّل الوهاب. فمن الذي يبلغ معرفة الِإمام أو يمكنه اختياره ؟ ! هيهات هيهات....

فكيف لهم باختيار الِإمام؟ والِإمام عالم لا يجهل، وراعٍ لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة...

نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزَّ وجلَّ ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله»[(١)].

واللطيف هنا تعريف الشيخ المفيد العصمة في الاصطلاح الشرعي بأنّها:

«لطفٌ يفعلُهُ اللهُ تعالى بالمكلّف، بحيث تمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليهما»[(٢)].

**الجانب الثاني: العصمة اصطفائية وليست كسبية:**

مر بنا البحث في محاور الحضارة والتحضر والمدنية والتمدن في حوار النبي ﷺ ووصلت النوبة إلى محورية العدل في الحضارة والتمدن، وضمن بحوث العدل أن الباري تعالى لا يؤثر أحدا بالفضيلة والإنعام والمنصب الأفضل في المراتب إلاّ الأفضل في طاعته والاجد في خدمته، ومر بنا أن العصمة ليست كسبية وإنما هي اصطفائية وفرق الاصطفائية هو علم الباري بما يكون عليه من طاعة العبد في المستقبل طاعة قصوى فيصطفيه منذ أوائل نشأته بل حتى نشأته في الأصلاب والأرحام وهي ليست جبر،

(١) اصول الكافي ١: ١٩٨-١، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.
(٢) النكت الاعتقادية ١٠: ٣٧.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا علم الله تعالى حسن نيّة من أحد اكتنفه بالعصمة»[(١)].

وهذا مثل من إعداد البيئة الصالحة للمؤهلين فان علم الخبراء او التربويين بان هذه الثلة من الطلاب أنها مؤهلة للمستقبل بكفاءات فسيهيئون بيئة خاصة بهم لأجل ان لا يظلمون لان لهم قابليات أكثر وجدارة وجدية أكثر فبالتالي فانهم يميتون تلك القابليات لو لم يهيئوا لهم بيئة فيكون ذلك من الظلم فيعزمون لتهيئة الاجواء المناسبة من العدل، ومن هذا القبيل نفس مفهوم العصمة فهو اختيار واصطفاء من الأول وهو أمر بين أمرين وليست هي تفويض أي أنها كسبية فهذا توصيف في غير محله. نعم بعض المقامات الغيبية التي لا ثبات لها مثل صيرورة الإنسان من أصحاب اليقين أو من أهل التقوى أو يؤتى الحكمة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾[(٢)] فإذا وصل إلى مقام الإحسان يعطى الحكمة أللدنية والعلم الخاص ولكن ليس هذه بمعنى الحجية ولا بمعنى الاصطفاء ولا بمعنى العصمة، بل يعطى ما دام هو ثابت في مقام المحسنين فما أن يتردى الإنسان إلاّ ويسلب منه أي مقام كما كان حال بلعم بن باعورا.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٨٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٢.

ومر بنا أن صاحب المعجزة يكون من المصطفين وهو بخلاف غير صاحب المعجزة مثل صاحب كرامة ففي فترة تجده صاحب كرامة وفي فترة قد تجده صاحب ندامة، إذاً الفرق بين مقام العصمة في النبوة والرسالة والاصطفاء فتلك اصطفائية ومعنى اصطفى من صفى والصفوة ومتى يصفي سيختاره الباري ويمتحنه في عالم العلم، بمعنى ان الباري لعلمه بالمستقبل يحدد من هو السابق عن غيره وهذا يعبر عنه بالامتحان في عالم العلم الإلهي وهو عبارة نوع من التنقية والانتقاء والغربلة والتصفية فالأجدر بحسب علم الله يكون له مقامات وعن الإمام الصادق عليه السلام في جواب له لزنديق يوضِّح ما ذكرناه:

قال الزنديق: «فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟».

قال عليه السلام: «الشريف المطيع والوضيع العاصي»، قال: «أليس فيهم فاضل ومفضول؟»

قال عليه السلام: «إنّما يتفاضلون بالتقوى».

قال: «فتقول إنّ كلّ ولد آدم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى؟»

قال عليه السلام: «نعم إنّي وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم والأم حوّاء خلقهم إله واحد وهم عبيده، إنّ الله عزّ وجلّ اختار من ولد آدم أناساً طهّر ميلادهم، وطيّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال

وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم».

«فعل ذلك لا لأمر استحقّوه من الله عزّ وجلّ ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواء. ألا من اتّقى الله أكرمه ومن أطاعه أحبّه، ومن أحبّه لم يعذّبه بالنار...»[1].

والمعنى العام ليس خاص بالعصمة بل خاص بكل قابليات ومهارات نفس البشر، وحتى في علم التنجيم مثلا يقول إذا ولد في ساعة كذا فهذه ساعة ملوك أو ساعة رؤساء وهذه ساعة مفكرين أو شعراء وهذا يعني بيئة مناسبة سواء من عقد النطفة أو ساعة الولادة أو بيئة الترعرع، وان كان ما يذكره المنجمون ليس علل تامة فان نفس علم التنجيم ونقصد الصحيح منه هو علم من علوم الأنبياء، وعلى أي تقدير هذا كله دال أن الباري تعالى لا يظلم مثقال ذرة بل عدل لا يجور بل هو محسن على خلقه وبالتالي يهيئ لهم بيئات لنمو القبليات وحتى المهارات تنمو وتتفق كل مهارة من مهاراتهم.

إذاً بحث الاصطفاء بلحاظ العصمة هو عام أما المقامات الكسبية أي ليس هو واجد لهذا المقام وإنما يسعى في دار الدنيا ليحصل عليه وهذا

---

(١) الاحتجاج: ٣٣٦.

غير متصور في العصمة أو الإمامة أو الحجية.

يقول صلى الله عليه وآله «وإنما معاملته بالعدل فلا يؤثر أحدا لأفضل الدين وخلاله إلاّ الأفضل في طاعته والاجد في خدمته وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وخلاله إلاّ أشدهم تباطئا عن طاعته» وهذه ضابطة عامة «وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضله هو» فكيف يصير هو المعيار «فليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازبة» أي لازمة حتمية ونقول طين لازب أي يلتصق بقوة «فلا يقال إذا تفضلت على عبد فلابد أن تتفضل عليه بالنبوة» هو من فضل الله وليس لأجدريته وليس جزاء عمل، وبعبارة أخرى حتى النبوة قد تسمى جزاء عمل ولكن جزاء متقدم على العمل، وليس فقط العصمة بل بقية الأمور المساعدة على نمو المهارات والقابليات والتي يهيئها الله تعالى هي في الواقع جاء متقدم للعمل «فلانة ليس لأحد إكرام الله تعالى على خلاف مراده ولا إلزامه تفضلا لأنه تفضل قبله بنعمه» أي لأنه تفضل على العبد قبل طلب العبد لنعمه فالعبد مفتقر تكوينا لتلك النعمة او العطاء .

## الجانب الثالث: طول العبادة عاصم عن الزلات:

وهناك تعبير للعلامة الطباطبائي في تفسير سورة يوسف يغاير به المفسرين وهو تفسير قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ليس هذا في مشهد هذا الحدث كما موجود في التفاسير، بل لولا أن

النبي يوسف طول هذه المدة يرى برهان جمال الرب لكان مقتضى عمله وفق الغرائز الطبيعية عند الاخرين فالتبصر ببرهان الله يربي النفس على اعلى مستويات التربيه، ثم ان زليخا كانت أجمل فتاة في مصر وفي قصر وترف وزوجها كان عنين، ومع كل هذه الظروف الملتهبة في الإثارة فهنا الإنسان من نفسه لا يعصم إلاّ في استغراقه ودأبه في مشاهدة جمال الحق هو الذي دعاه إلى الاستعصام، وهذا مثل وتعليم وتربية لمن أراد أن يستعصم من الشهوات في مقابلها لابد أن يتذوق جمال الغيب وإلا لا يستعصم، فإذا أتى العبادات بذوق فانه بالتالي يلمس العوالم الروحية بذوق وتلذذ وسوف تسبب له حالة من العزوف والانكفاء عن الحضيض المادي وحينها لن ينزلق الإنسان، وتعبير النبي صلى الله عليه وآله بهذا المعنى «أتظنون رجلا طول هذه المدة» وفي تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح «وصل على الدليل إليك في الليل الاليل» أي أن الجاهلية كانت ليل مظلم «والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأول» فالجاهلية كانت زحلف وانزلاق شديد في كل الجوانب، وفي هذا الدعاء العظيم شرح لمقامات النبي صلى الله عليه وآله العظيمة فالنبي صلى الله عليه وآله كان يعيش في مجتمع انزلاقات الا انه ثابت القدم على التوحيد، فإذا كان النبي يوسف قد امتحن بزليخا فالنبي قد امتحن بزليخات وفراعنة حتى قال «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

ولعبادة المعصومين مستويات عالية لا يمكن لنا ادراكها وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم قدوة الامة بل كل الخلق في العبادة، والإخلاص والتسليم لإمر

الله سبحانه.

وكان ديدنهم العبادة فقد روي ان الإمام موسى الكاظم عليه السلام عندما كان في السجن كان يقول: «إني دعوت الله أن يفرغني للعبادة ففعل».

وقد روي عن الإمام العسكري عليه السلام عندما أودع السجن أيام الحكم العباسي، أنّه كان يصوم نهاره ويقوم ليله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير عبادة الله سبحانه.

**الجانب الرابع: كيفية تسلط الشيطان على بدن المعصوم:**

في مشهد قراني ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[1] فهنا كيف السحر يخيل للنبي موسى أن عصيهم تسعى فهنا وقع الكلام كيف يتسلط السحر على احد الانبياء العظام أو انه سلط الله الشيطان على بدن أيوب ومشهد اخر عندما مرض النبي صلى الله عليه وآله من سحر بعض اليهود، فالسحر يرتبط بالأعصاب ثم بالبدن أي بجنبة روحية نازلة ثم بالبدن وليس بالبدن مباشرة، وهذه المشاهد لا تتنافى مع النبوة ولا مع العصمة ولا مع ما توهمه الآخرون، فالآثار على البدن فيقول ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾، وهذا غير ما يدعوه هم وكما في سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

(١) سورة طه: الآية ٦٦.

يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ فهم يقولون يتسلط حتى على قلبه وعلى روحه ويوحي إليك كوحي جبرائيل، ونقول هذا ممتنع وباطل، صحيح أن الشيطان عنده وحي ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ لكن ليس وحي الهي نبوي بل الشيطان يحارب بني ادم.

وهذا غير ما يدعونه هم لان هذه المباحث يجب أن يبينها المعصوم وإلا لا يلتفت إليها احد لأنهم عليهم السلام هم صقور عالم الغيب والملكوت، فالطرف الآخر قالوا انه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾[1] فهم قالوا بمعنى يلقي في قلبه وروعه كما يلقي جبرائيل أو يلقى الله من الوحي، فهم يقولون تسلط الشيطان على سيد الأنبياء وقال آيات الغرانيق الأولى، والتي سليمان رشدي صاغ مجموع روايات موجودة في كتب أهل السنة في الصحاح باسم الآيات الشيطانية بل أن ما موجود في الصحاح أعظم مما كتبه سليمان رشدي مع الاسف ومن ثم لم تصدر من قبلهم فتوى ضد سليمان رشدي، لأنه موجود في مصادرهم أعظم من هذا فهم يقولون أن هناك آيات شيطانية تسلط بها إبليس على رسول الله وهو باطل فقال «أن الغرانيق الأولى شفاعتهم لترتجي» .... فقالت قريش صالحنا محمد، والآن المفسرين المتأخرين منهم يستنكفون أن يكتبوا هذه الروايات وقالوا هذا أمر لا يصدق ولا نعبا بهذه الروايات.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

وسورة آية الحج فيها ملحمة معرفية في معرفة النبوة وتسلط الشيطان على المعصوم فهناك في كلام أهل البيت ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ وهنا يقول أهل البيت أمنية النبي والرسول ليس في أفق ذهنه وقلبه وروحة وإنما هي خارجه عن ذاته فأمنيته هي نفس هداية المجتمع الخارجي فأمنيته هداية الناس واهتداء الناس واستقامتهم واستقامة من أرسل إليهم، فقوله ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ اي فتن الشيطان القوم الذي بعث إليهم وكان يتمنى هدايتهم، فهناك رد على دعواهم من جهتين الأول هو من قبل ليس الذي هم قالوه ومن جهة ثانية معنى الأمنية، واللطيف انه في رواية أهل البيت بيان ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ يعني نفس في قومه ،لان أمنيته استقامة قومه وألقى في طريق استقامة قومه فتنة يضل ويفتن به قوم وأمة ذلك النبي ﷺ، إذا الفتنة خارجية عن ذاته وعقله وروحه وقلبه.

وهذا التقريب ليس مجازي وهو مثل إنسان يقول أن مقصودك وغايتك من هذا الفعل البناء عشرة طابق أو البناء خمس طابق فالمقصود الغاية ليست في أفق الذهن وإنما لحاظ الخارج فالغاية والهدف والأمنية يطلق على معنيين أي العينية الخارجية أو الوجود التقرري الذهني، وهم قد ظنوا التقرر الذهني وهذا استعمال شايع للأمنية وللغاية والمقصود والقصد، مثل قولك قصدك عشرة طابق أو عشرين طابق.

اتفاقا هذا قرينة على الخارج لان النسخ هنا تكويني بمعنى يغلب أو يغالب الله الهدى على الضلال أو على الظلمة، وكما يقول الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون والفقهاء أن الأمنية والقصد تارة تطلق على الوجود الخارجي للغاية وإلا الوجود الذهني للغاية ليس غاية وإنما علة فاعلية، وإنما هي غاية بلحاظ الوجود المعلول الخارجي، وهذا تعبير ذكروه في الفلسفة والفقه والمنطق والأصول أن استعمال الغاية أو القصد أو الهدف أو الأمنية أو المقصود تطلق على معنيين وعلى مقامين وهنا المراد الوجود الخارجي.

فهنا الذي فسروه من تسلط إبليس على قلب النبي تنفيه آيات عديدة ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)﴾ فما يمكنهم الدخول إلى هذه القناة النبوية، وهناك آيات أخرى تدل أن الشيطان لا يمكنه أن يدخل القناة الوحيانية ففي آية أخرى أنهم محجوبون عن السمع أصلا، بل حتى في جملة من الآيات فسرت ظهورها الروايات ويمكن ببركة تلك الروايات تحصل القدرة على بيان ظهورها في ذلك وتحتاج إلى تدبر أكثر، فتكلم الله مع موسى لم تكن الأشياء التي حواليه تسمع بل ولا كان الملائكة الكروبيين بعضهم يسمع، وفي دعاء السمات يوجد تعبير من هذا القبيل فان بعض الكلام الإلهي حتى الكروبيين لا يسمعه، إذا هذه القناة الوحيانية فيها آيات عديدة فضلا على الروايات وهذا هو فرق المعصوم عن غيره، وهو أن غير المعصوم انه يمكن

أن يدخل في قناة تلقيه القلبية ويتسلط عليه الشيطان، فعندنا بعض أصحاب الأئمة من أهل الإسرار وليسوا تلامذة عاديين بل وصلوا إلى المقامات ولكن للأسف لم يستقم بعضهم على الطريقة كما يذكرهم الكشي فتسلط عليهم الشيطان كابن أبي زينب وأمثلة كثيرة وحالهم كحال بلعم بن باعوراء الذي كان من أصحاب الإسرار الذي لم يستقم فانزلق وهذه عبرة ذكرها القران لكل متقي وأصحاب اليقين وهو الاستعصام بالله وإلا في نهاية المقام قد ينزلق.

فبالنسبة إلى غير المعصوم سبب عدم الحجية ما يتلقاه من مكاشفات ورؤى أن قناته غير معصومة عن تسرب إبليس والشيطان، وهذا البث الأثيري هو بث قد يتشوش ويدخل معه بث معاكس ومضاد كبث شيطاني عفريتي ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1] فأولئك عندهم أثيريات ولطافة عجيبة غريبة، مع ان أولئك يحاولون أن يسمعون وينصتون فعندهم أذان فيركزون بعض الأحيان ويسمعون ولكن في الوحي النبوي لا يستطيعون أن يدخلون في خط قناة الوحي ليس فقط هم بل بعض أقسام الوحي جبرائيل لا يطلع عليها كما في قوله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا

---

(١) سورة الصافات: الآية ٧ ـ ١٠.

طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾﴾[1] فهذه الرؤية ليس فقط إبليس والأبالسة لم يعلموا بها بل حتى جبرائيل ما فطن بها «نزل إلى النبي فراه مغموما فقال يا رسول الله مما غمك قال لرؤيا رأيتها فصعد جبرائيل فنزل بالآية» فلم يكن يدري بالرؤيا وهذه الرؤيا نوع وحي، وبعض أقسام الوحي كما في الروايات ليس بينه وبين الله واسطة أو ملك وذلك الوحي قد يكون بشكل ذبذبات - وهذا مجرد تقريب - فتكون قدرة التقاطه لها اكبر من قدرة التقاط جبرائيل، فلذلك حتى الاطلاع على الوحي ليس من شان كل الملائكة ليكونوا أمناء الوحي الإلهي ولا كل المقربين إنما جبرائيل وميكائيل واسرافيل و وعزرائيل لا يدخل على الخط كما في الروايات، أما خازن الجنان أو النيران أو ملك السماء الدنيا أو السماء الثانية فأولئك لا يسمعون فضلا عن الشياطين والأبالسة نعم هناك قنات من بحث القضاء والقدر التحتاني فيسمعون إليه فيقذفون من كل جانب أما الوحي فهو شيء آخر.

إذا حسب الآيات الكريمة فان الوحي أقسام ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[2] مما يعلم انه ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ معنى بدون حجاب، يعني ليس الآخرون يسمعونه، والوحي بالمعنى الأعم ففي حالات يغشى على النبيﷺ كما في بعض التعابير وذلك عندما يتجلى الله

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

له، وكما في الرواية ورد عنهم عليهم السلام:

«إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»[(١)].

ويستمر الباحثون الفيزيائيون والروحيون الجدد والباحثون القدامى وحتى الفلاسفة، والمقصود من المذاهب الإسلامية الآخرى ولا أقول كلهم كل اولئك الاصناف قالوا يتسلط الشيطان على قلب النبي صلى الله عليه وآله أو روحه استنادا لآية الحج وهذا مما لا تقره مدرسة أهل البيت كما تنفيه الآيات والروايات، لذلك في الروايات في قضية النبي أيوب نلاحظ الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«إنّ الله عزّ وجلّ يبتلي المؤمن بكلّ بليّة، ويميته بكلّ ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أمَا ترى أيوب كيف سلّط الله إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله، وعلى كل شيء منه، ولم يُسلّط على عقله، ترك له ليوحّد الله به»[(٢)].

وحصر التعبير بعقله وقلبه تخيله قد يسلط أو قد يتدخل أو بدنه أو الحس المشترك، فالسحر يتصرف في الحس المشترك وهو دون التخيل، والحس المشترك هو مجمع الحواس الخمسة بحيث أنت ربما يتصرف الشيطان أو الساحر فترى هذا الجدار فيه باب فتريد تدخل فلا ترى الباب لان يتصرف في الحس المشترك، فبالتالي الحس المشترك أو لتخيل لم ينفه

---

(١) الحكومة الإسلامية للسيد الخميني.

(٢) الكافي ٢/ ٢٥٦.

القران الكريم والروايات ولكن في قلب النبي صلى الله عليه وآله وعقله فلا، حينئذ مهبط الوحي قلب النبي صلى الله عليه وآله وعقله لا يتنزل به الشيطان وما ينبغي لهم ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[1].

## الجانب الخامس: سيطرة المعصوم على النفس الجزئية مع وجود حاجات البدن:

القلب والعقل أيضا أرواح وأنوار كلية عظيمة، ويبقى تخيل النفس الجزئية في المعصوم أو الحس المشترك فهذا لا يعني انه غير معصوم وإنما ليس بمنأى عن حرب الشيطان وإلا المعصوم في فعل بدنه وخياله وحسه المشترك معصوم ولكن ليس بمعزل عن حراسة حرب الشيطان، فالمعصوم قد يقتل ويحز رأسه ولكن لا ينافي العصمة، وأمير المؤمنين عندما بصق عمرو بن عبد ود في وجهه فالنفس الجزئية تغضب ولكنه مسك نفسه ولم يقتله لغضبه، وبعض أهل الفضيلة والخطباء يقول لا اصدق بهذه الرواية، بينما ليس فيها خلاف العصمة وإنما تدل على حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّما هي نفسي أروّضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر وتثبت على جوانب المزلق»[2].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) نهج البلاغة، ج٣، ص٧٠.

فالنفس الجزئية للمعصوم تثار وتعطش وتجوع وهي تدرك العطش وقول النبيﷺ ما أوذي نبي كما أوذيت فهذه مرارة تذوقها النفس الجزئية للمعصوم وإلا العقل او الروح احدهما لا يكل ولا يشرب ولا يمرض ولا يجوع ولا يعطش ولا يستمر مرارة ولا يستعذب حلاوة، فمكابدة بدن المعصوم أو نفسه الجزئية أو غرائزه الجزئية وهذا معنى الامتحان لذلك هو يثار وفي زيارة لأمير المؤمنين انه بعدما غصب حقه في السقيفة فكان هائج الغضب عظيم الحلم والصبر، فلابد أن يغضب لاستنكار المنكر ولكنه عظيم الصبر فلا يخرجه عن الحلم والصبر، وبالتالي هذا نوع من التدبير والحكمة فكلا الصفات موجودة فيه، وهنا مكابدة المعصوم في النفس الجزئية في الحس المشترك وفي البدن لا تعني عدم العصمة وإنما تعني مكابدة وتعني امتحان ومرارة ولذلك يجرح المعصوم فكما يجرح بدنه تجرح عواطفه «صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا» أي إيلام المعصوم فمصائب المعصومين ليس في ابدأنهم وإنما في نفوسهم، كما في قول (جفتنا الأمة وأغلظت) وهذا يعبر عن مشاعر المعصوم، أو بيان الغربة لسيد الشهداء فهذه مرارة يحسها المعصوم أو وصف غريب الغرباء او وصف غريب طوس وتعبير الإمام الرضا لدعبل عندما اضاف بيتا لقصيدته التائية المشهورة:

وأرض بطوس يا لها من مصيبةٍ ألحّت على الأحشاء بالزفرات

وفيها تعبير أن هذه مرارة الغربة للإمام الرضا موجودة إلى يوم المعاد،

والله العالم ما معنى هذا في عالم البرزخ، فهل المعصوم يبقى يستمر مرارة.

إذا في نفس المعصوم جوع يؤلمه والعطش يؤلمه وحشد العدو يؤذيه ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[1] فالقرح إيذاء، وتحليل معنى الجوع نوع من الوخز الروحي النفسي وكلامنا ليس في المعدة بل كلامنا فيما هو أعمق فالجوع كما تصفه البحوث وخز روحي ومرارة روحية، ولذلك هو إدراك روحي مرتبط بالبدن، ولذلك تعبير ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[2] فهو الإطعام من الله وليس من المادة، لان إدراك الشبع بنزولات روحية وحتى الحيوان كذلك من جهة انه ثبت له معاد وبرزخ و من جهة أن له روح مدركة والنبات له درجة إدراك انزل.

إذا النفس الجزئية للمعصوم تؤلم وتؤذى وتكابد وتوخز وتصرع الشيطان وتكابده كما تكابد الأعداء، وفي النبي ﷺ يوسف كان كابح للغريزة ولكن هذا الكبح للغريزة يؤذي لا انه هاجت فيه الغريزة وانه استرسل معها فهذه تنافي العصمة أما أن المعصوم في الحلال بمعنى طيبات وتلذذ الغرائز في الحلال موجود فيهم وهذا معنى وجود البشرية فيهم،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٧٩ ـ ٨١.

وان كانت هذه في الروايات للإمام الصادق في كفاية الأثر فان الخزاز فيما جاء عن الإمام الصادق يشرح الإمام أن تلذذ المعصوم بالغرائز كالنور لا كالبقية، مثل تلذذ أهل الجنة في النور لا في الظلمة فلا تلذذ ظلماني وإنما تلذذ نوري فالمعصوم تلذذه كأنما في جنة.

وبغض النظر فان هذا ليس فيه شوب ظلمة أو شوب غريزة شيطانية، إذا نفس المعصوم النازلة تكابد، وحينئذ تخييل الشيطان أو يخيل إليه أو مسني الشيطان بنصب أو مرض بدن النبي صلى الله عليه وآله بالسحر الذي هو من عالم الأثيريات أو في عالم التأثير الروحي في النفس النازلة أو غيرها من الموارد، والتأثير ليس بمعنى السيطرة على المعصوم وإنما بمعنى المكابدة مثل أن السيف يجرح بدن المعصوم أو مثل الجوع فان هناك وخز روحي، أما انه يثار ويخرج عن السيطرة والقيادة فلا، فاصل التأذي موجود (ما أوذي نبي كما أوذيت) واشد الناس بلاء الأنبياء، فعلينا أن ندقق في التعبير إذا كان التأثير بمعنى الهيجان اللامسيطر عليه فلا يمكن وجود ذلك ، وحتى وصفناه بأنه اختياري أو غير اختياري وإنما القصة في السيطرة عليه أو عدم السيطرة.

والسؤال هنا هل أن الغير اختياري يسمى غير مسيطر عليه؟، وهل الحدوث غير مسيطر عليها فهل الحجم غير اختياري ؟، كلا، أو السيطرة عليه غير اختياري ؟،كلا ،الاشتعال غير اختياري ؟، كلا بل يسيطر عليه، والحدوث قد يبهم بمعنى أن حجمه لا يسيطر عليه ولذلك من اللازم أن

ندقق، في الأصول والحدود وتضييع الحدود خطر، مثلا عندنا رواية أن الرسول أتاه قوم وفيهم شاب صبي أمرد فقال غيبوه عني، فهذا ليس معناه النبي صلى الله عليه وآله غير معصوم وليس معنى العصمة أن النبي صلى الله عليه وآله يوقع نفسه فيها، وإنما يوجد معنى آخر لها، والتعبير في الآية ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾[1] فهو ليس بمقبل على المعصية فصرفت عنه ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي نصرف السوء عنه وفرق بين أن يقول نصرفه عن السوء والفرق أن المصروف هو مقبل والمصروف عنه غير مقبل فهنا لم يقل نصرفه بل نصرف السوء وهي زليخة وفعلها فهو غير مقبل نحو السوء، ولكن المعصوم في حين انه غير مقبل يطلب من الله أن يصرف عنه، ويقال الهم من يوسف كما عن أهل البيت همّ بالقتل وهو لم يهم بالقتل لعصمته فـ (لو) تفيد انه لم يقع الهم بالقتل وهو بخلاف أن قال أن أو إذا وكما في قوله ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ فهل فيهما آلة إلا الله.

**الجانب السادس: في مراتب طبقات المعصوم:**

روي عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٣.

عز وجل: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الاشياء، وأيدهم بروح الايمان فبه خافوا الله عزوجل وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عزوجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الايمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون»[1].

اتفاقا هناك عن رواية عن موسى بن جعفر في أصول الكافي لبيان الأرواح المودعة في المعصوم من روح القدس وروح الشهوة وروح الغضب وروح الإيمان وروح القوة والقدرة ،وقال هذه الأرواح عدا روح القدس يصيبها السهو والكسل والكلل والملل والفتور والنوم إلا روح القدس، وان كان في بيانات أخرى حول شؤون المعصوم وردت لدينا في الروايات أن المعصوم روح القدس مع انه هنا ذكر كأعظم الأرواح ولكن في روايات أخرى أن روح القدس شعبة من أرواح أعلى موجودة في المعصومين، مثلا النور والمراتب الأخرى، كما تفسير العسكري روح

---

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٧٢.

القدس في جنات الصاقورة نال من حدائقنا الباكورة فقد روي عن ابي محمد العسكري عليه السلام:

«وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة»[1].

والرواية من درر روايات اهل البيت واليك متنها كاملا قال عليه السلام:

«قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة، والولاية، ونوّرنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين، وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم فالكريم لبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا ردءً وصوناً، وعلى الظلمة إلباً.. وسينفجر لهم ينابيع الحيوان، بعد لظى النيران، لتمام الرواية، والغواشي من السنين..»[2].

ولمزيد من نفع القارئ اللبيب نوضح المقطع المستشهد به من هذا الحديث «وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة» فان مما يمكننا ادراكه من معنها:

الكليم هو كليم الله موسى عليه السلام نال هذا المقام والاصطفاء من قبل

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٣٨.

الله تعالى لما عهدنا منه الوفاء اي ما صار كليما إلا بولايته لأهل البيت عليهم السلام والإخلاص بعهده ووفائه لنا.

وروح القدس:

وهي الروح الموكلة من قبل الله تعالى بتعليم الانبياء وجملة من الاوصياء وبعض الاولياء وتسدديهم، وهي من اعلى الأرواح بين الارواح التي هي من الغيبيات.

فأن تلك الروح العالية، مرتبتها في السماء الرابعة او الثالثة (على اختلاف التفاسير )، وهذه السماء تحتوي على جنة اسمها الصاقورة.

والتعبير الرائع هنا انها ليست نالت وأكلت بل فقط ذاقت فلا زالت في مقام الذوق فقط فعليه ان هذا الروح المقدس المسدد للأنبياء بالنسبة لعلم ومقام أهل البيت لم يتعدى مقام الذائق فقط وكمية الذوق كانت بمقدار الباكورة الذي يعني البرعم، أول ما تزهر الشجرة او يعني الثمر في بداية نضوجه .

أي شعبة من الشعب فيصير التعبير روح القدس فما فوقه من الأرواح مودعة في المعصومين، وهذا يبين قدرات الأرواح أو القوى الموجودة في المعصوم تختلف عن بعضها البعض وهذه القاعدة البيانية قاعدة عظيمة جدا لفهم معضلات أحوال وشؤون المعصومين.

أما قول الإمام «أما أني مللتكم ومللتموني» المقصود منها هو من

جهة الأرواح النازلة لا من جهة نوره وروح القدس وما اعلى، يعني مثلاً النفس تعطش وهي النفس النازلة وتمسى روح القوة التي هي روح جزئية لا الروح الكلية، فالروح الجزئية يصيبها العطش والجزع والكلل والملل والفتور، ومر بنا أن العقل لا يشرب ولا يأكل ولا يخاف لأنه في مقام منيع لا يصيبه شيء وفق نظامه الخاص به، والذي تجزع أو تقدم وترهب هي النفس الجزئية والبدن و يعتريها هذه الأمور أما العقل فهو ملك متربع في عرينه ولا يصيبه هذه الأمور.

إذا معرفة أن المعصوم هو ذو شؤون وذو طبقات من الأرواح جزئية ومتوسطة وكلية وفوق الكلية هو أمر بالغ الأهمية، وشؤون هذه المراتب في النفس الإنسانية حتى في النفس غير المعصومة مختلفة الشأن ولا يمكن توحيدها على نسق واحد، ولذلك كثير من الأسئلة التي ترد كيف مع علم علي بن أبي طالب انه لا يقتل إذا أين الشجاعة وهذا العلم علم من؟، فان علم النور شيء وعلم النفس شيء آخر، وحتى لو العقل يعلم فانه لا يهدئ النفس الجزئية التي تهيج من أي إثارة، وكما يقول الإمام الصادق في قصة النبي موسى عليه السلام فقد اخبره الله أن قومه ضلوا فاعلمه عبر قلبه وروحه وعقله ولكن من نفسه الجزئية عندما شاهد قومه غضب لله فيشير الإمام ليس العيان كالبيان فعين الشيء غير بيانه، الآن لو نظريا يصفون للإنسان امرأة جميلة فان يتخيلها فكلها تصورات عقلية أما يفتتن بالخارج بامرأة شيء آخر أو توصف لإنسان معركة محتدمة وانه سيبقى منه وكذا ولكن لما

يخوض عباب المعركة أمر آخر وظهور عبر هياج النفس، وذلك لاختلاف شؤون مراتب نفس الإنسان، والذي يؤثر وتتفاعل معه هو الجزئيات والمحسوسات.

إذا بطبعه يتأثر بشيء آخر ولكن بالترويض شيء آخر، فالمعصوم يروض نفسه لمراتب أعلى فأعلى وهذا معنى العصمة فلا جبر ولا تفويض إنما أمر بين أمرين بمعنى ان هناك امتحان، ولذلك الشجاعة ليست وصف العقل إنما وصف النفس النازلة ومن هنا يلتفت إلى أن أوصاف الفضائل مختلفة بحسب الموصوف في الإنسان، والرذائل في الإنسان على العكس هي بحسب مراتب روحه وليس وصف واحد ولا موصوف واحد.

إذا تفكيك هذه الشؤون وهذه الراتب وهذه الجهات وهذه الأوصاف أمر بالغ الأهمية فان الكثير لديهم الصعوبة في كيفية الجمع بين هذه الصفات، فان كان عقل فكيف يجوع ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾[1] فيتصورن أنهم يلاحظون الجهة النورية فيصعب عليهم الجمع بين الجنبتين وقوله ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أو قولهم ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ فمن جهة البشرية ليس لديه ارتباط فإذا كان فيه جهة بشرية فكيف يكون ارتباطه مع الملكوت ؟، طبعا جهة البشرية جهة طينية وما ربطها بالنور والملكوت الصاعد والجمع بين الجنبتين دوما يشكل على الكثير من الناس.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧.

وهذه جنبة من الإشكالات ومنها ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾[(١)] ولكن الجنبات الكثيرة المتكررة في إشكالية أقوام الأنبياء في رفض دعوات الأنبياء دائما هو ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ فهذه الجنبة غير مرتبطة بالملكوت أو ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ «لولا كان معه ملك» فالملك له قدرة الارتباط بالملكوت أما هذا البدن فهو طيني فكيف يرتبط بالملكوت، وفي قوله ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)﴾[(٢)] فهو نفس الإشكال موجود فكيف البشر يكون نبيا ومرتبط بالملكوت فهذه جنبة من إشكالات الأقوام الجاحدة أنها تنظر إلى الجنبة البشرية وكيف تجتمع مع الملكوت ويقول الباري ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[(٣)] هنا يقول المجلسي هذا يدل أن النبي صلى الله عليه وآله حقيقته ملكية بل ارفع ولبس بلبوس بشرية، وكما في فاطمة حوراء إنسية فيمكن أن تجتمع

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣١.

(٢) سورة ص: الآية ١ ـ ٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩.

الجنبتين ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[1] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ فلابد من هذا التماس والارتباط ان يتم وإلا لو كان من غير جنسكم كيف يرتبط بكم، وسيما اعتباره القدوة والنموذج الرائد مع انه منكم يمكنه أن يترقى إلى عوالم فوقية كي يفتح لكم الطريق أن تترقوا وتخرجوا من حبس مكانكم هذا إلى درجات علوية وتتكاملوا ويحدث فيكم النمو والقدرة، ولذا ترى بعضهم يغرق في الجنبة البشرية فكأنه لا يجعل في المعصوم جنبة ملكوتيه، ومعنى انه يغرق في الجنبة البشرية أي ينفي الجنبة الملكوتية وترتيب آثار تفرد وتوحد الجنبة البشرية فهذا إغراق في الجنبة البشرة وبعضهم يغرق في الجنبة الملكوتية بمعنى كأنما يسلب الجنبة البشرية في المعصوم بل كلا الجنبتين موجود وهذا تعبير مختصر وإلا فله جنبات وطبقات ومراتب وكل مرتبة لها وصف ولها شؤون ولها آثار، ولا نستغرب بل حتى جملة من أهل اليقين عندما يشاهد المعصوم أيضا يشكل عليهم حالاته لأنه أيضا يركز خاطره على الجنبة الملكوتية ويغفل الجنبة البشرية النازلة.

إذا التفتنا إلى أن هناك جنبات وهذه الجنبات والطبقات والمراتب مختلفة الأوصاف والأحكام والآثار، فقلب المعصوم وروحه لا يسيطر عليه إبليس ولا جنوده من الجن. وذكرنا أن القوى النازلة من المعصوم

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

تكابد وتكابد الشيطان مثل بدنه الشريف يكابد الأعداء فيضرب ويقذف بحجر ويتألم ويصيبه كسر وليس معنى ذلك إذا اجرح المعصوم أو طعن فانه خلاف العصمة، فهذا ليس خلاف العصمة وكذا النفس الجزئية تكابد، فالمكابدة والمصارعة وحصول الألم والجرح وحصول الطعن لا يخرج المعصوم عن عصمته، فالمعصوم يريد أن ينجي جسده في المبارزة لكنه إذا لم ينجي جسده فهل هذا خلاف العصمة، فالمعصوم يبارز ويريد أن ينجي بدنه ولكنه يصاب بجروح وتجري الدماء وهذا ليس خلاف العصمة أو خلاف ما يريده المعصوم.

إذا هناك قاعدة وهو أن مكابدة المعصوم ونفسه الجزئية والقوى النازلة غير القلب والنور وتلقي ضربات وربما طعنات من دون أن يخرج المعصوم عن الاستقامة والعصمة فهذا لا ينافي العصمة، فأيوب حصل في جسمه قيح وقرح بحيث أن قومه تركوه ولم تبقى له وفية من الأرحام إلا زوجته فهذه مكابدة وليس مطاوعة.

## الجانب السابع: القواعد في فهم الحالات

### المتشابهات للمعصوم:

الآن نذكر ثلاثة قواعد وكيف نمزج بينها في حلحلة كثير من حالات المتشابهات للمعصوم.

**القاعدة الأولى:**

أن عقل المعصوم وقلبه في منأى ضماني عن وصول الشيطان وحتى بنحو المصارعة ولا المكابدة، وهذا احيانا حتى في الإنسان غير المعصوم فعقل الإنسان معصوم بمعزل عن سيطرة الشيطان فهذا الإنسان الذي له عقل أما الذي ليس له عقل فهذا بحث آخر، فإذا كان للإنسان عقل أي إذا ارتقى إلى مرحلة العقل وإذا تناما وتصاعد إلى مرحلة العقل والروح فالشياطين لا تستطيع أن تسطير عليه أما إذا هبط فله شان آخر، ولذلك جنة المؤمنين البشر فوق جنة المؤمنين الجن وفي الروايات جنة الإنس فوقهن.

فالمقصود أن قلب المعصوم وعقله في منأى عن الشيطان بل وحتى البشر فيما لو بقي الإنسان في مرتبة العقل والقلب والروح وما فوقها، أما إذا نزل تحتوشه الشياطين والمعصوم دائما عنده هذه الدرجة من عدم النزول فهو مأمون ومعصوم.

وهناك فارق آخر وهو أن المعصوم عقله منفتح على اللامحدود ومطلع على قنوات غيبية بخلاف الإنسان غير المعصوم فهو محدود وضيق فذاك محيطات وهذا قطرات، ولكن عموما هذا برهان عقلي وليس برهان نقلي باعتبار أن الجن والشياطين قدرة خيال والعقل الذي لديهم هو عقل محدود ومقيد ومكبل حتى المؤمن من الجن والعقل المرسل هو عند البشر، إذا جنبة القلب والعقل عند المعصوم في مأمن وضمانة من سيطرة الشيطان، غاية الأمر الصراع في غير المعصوم لأنه محدود ولأنه غير ثابت فيكون غير

مأمون من سيطرة الشيطان.

هذه القاعدة الأولى وهو أن الدرجات النازلة من المعصوم سواء قدرة التخيل أو الواهمة أو الحس المشترك أو البدن تكابد والمكابدة غير سيطرة الشيطان، والرسول عندما يسب وعندما يطعن وعندما يهجى بالشعر يتأذى ولكن لا يخرجه ذلك إلى المعصية.

أما العقل في نفسه لا يخاف ولا يعطش ولا يتألم ولا يبرد ولا يحتر. وتكامل الأكل والشرب ليس في العقل وتكامل اللذة الجنسية ليس في العقل، أصلا العقل لا يجامع ولا يباضع إنما هي كمال البدن، بينما كمال العقل هو العلم فأكله العلم وشربه العلم ونكاحه المعلومات ان صح التعبير لأنها تكامله.

**القاعدة الثانية:**

البدن تكابد وتصارع وكونها منصاعة لإرادة العصمة لا يعني عدم المكابدة، مثلا فرس سيد الشهداء كانت منصاعة لسيد الشهداء انصياع عجيب غريب ولكن ادمي وجرح فالبدن مطاوع للإنسان ولكن ممكن ان يقطع الرأس ويفخض الجبين والمخ وهناك مشهد نفسي نفيس «يا نفس من بعد الحسين هوني» فلاحظ التعبير فيه مشهد نفسي لطيف، وهناك كتاب ألفه احد علماء البحرين[١].

---

(١) المزار للشيخ ميرزا جعفر المشهدي.

شرح المشهد النفسي لكربلاء وليس المشهد البدني وكل لقطة من لقطات كربلاء، فقول العباس عليه السلام «يا نفس من بعد الحسين هوني» أو «يا نفس لا تخش من الكفار وابشري برحمة الجبار» فهناك شيء فوقي وترويض للبدن فلا يوجد تهيج، وإلا هناك استفزاز من الطرف المقابل والعطش يوجب اندفاع غير متروي ولكن «يا نفس من بعد الحسين هوني» فهناك ترويض وفي رواية يقال أن إبليس أتى في صورة أفعى وعض إبهام ورجل السجاد في الصلاة ولكن الإمام لم يشغله ذلك ومنه نودي أنت حقا زين العابدين أو سيد الساجدين، وقد يقال أنه سبب لقب الإمام علي بن الحسين ع بزين العابدين:

«أنه كان ليلة في محرابه قائما في تهجده، فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته، فلم يلتفت إليه. فجاء إلى إبهام رجله فالتقمها، فلم يلتفت إليه، فألمه فلم يقطع صلاته، فلما فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنه شيطان فسبه ولطمه وقال له: «اخسأ يا ملعون».

فذهب وقام ع إلى إتمام ورده، فسُمع صوت لا يرى قائله وهو يقول: أنت زين العابدين حقا ثلاثا، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقبا له»[١].

والصحيح ان اصل لقب زين العابدين هو من اطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله روى الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

---

(١) كشف الغمة.

«كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين في حجره، وهو يداعبه، فقال صلى الله عليه وآله يا جابر يولد له مولود اسمه (علي) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام»(١).

المهم ما يحصل لبدن المعصوم لا يعني الضربات لم تدمى البدن لأنه بعد ذلك ضمادات وتداوي، وهذا لا يعني عدم السيطرة بل هناك مكابدة، وهناك فروق بين المكابدة في نفوس الناس، فهنا المناوئين للأنبياء يقولون هذا ليس بعصمة فالشيطان قادر على السيطرة على قلبه وروحه وعقله وهذا خطا، والقران يقول عليكم أن تميزوا فانا جعلته نبيا يوحى ولكن لم اجعله ملك فالملك لا تؤثر فيه الحجر وغيره، وهذه العظمة ان فيه جنبات وطبقات وتلك الطبقات تستهدف وترمى وتكابد وتشتعل فيها النيران ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ فلم يقل تصرفني فإذا قال تصرفني فهذا يدلل على عدم العصمة، أما تصرف عني الكيد فالكيد هو مقبل وإنا لست مقبلا نحوه ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ فربما يصير غلبة للطرف المقابل، فاشتعال ومكابدة موجودة وكذلك العصمة موجودة وهي الغالبة، ويقول ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ بمعنى ليصرف السوء عنه، كما في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وهناك فرق في العبارة عن ليذهبكم عن الرجس فمعنا أن فيكم

(١) وسيلة المآل في مناقب الآل ص ٧ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

اقتضاء لتكونوا مقبلين على الرجس والمعنى لا يجعل الرجس يقبل إليكم وقد ورد في الزيارة «لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك مدلهمات ثيابها» فهي مقبلة لا انتم مقبلين عليها، أو تعبير الدعاء «صلّ اللّهمّ على الدليل إليك في الليل الأليل، والماسك من أسبابك بحبل الشرف الأطول، والناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعبل، والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأول» زحلفات عجيبة كانت في قريش فكل أوكار الفساد والفحشاء كانت مجتمعة في زمن الجاهلية، وهذه احد معاجز الأنبياء وهي اعتصامه في الاوضاع والمؤثرات ، وفي احتجاج النبي ﷺ «أو تظنون بشر من نفسه لا زلل ولا خطل...» ففي أربعين سنة رغم شدة البيئات الفاسدة فيكم أيستعصم من نفسه، ومعنى هذا أيضا حتى في العصمة النازلة مدد من الله عز وجل ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٣﴾[1] فحتى هذه النفوس النازلة التي هي طاهرة ومعصومة لو لم تمدد بعصمة من الله تعالى لأقبلت في المدلهمات أو الرجس، فهي طهارة ذاتية وعصمة في نفسها ولكن لابد أن تمدد بعصمة سانده من الباري تكون لدنية وتسديديه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ فنفس الرجس ليس موجود في طينتكم ولكن لابد من مدد بعصمة زائدة لكي لا تتلوث هذه الطهارة الذاتية بنجاسة عرضية وهي قد أكملت فيهم ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وإنما أريد أن

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٣.

أقول العصمة أمر بين أمرين فليست كسبية ولا جبرية بل فيها كلا الجنبتين.

اذا القاعدة الاولى أن طبقات المعصوم النازلة منها تكابد، والقاعدة الثانية أن طبقات روح المعصوم ذات أحكام مختلفة، فعندما يقال نوره أول ما خلق فليس معناه أن أول ما خلق الله بدنه الشريف، وخلق السموات والأرض من نوره وليس من بدنه خلق السموات والأرض بل بدنه مخلوق من السموات والأرض، وعندما يقال «كنت نورا قبل كذا» فهنا ليس بدن النبيﷺ، وبالتالي ابدأنهم دون أنوارهم وأرواحهم، وهذا فيه خلط كثير سواء قلنا من أقوام الأنبياء ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ او غيرهم، وهذه الطبقات درجات والتي منها شؤون البدن واختلاف شؤون الفعل لا يدل على عدم العصمة، فالبعض إذا شاهد فعل للطبقات النازلة يفهم منها عدم العصمة، فبعضهم يفهم من العصمة أنه لابد كل الأفعال عقلية بحتة، فإذ تصدر منه أفعال غير عقلية فإذاً هذه الأفعال غير معصومة، ويأتون يسألون زوجات النبيﷺ هل الرسول يجامع والجواب نعم كبقية الرجال، فيقولون كيف هو نبي ويجامع أو يأكل أو ينام، فالنبيﷺ عندهم عقل مجرد شغال على مدار الساعة وهو فهم وتصور غير صحيح .

**القاعدة الثالثة:**

الجنبة البشرية أو جنبة قوة الخيال أو الواهمة أو الحس المشترك في النبيﷺ والمعصومين هي فوق صفوة البشر «السلام عليكم صفوة

المرسلين» فهم أعلى درجات البشرية ،صحيح نقول أن فيهم جنبة بشرية ونسلم بها ولكن في حين نسلم بالقاعدة الثانية لابد أن نلتفت إلى القاعدة الثالثة، ويعني اكبر قدرة في طبيعة البدن موجودة لديهم حتى الجن لا يقدر عليه، ومن باب المثال قدرة العضلات في الفيل أكثر من الإنسان وقدرة الشم في الكلب أقوى من الإنسان وقدرة الرادار الخاص في الهدهد اكبر من بقية الحيوانات فيعرف به أين يوجد الماء فلذلك كان النبي سليمان يحتاج إلى الهدهد، وقدرة النمل في تشخيص بعض القضايا تختلف عن غيره فكل حيوان عنده قدرة من قدرات النفس الجزئية أعظم من بقية الحيوانات أو الإنسان وبعض الحيوانات عندها تنبؤ عن مستقبل قضايا كثيرة، ولذلك بعض الأقوام السابقة كانت تستعمل بعض الحيوانات على أساس تتفرس ما سيحدث في المستقبل مثلا في الزراعة أو التجارة أو الصحة فكل حيوان له توقعات مستقبلية مادية تختلف، وهي ليس تنبؤات بالنسبة لديه وإنما يعرف معادلات وفق نظام خلقته ويلتفت إليها فهي بالنسبة إليه ليست غيب لانها وفق طبيعته الخلقية ، ولذلك يقولون الحيوانات في الحس مختلفة القدرات والحس أنواع عجيبة غريبة وحال عجيب غريب، وبعض الحيوانات لها قدرة سماع ذبذبات بينما حيوانات ليس لها هذه القدرة. وذبذبات أخرى لحيوانات تسمع ذبذبات بمعنى الحس والسمع أنواع وكذلك الذوق أنواع والمس أنواع، ولذلك يعبرون بالسادسة بمعنى ليست سادسة وإنما ليس من الخمس وإلا الحواس إلى ما

شاء الله، وهذه الحواس التي هي إلى ما شاء الله الموجودة في الحيوانات وفي الانسان بل و في المعصوم موجود صفوتها وزبدتها.

**الجانب الثامن: فهم لأفعال المعصوم العادية:**

البعض يتصور أن للنبي عاديات ليس كذلك وإنما هناك آداب ونظام قانوي فحتى العاديات مبرمجة غايته ليست إلزامية أما استحبابيات أو كراهات أو مكرمات فهذا بحث آخر، والسنة فيها آداب وطريقة وما شابه ذلك فطريقة أكل الإنسان يختلف عن الحيوان فطريقة الإنسان مرتبة ومهذبة ومؤدبة، والإنسان ينكح والحيوان ينكح ولكن طريقة الإنسان تختلف فيها الصبغة الأخلاقية والإنسانية، والمعصوم في أفعاله الصبغة النورانية وهي فوق العقلية كما في حديث الصادق في كفاية الأثر ومضمونها هو أن المعصومين بل دون المعصومين من المصطفين يباشرون أفعالهم من أكل وشرب في النور، ومثلا هناك جماع حيواني كالجمل والفرس لو رايتها تتقيأ فهو اسلوب عنجهي وعنيف ووحشي، والإنسان إذا رأى أكل بعض الحيوانات النهمة يهرب منها وسببه أن هذه أفعال ببهيمة حيوانية غليظة جدا بينما الإنسان يمارسها بشفافية وإذا صار الإنسان نوراني يمارس هذه الأفعال بشفافية أكثر صفاء ولا تكدر الروح بل صفاء الروح ينعكس على تلك الافعال ، وحتى الإنسان يمارس أحيانا الأكل بشكل نهم وبعض الأحيان هو يستاء من نفسه وتارة يأكل بشكل مهذب

وخفيف وبدون اندفاع.

الآن مثل النكاح فواحد ينكح في الحيض فهذا مقزز ومنفر بغض النظر عن الحرمة فهو مقزز، والبعض بناء على حلية الوطء في الدبر يطأ في دبر زوجته وفي التعبير سفلت سفل الله بك، صحيح حلال ولكن هناك شيء نازك نظيف شفاف وهناك شيء غليظ كسيف ظلماني ومن ثم يبقى ليس كل حلال شفاف، وبعض الأحيان المكروهات اشد آثار وضعية من المحرمات ولحم الحمار حلال لكنه مكروه أو الأكل في الشارع فيه عنف حيواني، فالإنسان لا يمارس الأفعال الحيوانية بعنف حيواني وإنما يمارسها بشفافية إنسانية، فهو فعل عادي ولكن إذا أضيف إليه صبغة إنسانية يصير لها آداب.

وهناك شعارات عند بعض العرفاء مطنطنة لكن هم في التفصيل يضيعونها أما سيد الأنبياء فبحر لا ينزف، مثلا في أكل النبي ﷺ لا يأكل عدة ألوان أو يأكل بنهم فيقول أحب أن أتواضع إلى ربي، واتوه بحليب فيه عسل فقال لا اشرب بل حليب فقط فما ربطه بتواضعه لله ؟؟، لان الإنسان إذا أعطى لنفسه  فسحة من التلذذ فالأنا والذاتية تقوى أكثر ولما تقوى الأنا والذاتية في الملذات وتنغمس في الملذات أكثر تبرز الأنانية والفرعونية فتكون أكثر ميلانا للتكبر وحينها التواضع والخضوع لله يضمحل، فافرض التبهرج والتلذذ كثير ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ

ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾[1] فالترف مشكلته إذا تعود الإنسان عليه فأنانية النفس وفرعونيتها تقوى أكثر بحيث إذا أصابته شدة سيسخط على الله بناء مغالطة نفسيه هي أن السعادة والرفاه النسبية الظاهرية الحسية ملكه فلم سلبها الله منه فيسخط على الله ولا يتواضع بخلاف الاخشوشن الذي فيه تخنيع وضعضعة للنفس، ولذلك البلاء من ثماره انه ضعضعة للنفس.

أن الأفعال الاعتيادية صحيح تمارس ولكن تمارس بدرجات وكل وفق مستواه فممارسة الشخص النوراني لها بنمط وممارسة الشخص الإنساني لها بنمط وممارسة اهل اليقين لها بنمط وممارسة أهل التقوى لها بنمط لذلك الآداب تعكس في الحركات وفي التصرفات ومنها في السلام فهناك شخص عنده غلظة مثلا في السلام وهو غير ملتفت بينما في الشفاف يختلف فان له آداب لذلك يقال فيه تمدن مقابل البداوة.

السيد ابن طاووس الذي لا يأتي شعرة من المعصوم يقول ما جامعت قط إلا وبسملت وتوضأت، وان كان قراءة القران في هذا الوضع مكروه ولكن التوجه وذكر الله صحيح.

أيضا تشاهد إنسان يذهب إلى بيت الخلاء بلا أبالية، أما آخر يذكر الله ويتوجه بآداب ويتعوذ من الرجس فهو في حالة خضوع وتوجع وعبرة

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٤١ ـ ٤٦.

ويحقر نفسه ويعمل منه مجلس تربية لنفسه فهذا المكان الذي هو من أوكس الأماكن يقلبه إلى جامعة تربوية لنفسه والفرق بين الاثنين واضح جدا، فالعمل في موضع تقلبه إلى عبرة وفي موضع يقلبه الإنسان إلى بهيمة ظلمانية ومن هنا نعرف ان الأفعال على درجات.

والحديث عن الصادق في كفاية الأثر المعاصر للقمي يقول الأفعال يمارسوها المعصوم في النور لذلك عندما نقول كيف المعصوم معصوم ويمارس هذه الأفعال فتصورنا انه يمارسها بنفس البهيمة والغلظة والعنجهية التي نمارسها وهذا شبيه القاعدة الثالثة التي مر ذكرها في الجانب السابق وهو أنهم بشر لكن صفوة البشر بدنا وجوهرا.

**الجانب التاسع: العصمة الإلهية والعصمة الخلقية:**

قاعدة مهمة في العصمة نلتفت إليها فهناك عصمة إلهية أي كمالات الله المنزهة عن النقائص وهناك عصمة خلقية أو نبوية وهذه تختلف عن العصمة الإلهية، والكثير ممن يناقش في عصمة الأنبياء والمعصومين والمصطفين يشكل بإشكالات في الحقيقة مبنية على معنى العصمة الإلهية ونحن قطعا لا نعتقد في عصمة الأنبياء انها كالعصمة الإلهية فالعصمة بمعنى الكمالات اللامحدودة الذاتية ثابتة فقط لله تعالى وهذا البحث لم يطرحه المتكلمون بهذا الاصطلاح ولكن لا باس ان نصطلحه هنا، فالعصمة الإلهية هي ذاتية أزلية من الذات ولا محدودة وخاصة بالباري

تعالى فمثلا نعت الباري نفسه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)﴾[1] وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)﴾[2] وقوله تبارك وتعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩)﴾[3].

وهذه صفات افعالية مخلوقة لله فهي إلهية ولا يلحظ فيها الخلق وهناك صفات أفعال لله موجودة في القرآن، فالعصمة الإلهية بالذات من الذات وأزلية ومطلقة أما العصمة النبوية أو عصمة المعصومين ففرقها عن غير المعصومين أن العصمة النبوية أو عصمة المعصومين واحد تعريفاتها في القران الكرم ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾[4] فلماذا لا تتبعون الذي هدايته ليست من أفراد آخرين، أما ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ بغض النظر عن تفسير الآية لكن الشيء المهم هنا أن هداية ادم هل حصلت من بشر آخر أو من الله ؟ من الله ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾[5] هنا آدم عصمته ليست كعصمة

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٢.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٥١.
(٣) سورة ق: الآية ٢٩.
(٤) سورة يونس: الآية ٣٥.
(٥) سورة البقرة: الآية ٣٧.

الله بل تسترفد عصمته من عصمة الله .

ولاحظ هذه النكتة انه في كل موارد الأنبياء فقد اخفق النصارى واليهود وحتى العرفاء وكثير من المذاهب الإسلامية في عصمة الأنبياء فلم يلتفتوا أن هذا الزلل الذي ربما يؤاخذ على الأنبياء وبغض النظر عن معناه فان فيه نكتة مهمة وهو أن الهداية ليست من خارج نفس المعصوم وإنما الهداية نبعت واسترفدت من الله إلى روح ذلك المعصوم وبالتالي هو في حالة تحكم وسداد وتسديد الهي بخلاف غيره ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فالمعصوم لا يهدى من احد إلا من معصوم اكبر منه وهو امر لا مانع منه فسيد الأنبياء يهدي بقية الأنبياء ويهدي سيد الأوصياء أما القول أن معصوم يهدى من غير معصوم فهو غير ممكن، إذا بيان الباري تعالى إلى حاجة المعصومين والرسل والأنبياء إلى هداية الله كما يذكر أمير المؤمنين في الاحتجاج فهذا مقتضى عبوديتهم وفقرهم إلى الله ولان عصمتهم ليست إلهية وإنما عصمتهم بالله لا بأنفسهم ، ولكن لا يعني أن عصمتهم من غيرهم كي يرد عليهم ويقول نعم عقولنا ترد على المعصومين، فهل يمكن لعقلنا أن يناقش المعصوم ويكون بهذا يهدى المعصوم من قبلنا وبينما تعريف القران الكريم للعصمة في الأنبياء ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1] أما أن المعصوم يهدى

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

من قبل الله فهو من الأصل يهدى من قبل الله.

أن الذي ابتلي به رسول الله من التقدير الإلهي هو فعل الهي وليس من فعل البشر وليس من جهة اختيار أولئك أما من جهة اختيار أولئك فليس لها ربط برسول الله، المعصية ليست تفويض مطلق بل أمر بين أمرين، فمن جهة الشر في المعصية منسوبة إلى العاصي وجهة الخير في المعصية التي وظفها في الشر ليست ترجع إليه فأمر بين أمرين. نعم لا تنسب المعصية وشريتها لله أما هذه الإمكانيات من النعم التي حباها الله للفرد البشري ووظفها في غير طريقها فهذه النعم من الله ولم يشكر الله فيها أي لم يطعه لان من شكرها ان لا تعصي الله فيها.

حينئذ هذه النكتة لابد أن نلتفت إليها وهو انه دوما في إشكاليات في عصمة الأنبياء أو عصمة المعصومين بنائه لا يسترفد الهداية من الله والحق انه لابد أن يسترفد الهداية من الله، فتارة يهديه مباشرة من الله وتارة يجعله في مستوى ويقول له أنت وقفت أو اخطأت في النسبة إلى العصمة الإلهية ولكن ليس خطأ بالنسبة إلى الغير وليس بمعنى خطيئة وإنما بمعنى هناك أكمل منه وإلا فالمعصوم تجاوز الكمال المعهود، وإنما السعي مستمر دوما في الوفود على الله اقرأ وارقأ تقدم فتقدم، لان الله لا محدود.

ففرق بين العصمة الإلهية والعصمة النبوية أو العصمة المولويه فانه عصمة المعصومين هي عصمة بالله يعني لا جبر ولا تفويض بل أمر بين

أمرين أي مدد من الله واختيار وعمل من البشر، ولكن ليس كله من البشر بينما العصمة الإلهية ضرورة ذاتية لا محدودة لذلك ما معنى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ فالله اصدق من الأنبياء ومن الائمة فضلا عن كل الخلق ولكن ليس معنى ذلك أن الأنبياء والائمة يكذبون، وكما يقولون في المنطق القضية الشرطية اقل صدقا من القضية الذاتية فهو ليس تكذيب وإنما ارائتها للواقع محدودة بشرط أما القضية الذاتية سعتها أكثر في ارائتها للواقع فيقال لها اصدق، والقضية الأزلية صدقها اكبر من القضية الذاتية بمعنى ارائتها للواقع أزلي، وهذا معنى مراتب الصدق لا انه فيها كذب وإنما فيها قلة وسعة وكبر لبيان الحقيقة، فصدق الله شيء وهو غير صدق النبي صلى الله عليه وآله وبالتالي لا يعني أن النبي صلى الله عليه وآله يكذب وحاشاه فهو لا ينطق إلا عن صدق ولكن العمدة ان اخبارات الله أزلية إلهية.

وأيضا عصمة النبي صلى الله عليه وآله تفترق عن العدالة أو تقوى المتقين أو يقين أهل اليقين فان عصمة المعصوم فوق ذلك، وتلك المؤاخذة التي نلاحظها فتلك مقايسات بين العصمة والعصمة النبوية ونحن نقايس بين العصمة النبوية والمعاصي وهذا بعيد عن ذلك.

## الجانب العاشر: العصمة وتداخلات

### القوى الذاتية عند المعصوم:

الحديث عن العصمة في التطبيق عند الإشكال المعروف وهو مع

علم المعصومين مسبقا بالشيء فكيف تثبت والحال ذلك الفضيلة في المخاطرة بالنفس ؟، والجواب عن هذه التساؤلات هو ببركة احد القواعد التي مرت، مثلا علم علي بكذا فكيف تثبت له الشجاعة في صفين والنهروان والجمل والغزوات وتثبت له الشجاعة في المبيت في فراش النبي ﷺ، فالجواب عن هذا يتبين من أن علم رتبة العقل أو القلب بشيء يختلف عن امتحان النفس الجزئية والغرائز النازلة لان النفس الجزئية والغرائز النازلة لو أنبئت بألف نبا هي تتأثر وتنفعل عن الجانب الحسي ويمكن أن نعتبر هذه قاعدة ولو متفرعة عن أحكام الشؤون فنقول ليس البيان كالعيان، فان الله حينما اخبر موسى عن انحراف قومه لم يغضب ولكن لما رأى ذلك عيانا غضب لله ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ ولم يقل سكن وإنما قال سكت مقابل نطق بمعنى أن الغضب عند النبي ﷺ موسى ينطق ويسكت أما عند الباقين يتحرك ويسكن، وخطاب السجاد للعقيلة «أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمه غير مفهمة»[١].

ولم يقل اسكني، فالسكوت مقابل النطق، فسكت عن موسى الغضب هذا يعني حتى الأفعال البدنية للمعصومين هو بتوسط النور أي شفافة وليست أفعال حيوانية بهيمية غليظة كما في ممارسة الحيوانات كالفرق بين نكاح الإنسان والحيوان، وبعض الحيوانات نكاحها أو أكلها شفاف، أما بعض الحيوانات فلا نكاحها شفاف ولا أكلها شفاف بل حتى

---

(١) الاحتجاج ص٣٠٥.

نومها غليظ أيضا.

فهنا غضب ولكن غضب المعصوم ممزوج بتدبير العقل ولذا يقال ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ لا سكن، فالمقصود أن النبي موسى اخبره الله بانحراف قومه ولكن عندما عاين غضب غضبا عقليا لا بهيميا فليس البيان كالعيان، لان النفس الجزئية طبيعتها تتأثر بالحس وتنفعل به، وقيل اعتُبِر الغضبُ شيئاً منفصلاً عن كيان النبي موسى عليه السلام، فلما هجم عليه الغضب ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه.

يمثل الشيخ المظفر بمثال ان عقل الإنسان يعلم بأن الميت لا حول له ولا قوة ولكن إذا قلت لإنسان بت مع ميت في غرفة مظلمة فان وهمه لا يتركه والنفس الجزئية لا تطاوعه مع انك تعلم بان الميت لا حراك له وان الحي اخطر من الميت، ولكن مع ذلك الإنسان غير مستعد أن ينام مع ميت في غرفة مظلمة بل يفر منه لان الوهم لا يدعه.

الانفعال يطلق على معاني فمثلا عن حادثة زليخا مع يوسف أن نقول انه مال إليها فليس صحيح وأما معنى انه تذوق مرارة كبح النفس الغريزية فهو معقول ولم لا يكون كذلك، فهو تضور وتمرمر بكبح النفس فهذا كبح اختياري.

فإذا صارت إثارة جديدة للوهم والمخيلة يفزع وإذا تكرر يعتاد على ذلك ويصير ترويض للقوى النازلة، ولكن في الإثارة الجديدة تبقى إثارة وتحتاج إلى ترويض، ولذلك الامتحانات دائما فيها تجدد وتجديد ما لم يكن

يحسب، وعلى أي تقدير علم المعصومين بأمور بلحاظ قلوبهم أو عقولهم لا يعني ذلك أنهم بلحاظ نفوسهم الجزئية لا يثارون أو يتأثرون وهذا معنى الامتحان والتدبير فلا منافاة، أما هذا فهو نوع دمج والمزج بين أحكام القلب وأحكام النفس الجزئية وهو خطا وليس بصحيح.

ومر بنا أن العصمة في المعصومين أنهم لا يهتدون بهداية احد غيرهم وإنما أما من معصوم اكبر لمعصوم اخر أو من الله، إذا بالقاعدة هذه لم تختل العصمة.

**الجانب الحادي عشر: العصمة واستمرار تكامل المعصومين:**

وهناك قاعدة ولعلها قاعدة مناسبة وهي مرتبطة بالقاعدة الثانية والتي هي أن مراتب الإنسان عموما فضلا عن المعصوم بمختلف المراتب في الكمالات، فأحكام العقل والنور تختلف عن أحكام النفس الجزئية ومر بنا ذلك في القاعدة وهنا قاعدة أخرى وهي استمرار تكامل المعصوم .

فالصحيح أن المعصومين يتكاملون ومعنى أنهم يتكاملون ليس معناه ان احدهم انقص من غيره ثم يكتمل ، بل الثابت ان أول مجيئهم هم أكمل من غيرهم إلا انه بالقياس إلى كمالات الله هم يتكاملون أكثر فأكثر، لان الباري تعالى كمالاته لا محدودة ولعل هذا من نوع معنى تفسير لما اشرنا اليه للعصمة الإلهية والعصمة النبوية، فالعصمة الإلهية بالذات لا محدودة

أزلا وأبدا وأما العصمة النبوية فهي تكامل بالله، وهنا نكتة لطيفة بمقتضى القاعدة في الفرق بين العصمة الإلهية والعصمة النبوية والقاعدة الثانية أن مراتب الذات مختلفة وهنا نريد أن نركز أن التكامل هل هو لنور المعصوم أو لنفسه الجزئية أو لأبدانه أو لروحه الكلية أو لكل المراتب، ثم إذا كان التكامل لكل المراتب أو لبعض المراتب فنسق هذا التكامل كيف هو؟، ومثال على ذلك الآن احد النوابغ ابن سينا مثلا أو العلامة الحلي أو الشيخ الطوسي أو غيرهم فهذا النابغة في سماء العلم مقدر له مقام غير مقام والده الذي علمه طفيف.

وحقيقة التكامل في المعصومين هي قاعدة إذا لم يتقنها ويجيدها الباحث في المعارف ربما تخلق له إرباك وكثير من التساؤلات، وبعبارة أخرى تشابه الأحوال عند المعصومين علينا أن احد أسبابها هيه قضية التكامل، وكما مر أن كل رتبة من رتب المعصومين له جهة تكامل خاصة به ومناسبة إليه، مثلا تكامل النفس أو بدن المعصوم فمن الواضح أن بدن المعصوم يتكامل ويكون جنين ثم يكون رضيع ثم يشب بدنه وكذا ويختلف عن نمو بقية الابدأن إلى أن يكهل ويشيخ كما تحدثنا بذلك الروايات الكثيرة، فالبدن لدى المعصومين في حين لا نغفل عن قاعدة صفوة الخلق بدنا وروحا ولكن له مراحله الطبيعية من النمو بحسب طبيعة صفوة الشيء وسلالته.

اتفاقا في الروايات أن المعصوم أول ما يولد يكون له سهم من روح

القدس فكلما اشتد زاد في سهمه من روح القدس، وسببه أن هذا البدن كما قرر في الأبحاث الفلسفية بما يتعلق به من أرواح وقوى ليست بدنية وان كانت تسمى بدنية وإنما من النفوس والغرائز النازلة والأرواح النازلة متعلقة بالبدن هي بطبيعتها قابليتها ليست كقابلية المراتب العليا الصاعدة من المعصومين وان كانت هذه المراتب من بدن المعصوم وغرائزه وقواه تفوق بقية ابدأن البشر وهي صفوة ابدأن البشر وتفوق الجهات النفسانية في بقية البشر ولكن لا يعني ذلك أن قابليتها هي بحد المراتب العليا من نفس المعصوم، فتحمل هذه المراتب الدنيا النازلة من وجوده من بدنه وغرائزه ونفسه الجزئية فتحملها لفيوضات نفس مراتب الذات العليا منه ليس تحملها دفعي وسعي بوسع المراتب العليا وإنما بنحو تدريجي، ومن ثم تأخذ مسير التكامل، ومن الخطأ القياس بينه وبين غيره فنقع في خطا، أما المقايسة بين مراتب وجوده وذاته النازلة مع مراتبه الصاعدة لا مانع منه وفي محله فانه توجد مفارقة ومخالفة، وبالتالي هذه المراتب النازلة لابد أن تستوسع، لذلك هذه موجودة في أصول الكافي أو في كتب متعددة حديثيه وهو أن المعصوم أول ما يولد له سهم من روح القدس وكلما يشد ويشتد يزاد له في روح القدس، وهناك نص قراني متكرر في وصف النبي يوسف وموسى قال تعالى عن يوسف ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾[1] وقال جل في علاه عن موسى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٢.

ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

فهذا النعت ورد في النبيﷺ يوسف وموسى، فهنا بلغ أشده فاشتداد البدن والغرائز والقوى شرط في تحملها قابلية المراتب العليا، ومن باب المثال ربما الإنسان يقوم بعمل ورياضة روحية إذا كان هذا العمل الروحي أو الرياضة الروحية أو الفعل الروحي كالعلم فالإنسان إذا أثقل على نفسه في المباحث العلمية بشكل شديد وهو مشهود في التجارب فترى أن أعصابه قد يصيبها كلل أو شلل أو إعاقة أو اقل التقدير أن يصيبه وجع راس أو الأرجل أو قد يصيبه الآم في القلب، فالقضايا الروحية تأثيرها على البدن والأعصاب والغرائز والقوى النازلة ظاهرا مشهور، ولا قدر الله أن الإنسان ينبأ بخبر مفجع فيصيبه فجأة مرض السكر أو قرحة المعدة، ودلالة ذلك أن البدن لا يتحمل وحتى القوى بعض الأحيان ما فوق البدن لا يتحمل فيخلط ويهلوس بسبب الأعصاب وأحيانا فوق الأعصاب فتصيبه عقدة وانفصام في الشخصية وتصيبه فعل وقضايا أخرى فانه ليس كل روح لها قدرة تحمل واحدة سيما الإنسان إذا لم يروض نفسه على معارف وأفكار ورياضات فيفاجئ يصدم، والتعبير في القران في سورة المزمل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾[(٢)]

---

(١) سورة القصص: الآية ١٤.

(٢) سورة المزمل: الآية ١ ـ ٨.

بمعنى قيام الليل لأنه يوسع من قابلية الروح لان نفس تلقي القران وهذه العلوم ثقيلة على الروح، ونفس القران الكريم يقول للنبي صلى الله عليه واله تروض واستعد لما سيلقى عليك والترويض الروحي والبدني عن هذا الطريق، الآن بعض الأعمال في العبادات مثل ليلة عرفة ويومها وليلة القدر وليلة عيد الفطر أو الأضحى، فهناك مناسبات ومواسم في العبادات الروحية هناك أذكار أو ختمات أو أعمال أو صلوات ليس يستطيع الكل أن يأتي بها بل لا يستطيع الكل أن يتصورها فربما يتعقد من مجرد القراءة، والبعض الاخر يأتي بها كشربة ماء وان احد الآجلة ينقل عن عياله في شهر رمضان لا تأتي الساعة تسعة ونصف إلا وقد صلت مئة ركعة وهي كشربة ماء قد أتت بها إذا القابليات والغرائز تختلف والنفوس تختلف.

وان هذا الأمر مشهود فقد أتى آت لسيد الشهداء فقال اخبرني ببعض فضائلكم قال لا تتحمل فقال أريد أن ازداد حبا فقال لا تتحمل ولكن أقول لك كلمة واحد فهمس في أذنه همس ابيض راس ولحية السائل فالمقصود تحمل مثل هذه الأمور ليست بالأمر السهل، وفي رواية أخرى مر الإمام الصادق مع احد الرواة والراوي ليس بالهين في سفره من المدينة إلى الحج مر بعسفان وهناك جبل اسود اسمه الكمد فالراوي يقول للإمام أني اشعر بوحشة من هذا الجبل فقال بلى هذا الجبل يعذب فيه قتلة أهل البيت وهم فلان وفلان واني اسمعهم وهم الآن يستغيثون بي ويقولون كذا وان هاتف يهتف بي ويقول اذهب عنهم فلا رحمهم الله وهذا

الجبل منفتح على البرزخ والبرزخ على جهنم....الخ فوصف الإمام أهوال كل ذلك فقال أترى أنت كل ذلك ولا يصيبك شيء فقال الإمام أن قلوبنا غير قلوبكم، إذاً الأوعية تختلف فالمقصود حتى في حالات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة تختلف.

ونورد الرواية رغم طولها الا ان فيها معاني لطيفة للقارئ الكريم فعن عبدالله بن بُكَير الأرجاني:

«صَحبت أبا عبدالله عليه السلام في طريق مكّة من المدينة فنزلنا منزلاً يقال له: عُسْفان ثمّ مررنا بجبل أسود عن يسار الطّريق موحشٍ، فقلت له: يا ابن رَسول الله ما أوحش هذا الجبل! ما رأيت في الطّريق مثل هذا، فقال لي: يا ابن بُكَير أتدري أيّ جبل هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبل يقال له: «الكمد» وهو على وادٍ من أودية جهنّم، وفيه قَتَلَة أبي؛ الحسين عليه السلام، استودعهم، فيه تجري من تحتهم مياه جَهنّم من الغِسلين والصَّديد والحَميم وما يخرج من جبّ الجوّي وما يخرج من الفَلق من آثام وما يخرج من الخَبال وما يخرج من جَهنّم وما يخرج من لَظى ومن الحُطَمَة، وما يخرج من سَقَر وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السّعير، وما مَرَرت بهذا الجبل في سفري فوقفت به إلاّ رأيتهما يستغيثان إلي وإني لأنظر إلى قَتَلَة أبي، وأقول لهما: إنّما هؤلاء فعلوا ما أسّستما لم ترحمونا إذ ولّيتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على قتلنا واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رَحِمَ الله مَن يرحمكما، ذوقا وبال ما قدّمتما، وما الله بظلاّم للعبيد، وأشدّهما تضرُّعاً واستكانة الثّاني، فربّما وقفت عليهما ليتسلّى عنّي بعض ما في قلبي،

وربّما طويت الجبل الّذي هما فيه وهو جبل الكمد، قال: قلت له: جُعِلتُ فِداك فإذا طويت الجبل فما تسمع؟ قال: أسمع أصواتهما يناديان: عرّج علينا نكلّمك فإنّا نتوب، وأسمع من الجبل صارخاً يصرخ بي: أجبهما وقل لهما: اخسؤوا فيها ولا تكلّمون ! قال: قلت له: جُعِلتُ فِداك ومن معهم؟ قال: كلّ فرعون عَتا على الله وحكى الله عنه فِعاله، وكلُّ من علّم العباد الكفر، فقلت: مَن هُم ؟ قال: نحو «بولس» الّذي علّم اليهود أنَّ يد الله مغلولَة، ونحو «نسطور» الَّذي علّم النّصارى أنَّ عيسى المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الَّذي قال: أنا رَبُّكم الأعلى، ونحو نمرود الَّذي قال: قهرتُ أهل الأرض وقتلتُ مَن في السَّماء، وقاتل أمير المؤمنين، وقاتل فاطمة ومحسن، وقاتل الحسن والحسين، فأمّا معاوية وعَمرو فما يطمعان في الخلاص، ومعهم كلُّ من نصب لنا العّداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله، قلت له: جعلت فداك فأنت تسمع ذا كلّه لا تفزع ؟ قال: يا ابن بُكير إنَّ قلوبنا غير قلوب النّاس، إنّا مطيعون مصفّون مصطفون، نرى ما لا يرى النّاس، ونسمع ما لا يسمع النّاس، وأنّ الملائكة تنزل علينا في رِحالنا، وتتقلّب في فُرُشنا، وتشهد طعامنا، وتحضر موتانا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلّي معنا، وتدعو لنا وتلقى علينا أجنحتها، وتتقلّب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدَّوابَّ أن تصل إلينا، وتأتينا ممّا في الأرضين مِن كلِّ نباتٍ في زَمانه، وتسقينا مِن ماء كلِّ أرض نجد ذلك في آنيتِنا، وما مِن يوم ولا ساعةٍ ولا وقت صَلاةٍ إلاّ وهي تتهيّأ لها، وما مِن لَيلة تأتي علينا إلاّ وأخبار كلّ أرض عِندنا، وما يحدث فيها وأخبار الجنّ وأخبار أهل الهَوى من الملائكة، وما من ملك يموت في

الأرض ويقوم غيره إلاّ أتانا خبره، وكيف سيرته في الَّذين قبله، وما مِن أرضٍ مِن سِتَّة أرضين إلى السّابِعة إلاّ ونحن نؤتى بخبرهم، فقلت: جُعلتُ فداك فأين منتهى هذا الجبل؟ قال: إلى الأرض السّابعة، وفيها جهنّم على وادٍ من أوديته، عليه حفظة أكثر من نجوم السّماء وقطر المطر وعدد ما في البحار وعدد الثّرى، قد وُكِّل كل ملك منهم بشيء وهو مقيم عليه لا يفارقه، قلت: جُعِلْتُ فِداك إليكم جميعاً يلقون الأخبار؟ قال: لا إنّما يلقى ذلك إلى صاحب الأمر، إنّا لنحمل ما لا يقدر العباد على الحكومة فيه فنحكم فيه فمن لم يقبل حكومتنا جَبَرَتْه الملائكة على قولنا وأمرتِ الَّذين يحفظون ناحيته أن يَقْسِروه على قَولنا، وإن كان من الجنّ من أهل الخلاف والكفر أوثَقْتَه وعذّبته حتّى يصير إلى ما حكمنا به، قلت: جُعلتُ فِداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟ فقال: يا ابن بُكَير فكيف يكون حُجّة الله على ما بين قطريها وهو لا يَراهم ولا يحكم فيهم؟! وكيف يكون حجّةً على قوم غيّب لا يقدر عليهم ولا يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدّياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّةً عليهم وهو محجوب عنهم؟ وقد جعل بينهم وبينه أن يقوم بأمر رَبّه فيهم، والله يقول: «وَما أرْسَلْناكَ إلاّ كافَّةً لِلنّاسِ» يعني به مَن على الأرض والحجَّة مِن بعد النبيﷺ يقوم مقام النبيﷺ مِن بعده وهو الدَّليل على ما تشاجَرَتْ فيه الأُمّة، والأخذ بحقوق النّاس، والقيام بأمر الله، والمنصف لبعضهم مِن بعضٍ، فإذا لم يكن معهم مَن ينفذ قوله وهو يقول: «سَنُرِيهِمْ آياتِنَا في الآفاق وَفي أنْفُسِهِمْ »، فأيُّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق وقال: «ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إلاّ هي أكْبر مِنْ أُخْتِها »، فأيُّ آية أكبر منّا،

والله إنَّ بني هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله ولكنَّ الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، وإنّهم ليأتونا إذا اضطرّوا وخافوا على أنفسهم فيسألونا فنوضح لهم فيقولون: نشهد أنّكم أهل العلم، ثمَّ يخرجون فيقولون: ما رأينا أضلَّ ممَّنِ اتَّبع هؤلاء ويقبل مقالتهم ! قلت: جُعِلتُ فِداك أخبرني عن الحسينعليه السلام لونُبشَ كانوا يجدون في قبره شيئاً ؟ قال: يا ابن بكير ما أعظم مسائلك ! الحسينعليه السلام مع أبيه وأُمّه وأخيه الحسن في منزل رسول اللهصلى الله عليه وآله، يحبون كما يحبى، ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيّامه لَوُجِد ؛ وأمّا اليوم فهو حَيٌّ عند ربّه يرزق وينظر إلى مُعَسْكره وَينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله وأنّه لعلى يمين العرش متعلّق (كذا) يقول: يا رَبّ أنجزْ لي ما وَعدتَني، وإنّه لينظر إلى زُوَّاره وهو أعرف بهم وبأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رَحله وأنّه ليرى مَن يبكيه فيستغفر له رحمةً له، ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيّها الباكي ما أعدَّ لك لفرحتَ أكثر ممّا جزعتَ، فليستغفر له كلُّ مَن سمع بُكاءَه مِن الملائكة في السَّماء وفي الحائر، وينقلب وما عليه مِن ذنبٍ»[١].

وهناك رواية قد البعض لا يقبلها ولكن لا أرى فيها شيء وهو انه سئل أمير المؤمنين ما لهذه البطنة فقال ليست بطنة أكل وشرب وإنما هي للعلم الذي جاءني أو رزقته، وبعضهم ربط العلم بالبدن ؟، وله ربط كثير أما انه لا يريد أن يقبل هذه الرواية فهذا بحث آخر ولكن ليس فيها شيء غير معقول.

---

(١) الكامل في الزيارات ص ٣٤٠.

ومعنى بلغ اشده أما بلغ الأربعين أو بلغ اشتداد الغرائز والقوى لان الحكمة والعلم والايتاء أللدني يحتاج إلى قابلية وأرضية ويحتاج إلى مهبط ومحل صعود فهذا جانب لابد من الالتفات إليه. وإلا لماذا النبي ﷺ صلى الله عليه واله هو نبي والبعثة هي بعثة الرسالة في سن الأربعين أو الثمان والثلاثين كما ذكر ذلك الصدوق، فلماذا هذا السن ؟؟ لان بينهما ترابط، وما تحمله سيد الأنبياء لا يتحمله أولوا العزم، فهناك ترابط بين البدن والقوى النازلة وبين ما فوق، وما نجده من بعض المراحل الزمنية للمعصومين فهذا ليس بخلاف العصمة والاصطفاء وإنما هذا مقتضى البشرية فلابد أن يتكاملوا.

والتكامل أيضا للعقل والنور، فهناك نظريتان كلاميتان فلسفيتان عند المحدثين وعند عموم مدارس المعارف، فنظرية باللغة الفلسفية (التذكر) وقبلها باللغة القرآنية فكل ما عند الإنسان مخبو ومطوي في ذاته وإنما يتذكره الإنسان أو في الفطرة أو الميثاق الفطرة ويستشهد لذلك بروايات أو دلائل وهو أن الأنبياء إنما بعثوا ليثيروا دفائن العقول أو في تعبير ليستادوهم ميثاق فطرته، والوثاق مثل الحبل فالفطرة فيها وثائق ومستندات ومطويات يستادوهم أي يطلبوا منهم أن يؤدوها من كنز الفطرة، وهذا في نهج البلاغة ويعبر عنها مسامحة نظرية علمية أو حقيقة وقاعدة علمية هو أن الروح الإنسانية وليس النفس الجزئية والقوى والغرائز النازلة وإنما الكلام في العقل والنور والفطرة عند الإنسان فهي ليست وعاء خاوي، وإنما بإعطاء من الله فالله تعالى أعطى الطينة العقلية أو أعطى الفطرة أو أعطى العقل، وهذا الذي أعطى بعطية وهبة إلهية هذه

العطية ليست خاوية وإنما هي كنز وفيها قدرات، وهذه القدرات كامنة وترتق أي مكبوسة ومكدسة وتحتاج إلى فتق والى تفصيل في مقابل الإجمال، وهنا الإجمال ليس بمعنى الإبهام وإنما بمعنى التكديس والدمج والتخزين فتحتاج إلى تفصيل بمعنى النشر.

وهناك شرح لهذه النظرية وهو أن البديهيات التصورية أو البديهيات التصديقية هي راس مال الإنسان في الوصول إلى النظريات البعيدة الساحقة في البعد المتوغلة في البعد وفي كشف ستار إبهام وإجمال كل المجهولات وهذا عبر البديهيات، والبرهان على ذلك أنه دوما الإنسان في كل علم يستخرج المجهولات من إرجاع مراحل الاستدلال أو المراحل الرياضية أو الهندسية أو الفيزيائية يستخرجها من المعادلات المعلومة، فكأنما في هذا التصور الأولي البديهي مخزون فيه ومعبئ ومكدس فيه كل تصور العلم والمعلومات ولكن الرجل كل الرجل الذي يستخرج ذلك، والتصديق الأولي بديهي ويحمل في طياته كل التصديقات الأخرى ونظرية اليقين ذكرت شرحها في العقل العملي وذكرت نقد على نظرية المرحوم الشهيد الصدر الاول في الاستقراء المنطقي الذي ذكره أن هناك طفرة مصادرة خفية ضرورية لابد منها لحصول اليقين وجعل مصدر البديهيات واليقينيات والوصول إلى راس مال علمي تفك فيه كل المجهولات حسب مبناه العلمي وعمدة كتاب السيد الصدر الاول قائم على هذه النظرية، وسمعت أن كتابه يدرس في أميركا فاحد الإخوة الذي يدرس هناك في نفس الدرس البحوث الإنسانية وباسمه تدرس عندهم فهي ليست نظرية

سهلة بل عميقة ومهمة سيما أنهم ماديين وحسيين وهذه النظرية تفتح الباب لهم في بحث الإلهيات ولذلك هي جهد مهم مثمر.

وأقول رغم جدارة هذه النظرية وقوتها والجهد الذي بذله الصدر الاول فيها ولكن هناك شيء أكمل من هذه النظرية وهو موجود في النصوص الشرعية وهو أن مصدر الفطريات والبديهيات ومصدر راس معلومات الإنسان حسب الروايات ونظرية السيد هي احد أدوات الإنسان لا هي المبدأ الأصلي والنقد من هذه الجهة ولكن المبدأ الأول هو هذا وعليه بحث ونقد وهو كمبدأ أول في راس المال ويبدأ التصور الأول والبديهية الأولى والأوليات هي المصدر وترجع إلى العلم الحضوري.

أما أول التصديقات هو اجتماع النقيضين فليس كذلك بل أول التصديقات التصديق بوجوده تعالى فأول التصورات هو تعالى وأول التصديقات هو تعالى وهناك برهان عرفاني «بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم ادري ما أنت» لا بالاستقراء.

أن تكامل مراتب ذات المعصوم تختلف عن بعضها البعض من التكامل البدني والتكامل الروحي والتكامل النفساني والقلبي، بل في الروايات هناك تكامل قلبي وهو أن الإمام عندما يولد ويسجد لله تعالى ويتشهد بالحق يزاد له في روح القدس وكلما اشتد وترعرع ونمى يزاد له في روح القدس، ولدينا روايات أخرى أن الإمام إذا وصلت نوبة الإمامة الفعلية إليه ينتقل إليه روح القدس مع انه كان له ارتباط بالروح القدس ولكن كأنما بقضه وقضيضه ينتقل إليه روح القدس أو في بعض التعابير

يزداد خشوعا لله تعالى برهبة عظيمة لم يكن قد نالها من قبل حتى في الروايات أن هذا علامة لموت الإمام الذي قبله وزيادة الرهبة والخشوع لله يدل على ازدياد العلم بالله «أعلمكم بربكم أخشاكم منه».

روى هارون بن الفضل، قال:

«رأيت أبا الحسن عليّ بن محمّد في اليوم الذي توفّي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر عليه السلام. فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنّه تداخلني ذلّة لله لم أكن أعرفها»[1].

وفي قضية التكامل العقلية والعلمية كيف ؟، وقلنا فيه قولان أو أكثر الأولى نظرية التذكر أو القول بالتذكر، واللطيف أن القران الكريم يقول تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ فحقيقة القران دوما توصف أنها ذكر وتذكر، وهناك آيات وروايات عديدة دالة على خلقة الطينة مثلا المؤمنين خلقت أرواحهم من عليين وأبدانهم دون ذلك وأبدان الأئمة من أعلى عليين وأرواحهم من ما فوق ذلك، وأرواح الكفار أرواحهم خلقت من سجين وأبدانهم من ما دون ذلك، فتعابير متعددة موجودة ولذلك الحدة والغضب في الأصل طينة سجين إلا أن هذه الطينة خلطت بطينة العليين كي يكون هناك نوع العشرة بين أهل السجين وأهل العليين وإلا ما كانت هناك إمكان عشرة ومعاشرة بين الصنفين، ومفاد أخبار الطينة مع تفاصيلها كأنها يبين نفس نظرية التذكر

---

(١) أصول الكافي ١ / ٣٨١.

ونظرية التذكر هي بمثابة تفتق الرتق وتفصل الشيء المجمل والمندمج ويمكن تشبيهها بهذا التشبيه بالمعنى التصوري الأول ينشعب منه كل التصورات النظرية والمعنى ألتصديقي الأول ينشعب منه كل التصديقات النظرية اللاحقة، فهذا التصور الأول عبارة عن معنى مدمج يمكن أن يفتق ويفصل وتنتشر منه ما لا يتنهاه من الصور أو المعاني كما أن التصديق الأول مدمج يمكن أن تتفصل وتنتشر منه إلى ما لا نهاية من المعاني. إذاً رتق يفتق ودفائن تستثار ومواثيق تستئدى وتظهر، فإذا فسر التكامل كذلك سواء اختصر عليه أو لا.

الآن في العلم الحديث يقولون أن مخ الإنسان إنما يستخدمه الإنسان بمقدار ٣٪ والنوابغ ٧٪ يعني أن المخ له القابلية أن يكون اكثر من عشرة أضعاف على ما عليه النوابغ أما في غير النوابغ فعشرين أو ثلاثين ضعف، فبناء على نظرية التذكر يكون اصل أول ما خلق الله نور النبي صلى الله عليه وآله صلى الله عليه واله، وأول ما خلق الله الحقيقة المحمدية وأول ما خلق الله أنوار أهل البيت فهذا بلحاظ الطينة أو النور ولكن تفتق هذا النور يحتاج إلى التفتق بما فيه وإلا لو كان الإنسان لا يزداد تكاملا بالتفصل لما حصل حتى في الإنسان العادي وهذه النظرية عامة وليست مقصورة على أهل البيت فكل إنسان كان له في اصل خلقته موقعية فلم يفصل فواضح انه فيه تكامل إذا هذا نوع تكامل ولكن هذا التكامل لا يعني عدم الواجدية وفي حديث من أحاديث المعراج يقول الإمام الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله استطاع أن يعرج إلى ما لم يستطع جبرائيل العروج إليه وهي حجب النور التي لم يتقدم فيها جبرائيل قيد أنملة لان النبي صلى الله عليه وآله خلق من ها هناك فوصل إلى هناك.

قال الشيخ مكارم الشيرازي:

«صحيح أنّ جبرئيل ملك له مقام رفيع، إلاّ أنّه من المقطوع به أنّ مقام النبي ﷺ أعلى منه شأناً: كما ورد في قصّة المعراج أنّه كان يصعد ـ في المعراج ـ مع النبي ﷺ فوصلا إلى نقطة فتوقّف جبرئيل عن الصعود وقال للنبي: «لو دنوت قيد أنملة لاحترقت» إلاّ أنّ النبي ﷺ واصل سيره وصعوده!»[1].

فالمقصود أن هذا التعبير موجود لان النبي ﷺ من ها هناك فوصل إلى ها هناك حينئذ هذا التكامل في المعصوم في جانب الفتق والتفصيل والتفصل والصعود لا يعني انه ليس من ها هناك كلا هو من ها هناك لكن التكامل في أن يصل، هذا بيان لطيف ويعني انه ليس متوفر على حظوة ذلك المقام العالي ولكن يفصل لديه فلو لم تكن له تلك القابلية والقدرة لما فصل إليه فقابليته تختلف عن البقية رفعة وعلوا وكمالا ومن ثم تكامله يختلف عن الآخرين، ففي حين هو تكامل لكن هذا لا يفقده الامتياز والاصطفاء وبلوغ أعلى علو وذو ميزة وخيرة وذو قدرة، غاية الأمر هو بلحاظ نفسه في حالة تصاعد وتكامل وهذا الذي يتكامل منه يفيض الله عليه من نافذة ذاته، بمعنى الباري تعالى يجعل نافذته نافذة وواسطة فيض له بلحاظ التكامل وما هو في مكامن ذاته أعظم مما لكل من دونه في الدفائن ومثال التعبير لم يكلم رسول الله احد بكنه عقله قط بمعنى دفائن العقل التي لديه ومواثيق الفطرة التي لديه فهي ليست في البقية فهو في حالة

---

(١) تفسير الأمثل ج: ١٧ ص: ٢١٥.

تكامل ولكن لا ينفي انه يزداد وما يقال انه كيف ذلك وان أول ما خلق الله هو نوره وهو أكمل من البقية ؟، فمع انه يتكامل لا منافاة تلك بلحاظ مرحلة الرتق والإجمال أو قل القابلية والقدرة والدفائن أو مواثيق الفطرة وهذا بلحاظ التفاصيل والتفصل، وهذا الذي أول ما خلقه الله الآن فيترعرع وينمو ولا منافاة في ذلك لان في مكامن فطرته ومواثيق ذاته وكنوز العقول فيها هذه الأمور وباستطاعته أن يتفتق فمثلا ما يلحظ من ظاهر علي انه يتعلم من النبي ﷺ وهو حقيقة ذلك، ومن تعلم الصديقة من النبي ﷺ أو من تعلم سيد الأنبياء من جبرائيل أو الوحي التدريجي ومن تعلم الحسنين من أبيهما ومن جدهما والأئمة منهما، فكيف يلتئم مع أنهم أول الأنوار وأنهم علموا الناس فلا منافاة بين الأمرين.

ووجه اخر للفهم هو أن يقال أن ذات المعصوم إذا لوحظ بلحاظ ما فوقها وهو الباري تعالى فهي محدودة ومحاطة وأين المخلوق من رب الخلائق فهو أمر غير قابل للقياس ولازم ذلك أن فيض الله دائم مستمر، فحتى تلك الذات أو المراتب الأولى هي على سطح ودرجة من العلم الفعلي ولكن بلحاظ على ما يزاد على المراتب الفعلية.

وتكامل المراحل العليا يشهد له جملة من النصوص والبيانات العقلية أيضا باعتبار أن كل مخلوق بالنسبة إلى الخالق محدود واهم معاني المحدودية بمعنى الفقر والتقدم وفي هذا ينطوي جملة من المعاني.

المقصود أن القول بالتذكر ليس عدم كسب، والكثير للأسف ربما في جانب السير والسلوك ويتركون الدراسات والأبحاث، فكما أن العكوف

على الجد والبحث هذا ليس كل شيء فلابد معه أيضا من دعاء ومن مدد ومن صلاة وعبادة وتوسل وطهارة ونظافة روحية لكي يكون الوعاء قابل فكليهما (التزكية والبحث) يحتاجهما الانسان للتكامل معاً، إذاً نظرية التذكر ليس فيها نفي للكسب.

وهناك نظرية ثالثة ربما تكون تأليف بين النظريتين وهي أن تقول استزادة موجودة وما موجود في الطينة معِد ومهيأ لما يزاد حقيقة ولكن هذا الذي يزاد له دخل إعدادي داخلي لما هو موجود في الطينة، وربما يكون هذا تفسير للفتق والرتق بان الرتق زيادة ولكن النسبة بين الشيء الرتقي مع الشيء التفصيلي زيادة ونقيصة ولكن هذه الزيادة والنقيصة لها نسبة إعداد ونسبة تناسب.

وهناك بحث عند الملا صدرا أن العلم الإجمالي في عينه هو التفصيلي وهذه ألفاظ تقال أما تفسيره فكيف؟، وهذا بحث آخر، ولعل المرحوم الأصفهاني قال لو اعلم أن هناك شخص في أقاصي الديار لحججت إليه. فهذه يمكن تفسيرها وانه يوجد نوع استزادة.

والخلاصة أن الاستزادة حقيقة موجود وهذه الاستزادة الحقيقية الموجودة لها ارتباط وثيق بمكنون الطينة والفطرة من مواثيق، ولكن هذا التفصيل هو استزادة والارتباط بينه وبين مكنون الفطرة هناك ارتباط نسبي وإعداد وقابلية.

وهناك احتمالات مفتوحة فلابد أن نأخذ بكل الوجوه في قوله ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ

هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فهذه مأخوذة في الحسبان وآية أخرى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ فمجموع منظومة العلم بحث ملحمي في التفسير، ثم كيف الجمع بين تلقي الكلمات وبين ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ وان كان في الروايات أن هذا التلقي ليس خلاف التعلم ففي الروايات إنما استثمره عند التوبة، وفي الرواية انه دعا بحق بالنبي ﷺ واله فجاءه الخطاب من اين علمت أن هؤلاء شفعائك «وهو موجود في الحاكم للنيسابوري ) قال يا ربي لما نظرت على العرش رأيت اسمه مقرون باسمك فعلمت انه اشرف الخلق وأحباهم فتشفعت به إليك وإذا نفس التعلم ذاك استثمره هنا أو فعله فعبر عنه الباري بتلقي»[(١)].

«عمر ابن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: لما أقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي إدعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»[(٢)].

«عن رسول الله ﷺ قال: «يا عباد الله إن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعاً من صلبه، إذ كان الله تعالى نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور

---

(١) مستدرك الحاكم رقم الحديث: ٤٢٢٨.

(٢) أخرجه القندوزي الحنفي في الينابيع.

ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع العرش إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدمعليه السلام: يا ربّ لو بيّنتها لي.

فقال الله عزّ وجلّ: انظر يا آدم إلى ذروة العرش.

فنظر آدمعليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدمعليه السلام إلى ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الانسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا.

فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟

قال الله تعالى: يا آدم هذه الأشباح أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمّد وأنا المحمود في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا علي وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل القضاء، وفاطم أوليائي مما يبيرهم ويشينهم، شققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل ومنّي الاحسان، شققت اسميهما من اسمي.

وهؤلاء خيار خلقي وكرائم بريّتي، بهم آخذ وبهم أعطي، وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسل بهم إليّ يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعائك فإني آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أُخيّب لهم آملاً ولا أردّ لهم سائلاً»[1].

والمهم ان النظرية الثالثة معنى التكامل بهذا المعنى، وتحصل لدينا في

---

(١) ينابيع المودّة لذوي القربى / القندوزي الحنفي: ج١ ص٢٨٩.

القاعدة أن تكامل المعصوم بلحاظ مراتب ذاته كل مرتبة تختلف عن الأخرى فيجب أن لا توحد او تدمج شؤون مرتبة لمرتبة أخرى ، وجانب ثاني من الثمار التي نستفيدها من هذا البحث ما ورد من روايات وآيات أنهم نور في عالم الأنوار ومحيطين فكيف يكون هنا سعي ومكابدة وترعرع ونمو وتكامل ؟، فلا تنافي بين الجنبتين كما لا تنافي بين الجنبة البشرية والجنبة الوحيانية، وانتم تقولون أن نوره أول الخلائق وبنوره كذا وكذا، وكان نبيا بين الماء والطين ثم يأتي ذلك السائل الغافل ويقول كيف يقول ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ فان لهذه معنى كما في تفسير الإمام الرضاعليه السلام وجدك ضالا عند قومك فهداهم إليك ورد:

عن الرضاعليه السلام «يتيماً فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى النّاس اليك وضالاً في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم اليك وعائلاً تعول اقواماً بالعلم فأغناهم الله بك»[١].

أو قوله ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ فهذا أين من قوله أن أول ما خلق الله نور النبيصلى الله عليه وآله، فكيف الجمع بين الجنبتين ؟، لا تنافي بين الجنبتين لان هذا بناءه موحد ذا طبقة واحدة والحال انه ذات جنبتين، ثم أن التكامل له شؤون وشجون، فذلك الذي في الطبقة الأولى من دونه قائم به لا غيره.

**الجانب الثاني عشر:** «إنما يريد الله ليذهب عنكم. الرجس أهل البيت» وتنوع العصمة في النصوص:

لم يقل لأذهبكم عن الرجس والفرق أن يذهب الرجس عنكم يدل

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني.

أنهم ليسوا ذاتا مقبلين على الرجس، واتفاقا أن العصمة بنود فالعصمة التي هي صفاء وطهارة ذواتهم فهي ذاتية وهي ليست ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ وفي قراءة ابن عباس وال محمد وهو لا يعني تغير لفظي بل انما هو التفسير الاصوب، أما هنا الإرادة تعلقت بإبعاد الرجس عنهم لا بإبعادهم عن الرجس، فعلاوة على الطهارة الذاتية هناك طهارة بيئية يريدها الله تعالى وهذا من الأعراض المفارقة فان الابتلاء بالبيئة له طبيعته والتأثر بالبيئة طبيعتة وهذه تتعلق بها الإرادة الإلهية أي تلك التي متعلقة بالبيئة، وهذه الآية تدل على مفروغية العصمة للذات وإنما هنا يؤمّن العصمة البيئية «لم تنجسك الجاهلية بانجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها...» فالبحث عارض وهذا غير اصل محوطية الذات، وهنا أية التطهير دالة على ان المفروغ منه كونهم الصفوة ولذلك فرق بين لسان «أن الله اصطفى...» وبين «إنما يريد الله...»، فالبنود في العصمة كثيرة ولم تنقح ولم تفصل ولم تفكك ولم تبوب ولم تمنهج، وبحسب روايات أهل البيت هناك مفاصل عديدة ومتنوعة ترتبط مع بعضها بنتائج كبيرة، فلاحظ دعاء الندبة يشرح ست أو سبع بنود للعصمة وليس بند واحد فيقول «وشرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها وشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء فقربتهم وقدمتهم...» فهناك عدة بنود وبنود سابقة وأخرى لاحقة، فهنا العصمة في الآية بلحاظ البيئة التي يعيش فيها سواء كانت وراثية أو تربوية وغيرها تلك التي تحيط به فهذه لا توجب تلبس بالمدلهمات أو الارجاس فارغا عن الصفوة وغير مقبل بنفسه فهم الصفوة والبيئة لها عامل آخر وهذا لا ينفي انه لابد من

وجود حصانات مقابل هجوم البيئة، «كذلك لنصرف عنه السوء» أي نصرف نفس وجود السوء وليس يصرفه هو وإنما هو في نفسه منصرف ولكن البيئة لا تنصرف عنه بإرادته بل تحتاج ارادة اخرى ولذلك يقول «ليصرف عنه السوء» فهذه المقامات يجب التفكيك فيما بينها.

انظر إلى القران ينوه الى وراثة علم الكتاب وهذا نوع عصمة أخرى وبنود العصمة في القران والروايات متعددة ودمجها ومزجها هو خطا فان لها مقامات متعددة وهناك قاعدة يبينها الإمام لا كما يبينها العرفاء والمتكلمين والفلاسفة بل هو يخطئهم ويقول أن الإرادة لها متعلق وقاعدة معينة فالمشيئة لها متعلق وقاعدة معينة والعلم له متعلق وقاعدة معينة والتقدير له متعلق وقاعدة معينة، وقد خلطوا بين هذه الأمور والحال انه ما تتعلق به المشيئة لا يمكن تعلق الإرادة به وما يتعلق به التقدير هو غير وكلا حسب المراتب المرتبه له.

إذاً العصمة المذكورة في الآيات والروايات ليست على فصل واحد وبند واحد وقسم واحد بل على فصول وبحوث ةحيثيات متعددة.

### الجانب الثالث عشر: تلخيص لما تم تحقيقه مسبقا:

وخلاصة القواعد أن تسلط ومواجهة الشيطان أو الجن وإبليس غير ممكن في المعصوم لانه معصوم في قلبه وروحه لا يتسلط عليه اولئك ولا يواجه قلب المعصوم شيء من ذلك بتاتا، أما نفسه الجزئية وقوة الخيال والتصرف والبدن نعم فهنا المعصوم يكابد ويواجه الشيطان لا أن الشيطان

يتغلب عليها فكما أن بدنه الشريف قد يجرح أو يؤلم نظير بدن النبي ﷺ أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أو قضية موسى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦)﴾ وهو انفعال تكويني لا بمعنى سيطرة مطلقة وإغواء وإنما بمعنى البدن ينفعل من جرح الضاربين، وقد التفتنا إلى ذلك وانه إذا كان أولوا العزم يكابدون في الخيال فكيف بغير المعصوم يمكنه السيطرة على خياله والخيال محل صراع مع الشيطان ثم إذا كان يواجه غير المعصوم فكيف يسدد ومن أين يستعصم نفسه وهو على ذلك الحال .

وقلنا أن من شؤون المعصوم انه ذو طبقات فنور المعصوم والروح الكلية والعقل الكلي ثم الروح الجزئية والنفسية الجزئية والغرائز والبدن فهذه طبقات لها شؤون مختلفة وأحكام تكوينية مختلفة فلا تحمل طبقة على الطبقة الأخرى، وقاعدة أن ابدأنهم ونفوسهم الشريفة وأرواحهم هي صفوة الأبدان والأرواح والأنفس، وقاعدة أن أفعالهم التي يمارسونها سواء الأفعال البدنية أو الغرائزية فضلاً عن أفعال الخيال أو أفعال التعقل فهذه أفعال شفافة لطيفة وليست غليظة بهيمية مثل غيرهم كما مر بنا التمثيل بمثال أن الحيوان يأكل بطق معينه والإنسان إذا يرى أكل بعض الحيوان يتنفر لان أكل الإنسان لطيف بأدب إنساني بينما الحيوان يأكل بغلظة أو نكاح الإنسان هو نكاح بدني لطيف وشفاف بحيث لو شاهد الإنسان نكاح بعض الحيوانات لتقيأ لان نكاحها غليظ ومقزز بينما المعصوم يفعل الأفعال كالنور وبالنور وكل آدابه نورية وليست فقط آداب

إنسانية ولذلك فيها تلطف.

وقلنا في العصمة الإلهية والعصمة النبوية أو الولاية ففرق بين العصمة الإلهية هي عصمة الله بالذات وهي لا محدودة، والعصمة بالله التي هي العصمة النبوية والتي تعني انه يتكامل بالله غاية الأمر الفرق بين العصمة الإلهية والنبوية وعصمة الاصطفاء والمصطفين عصمتهم عن الحاجة لغير الله فغير المعصوم لابد أن يهدى من المعصوم أما المعصوم لا يهدى إلا من قبل روحه ومن قبل الله فيفاض عليه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ أو ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ فالاهتداء من الله، فالمعصومين هدايتهم لدنية الهيه أو معصوم يهدي معصوم آخر أعلى منه ولا ينافي العصمة والتزم الميرزا النائيني بذلك أي معصوم يكمل معصوم آخر لان تكامل المعصوم ليس بغير المعصوم أما تكامل المعصوم بالمعصوم ليس فيه مانع لان السلسلة تنتهي إلى الله وهو لا متناهي، أما أن يفضل غير معصوم على معصوم فهذا غير ممكن ويصح أن يفضل معصوم على معصوم آخر ولذلك ما يشاهد من حالات المعصومين أن معصوم أعلى واكبر في العصمة والكمال يهدي معصوم آخر لان هداية المعصوم إلى معصوم آخر هداية لدنية من الله، وهو شبيه لبيانات جبرائيل إلى رسول الله ﷺ.

### الجانب الرابع عشر: فعل المعصوم مرتبط به وبأمته:

هذه نكتة مهمة في بحث تفكيك العصمة ونستطيع أن نسجلها قاعدة اخرى، وهي أن فعل المعصوم تارة بما يرتبط به وفعل المعصوم بما

يرتبط برعيته وأمته ففعل النبيﷺ بما يرتبط بأمته كالمحاسبة فيه ليست دخيلة في عصمته وتعبير القران ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[1] وقوله تعالى: «انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» فأمنية النبيﷺ شيء يتجسد في الخارج وهو هداية الأمة لا أن أمنيته بما في صدره فأمنيته المصير المشترك بين فعله وفعل أمته فان كان في هذا الفعل والمصير المشترك فيخاطب به النبيﷺ لا من حيثية فعله وإنما من حيثية فعل الأمة ولكنه هو مرهون ومرتبط بها والتعبير في الروايات «لا تؤذوا النبي بالمعاصي» فهي معاصي أنفسكم ولكن تؤذون النبيﷺ لان لها صلة به باعتبار نحن رعيته وأمته وكلما شاهد من حسنات من امته سيفرح كما في الأسرة كلما تشاهد تفوق للأبناء والأولاد تزداد بشاشة وسرورا ولا قدر الله إذا رأيت في الأسرة انتكاسة احد افرادها فتغتم وتحزن وقد قال تعالى ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾.

مثلا حق الله تعالى أن يوحد وان لا يشرك به فمن هو أول من سيسائل في النصارى الذين فرطوا في ذلك الحق ؟، أول من يسائل هو النبي عيسى والواجب على النبي عيسى مع انه لم يقصر أن يقوم بواجب رد هذه الحقوق لله عز وجل، لذلك قال «سبحانك ما كان لي أن أقول...» فأداء لحقوق الألوهية لله عز وجل فهو راعي هذه الأمة ويجب أداء حقوق الكبير العظيم، ونعلم أن الزهراء شريكة علي في الوصية وان كان الإمام هو

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

علي بن أبي طالب وأفضل وأعظم درجة ولكن ليس الفاصل بين الزهراء وعلي كالفاصل بينهم وبين الحسنين أو كالفاصل بين علي وبقية الأئمة أو بقية المصطفين فهناك مشاركة في جهة ما وورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لو لم يُخْلَقُ علي ما كان لفاطمة كفؤ»[١].

ولعل الذي يستثنى من هذا العموم فقط سيد الأنبياء باعتبار سؤدد الأنبياء الا انه ابوها صلى الله عليه وآله فلا كفو يناسب الاقتران بها الا علي عليه السلام.

**الجانب الخامس عشر: اشكال وجوابه:**

هناك إشكال قديم واصله مستوحى من النصارى في تبيان العصمة أن الالتزام بالعصمة في الأنبياء أو الأصفياء والحجج يرجع إلى دعوى الألوهية، لان العصمة صفة إلهية فكيف العصمة التي هي صفة إلهية تثبتونها في الأنبياء والمرسلين والأوصياء والعصمة المطلقة صفة إلهية وإذا أثبتموها في غير الباري تعالى فقد ألّهتم البشر ؟؟

هذا الإشكال قديم، وهذا الإشكال يبين بأشكال مختلفة مثلا العصمة تعني انها ألوهية فإذا التزمتم بوجود العصمة في الأنبياء فقد بنيتم على النظرية الحلولية أو وجود اللاهوت في الناسوت لان العصمة إنما هي في اللاهوت لا في الناسوت وهذه اصطلاحات مختلفة تعبر عن معنى واحد ولذلك في الإنجيل والتوراة عندهم أن الأنبياء كذبوا على الله وتمردوا في الجملة على أوامر الله فرأى اللاهوت أن هؤلاء البشر لا يوفون

---

(١) الكافي للكليني ج١ ص٤٦١.

بالعهد فقال أتي للميدان إنا بنفسي وهذه هي فلسفتهم فصار الثالوث أو الأقاليم الثلاثة، وهؤلاء الحشوية والسلفية القدامى من حنابلة وغيرهم عندهم ان الالتزام بالعصمة يمثل فكرة نصرانية لان العصمة لاهوت أي صفة إلهية وإذا التزمت بها فقد ألّهت الأنبياء.

وجوابه بسيط يظهر من خلال امور منها:

أولاً: ان اثبات العصمة لا يلازم الالوهية على اعتبار ان الله تعالى منزه عن النقص مطلقا ومن كل الجهات او قل هو معصوم عن النقص من كل الجهات.

اما الانبياء والاوصياء فانهم وان كانوا معصومين من الذنب لكن هذا لا يستدعي الكمال المطلق والتنزه عن النقص من كل الجهات فمثلا الموت نقص بلحاظ عدم التصرف بالبدن لان الحياة كمال والمعصومين كلهم يموتون.

ثانياً: ان الله تعالى لا يقال انه معصوما عن الذنب لأنه تعالى ليس موضوعا لذلك من اساس ومن باب التقريب وليس للتشبيه لا يمكن ان نقول ان هذا الجدار معصوما عن ذنوب البشر باعتبار انه لا يقترفها لسبب بسيط ان ممارستها ليس من شانه والجدار ليس موضوعا لها البته والباري تعالى لا يقال انه معصوم من الذنب لأنه ليس من شانه اساسا.

ثالثاً: ان عصمة المعصومين انما لارتفاعهم بسلم العبودية وليس لانهم الهه والفرق بينهما واضح بين وعميق بأدنى تأمل !!

### الجانب السابع عشر: حقائق علمية في الروايات وقاعدة حول قدرات اجسام المعصومين:

ذكرنا قاعدة أن ابدأنهم فضلا عن أرواحهم من صفوة الوجود والبشر، واحد الاشتباهات إذا كان بدن المعصوم في حين بشريته وبنيته الجسمانية الموجودة إلا أن الأبدان درجات والأجسام درجات ومن باب المثال الأشعة الموجية أجسام بحسب البيان الفلسفي لكنها غير مرئية. نعم في الاصطلاح الفيزيائي قد لا يسمى أجسام وتسمى مثلا طاقة وأمواج، لان المادة المتكثفة تسمى أجسام أما غير المتكثفة لا تسمى أجسام وإنما تسمى طاقات ولكن بالاصطلاح الفلسفي تسمى أجسام وقد حصل خلط عند بعض كبار الفلاسفة بين الاصطلاح الفيزيائي والفلسفي وهذا من البحوث الصعبة وهو أن الإنسان لا يميز بين اصطلاحات العلوم فالمقصود إذا كانت الأجسام بالاصطلاح الفلسفي والمادة مختلفة الآثار فإذا قلت له جسم يخترق الجدار فيقول هذا خرافه وسفسطة لأنه حمل أحكام نمط من الجسم على كل الأجسام فيقع في الخطأ والآن الموجات التي في اقل من ثانية تذهب إلى أقصى الأرض أو إلى القمر أو إلى المريخ وهي جسم من الأجسام ولكن عنده طي كلمح البصر ويقول هذه خرافة لان بنائه أن الجسم يساوي الكثيف والغليظ والبطيء، فأي جسم فهذا الجسم يمسى لباس وهناك جسم آخر عند الإنسان دنيوي والقدماء يسمونه ومن عدنهم المكاشفات يسمى الجسم البخاري والآن اكتشفوه في الأجهزة. الآن اكتشفوا الاكوانتم اصغر من الملي متر مئة مرة والنانو اصغر إلف مرة، والآن اكتشفوا في الفيزياء الجديدة أن هذه أجسام وليست طاقة بلا جسم

بل هي أجسام وتستطيع أن تصنع منها أمور عجيبة وإلان بدأت تظهر ثورة علمية كبيرة في علم النانو أو الاكوانتم والآن اكتشفوها وغيرها من الأمور ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ والغريب عند البعض ممن يدعي الحداثة ان الشيء الذي لم يكتشفه العلم الحديث يسارع إلى تكذيبه كما في التعبير الروائي «وأكثر العلم في الذي تكذبوه أو تنكروه»، مثلا بعض الكتاب يقولون أن بعض الروايات انما هي خرافات كالتي تعبر ان الأرض في جبل والحال العلم اكتشف ليس هناك جبال ولكن الآن اكتشفوا أن توجد جبال مغناطيسية ولها شكل خاص وهناك روايات كانت عندما تطرح في السبعينات كثير من الكتاب المثقفين يقولون عنها هذه خرافات وإسرائيليات وغير هذا الكلام، والآن في التسعينات وما بعدها العلوم طفرت طفرات عجيبة واكتشفت صحة تلك النصوص وهذه أزمة واقعا وفعلا عجيبة القاعدة الواردة «واعلموا أن أكثر العلم في الذي تنكروه أو تجحدوه»، فليس تجحدوه لان عندكم برهان بل لأنكم لا تحيطون به علما واتفاقا الآن الذي اكتشفوه فيزيائيا المجال المغناطيسي الذي يحمي الأرض من نيازك وشهب...الخ شكله قاف، فإذا يتكثف هذا المجال المغناطيسي يصير بشكل قاف وإذا كان هناك أشعة تبين حدوده فان شكله قاف أو أن الأرض على قرن من ثور أي شكله شكل قرن وهذا له تأويل والآن اتفاقا وجود طاقات تمثل حلقات واصلة بين المجرات والمنظومات لها إشكال عجيبة غريبة أما مخروطي أو غيره.

فأقول هذه الروايات وما كان يستبعده ويتنفر منه بعض المثقفين مثل

الدكتور إقبال ودكتور شريعتي وغيرهم وكتاباتهم موجودة وحتى الطبري في بعض كتاباته، والآن العلم اكتشف قضايا كثيرة وحتى التي سموها روايات إسرائيلية هي بعينها نفس الشكل تنسجم مع العلوم ولا نقول حتما لان الحتمية بحث آخر ولكنها ليست ممتنعة وكل شيء له عدة تأويلات ومعاني، كما ورد في الحروف المقطعة حسب ما جمعناه من الروايات في معانيها وبقية المفسرين سرقوا هذه المعاني من الروايات ولم ينسبوها إلى الروايات تقريبا عشر معاني وهي ليست عشر معاني بل عشر مناهج في عبارة أخرى.

فالمقصود إذا كان ابدان المعصومين صفوة الأبدان فضلاً عن أرواحهم صفوة الأرواح بل كما في بعض الروايات أن طينة أبدانهم صفيت من طينة أعلى وكما اثبت العلم الحديث أن جسم الأرض الدنيوي له عدة أجسام وليس جسم واحد فجسم طاقي كالبخار يكتشف بالأشعة الخاصة ويسمى الاكتوبلازم، وهذا هو الذي يدبر الجسم الغليظ وبذلك الجسم يتلاحم الإنسان مع جسم الجن فالجن جسمه كهرومغناطيسي أثيري يمكن أن يتلاحم معه بذلك الجسم والأجسام الآن نلاحظها في عالم المادة وفي عالم الدنيا إلى ما شاء الله تأثيراتها بغض النظر عن كلام الفلاسفة وفي زمن الملا صدرا هذه البحوث لم تكتشف ونفس الفلاسفة يعترفون أن بحوث الطبيعيات من الفيزياء والكيمياء والإحياء له دخالة كثيرة حتى في معرفة الحكمة الإلهية وحتى في البحوث التجريدية العقلية كما يعبر من فقد حسا فقد عقلا أو علما، فإذا كان كثير من المحسوسات غير مكتشفة والآن اكتشفت فهناك علوم كثيرة خافية علينا.

لذلك هذه القاعدة أساسية وأكدوا هم عليها أن ابدأنهم عين الصفوة وهم صفوة الخلق وسلالة النبيين فلمَ التأكيد على هذا المقام المعرفي؟، لكي يبين لك أن الأحكام المادية حتى البشرية تختلف فلا تحكم على تشابه أبداننا مع ابدأنهم مع أنها بشرية وكما ذكرنا الجسم الطاقي غير الجسم الغليظ والآن تبين لديهم أن أدمية الإنسان لا بهذا الجسم الغليظ وإنما بالجسم الاكتوبلازم، والآن اكتشف أن هذا البدن الدنيوي طبقات فالبدن الأصلي في الإنسان هو الاكتوبلازم وقد اكتشف في علم الإحياء أن هذا البدن يتبدل كل سبع سنوات بل الآن اكتشفوا انه يتبدل اقل من سبع سنوات فالتبدل دائم فهل هذا التبدل مثله أو هو عينه؟.

إذا عينة الإنسان وهويته وتشخصه هو ببدن آخر موجود وهو الاكتوبلازم بل في البدن الاكتوبلازم تجدد طاقة يحفظ بشيء آخر، فالمقصود أن الأجسام المادية الأرضية هي ذات أحكام بين بعضها البعض بون وسيع بحيث مع انه ارضي وفيزيائي ومادي يعتبر كالروح لبدن آخر.

إذا ليس البدن الآدمي هو الغليظ ولاحظ الآن حتى بين بدن الإنسان والحيوان هناك فرق والآن علم الإحياء اثبت أن هذا البدن الكثيف كالنهر الجاري بمعنى التغير فيه المستمر وبمعنى هناك قالب حاكم وثابت يأخذ هذه المواد ثم يضخها مرة أخرى والآن هم إذا أرادوا اكتشاف هذا المطلب فما هي القوة الحاكمة على البدن الغليظ الذي من خلال سبع سنوات أو اقل تأخذ مواد جديدة وتستبدل بهذه المواد والآن الفم مجرى المواد الجديدة ومجرة الغائط هي مصدر تنفيس لهذا الرافد، والإنسان حتى

بشمه قضايا كثيرة و اكتشفوا أن الإنسان يستفيد من طاقات من موارد عديدة فهناك حواضن وجواذب ومضخات كثيرة فلو استطاع الإنسان أن يقوم بهذا العمل خلال ثواني فذلك البدن ينتقل مثل الموج في ثانية إلى أقصى الأرض فإذا استطاع ذلك البدن الحافظ لهذا البدن أن يترك هذه المواد هنا ويأخذ مواد أخرى يبددها في ثانية كما تتبدد منا ويد يأخذ مواد من ذلك الموضع وينشئ ذلك البدن، واحد تفاسير طي الأرض أو السماء بهذه الطرقة فما المانع والعلم الآن يحكم على هذا البدن انه نهر جاري و اتفاقا أبحاث علمية عجيبة في هذا المجرى الذي ذكرته فهم يريدون طي الأرض والسماء بمعادلات فيزيائية لان روح ذلك البدن لها قدرة على الطي بشكل سريع وهو الذي يشكل ويحفظ المواد الأخرى.

ان البروفسور يوخن روبكا وهو الذي اشار الى عقيدة الإمام المهدي يقول توجد أسرار علمية ضخمة في بدن هذا الشخص ولكن يقول الإسرار التي في روحه أعظم من الإسرار الموجودة في بدنه، الآن هو بدن وغليظ ولكن بالاكتشاف مع علاقته مع الأبدان الأخرى وقوتها وجبروت طاقتها فيأخذ هذا البدن أحكام غير أحكامنا فينتقل بطي الأرض في الثانية ولتقريب الصورة فيزيائيا وهي تقرب قضايا مهمة ممتنعة التصور أن عندهم مواد تستطيع أن تقلب الطفل إلى شيخ كبير في ثواني وعندهم مواد على العكس تقلب الشيخ الكبير إلى شاب أو صبي واكتشفوا فيها قضايا سرية إذا اصل التحكم في البدن فيه أسرار.

نفس المعصوم له قدرة على التكثف والتشفف والآن هم في صدد اكتشاف ما هي المعادلات التي تشفف هذا البدن وتحوله إلى بخار وبقدرة

ذلك البدن الاكتوبلازمي يستطيع أن يكثف نفس تلك الطاقات يأخذها معه مشففة ومن ثم يكثفها وكما ذكرت هناك بديهية وهو أن بدن الإنسان رافد فعين هذا البدن واللحم وعظم...الخ فهذا نفسه يشففه بقدرة الطاقة ومن ثم يكثفه.

ونفس البحوث الفيزيائية بعضها عادت بحوث سرية تتسابق فيها الدول فهم نفس المادة يغيروها والآن إذا أخذت شيء من حيوان لا يستطيع الآخرين أن يحسوا بك فرادارات لا تستطيع أن تكشفك لأنه ذو طاقة حاجبة فالمقصود هناك مجالات وطاقات متفجرة إلى ما شاء الله، ولذلك أقول من الخطأ كل الخطأ أن نبني المعرفة العقلية الفلسفية على فيزياء زمن ملا صدرا.

والآن هم في صدد بحث انه كما تنتقل الصورة التي نضن أنها صورة عرضية ولكنها جسم صغير كالجسم المرسوم على الجدار ونظن انه عرض ولكن بالدقة الفلسفية فالمقصود أن المشكلة الشاكلة أن المخلوق دائما يقيس الأمور على حدود وجوده وهذه داء دهياء، فإذا استطاع الإنسان أن يتحرر ويقول أن ليس كل شيء هو على مقياسي فالأمر أعظم من هذا.

وإنا في صدد بيان عبرة علينا وعليهم وهو إننا لا نستطيع أن نرد ظاهر الروايات التي لا تنطبق مع الفيزياء الموجودة ونقول لعله تخاطب تاريخاني، ولكن قل معلومات الفيزياء تاريخانية لا أن النص تاريخاني فتأويل ورفض السابقين لظاهرها بدعوى الامتناع الفيزيائي هذا المقدار خطا أفهذا المقدار صحيح أم الجزم أن هذا هو المراد الفيزيائي فخطا، بل

الظهور له موازين والمعنى له قوالب وأسس فالذي سبقنا قام أما برفض الرواية أو بتأويلها بسبب معلومات مسلمة فيزيائية أو إحيائية أو كيميائية معينة وهذه المسلمة العلمية أبثت أنها خاطئة فاعتماده عليه في اللاشعور خطا وهذا المدار يمكن أن نسجله عليه حينئذ نقول في كثير من التطبيقات انها جدا محتمله، وبعبارة أخرى الظهور ينطبق عليها احتمالا بحيث لا نستطيع أن نرفض الظهور أما أن نقول هو هذا ولا غير فهذا هو الخطأ.

أما الرواية التي تقول الأرض على جبل أي شكله كالجبل فليس المراد بالجبل هو الصخور الثخينة وهذا بحث في النظرية التفسيرية للألفاظ وهذه الألفاظ كما ذكر علماء الأدب فهل الألفاظ موضوعة للغايات أو المبادئ وكما قالوا خذ الغايات واترك المبادئ أو تعبير الملا صدرا الألفاظ موضوعة لروح المعاني، فترى شكله جبل وكما في الرؤيا فهي ليست كفلم وإنما حقائق أجسام تراها ولكن طبيعة مادتها اشفف من هذه المواد لا أن تلك ليست مواد، بل هي مواد وأجسام ولها طول وعرض وإشكال وألوان وخواص وتأثيرات وطاقة ولكن اشفف من هذه المادة إذا فلماذا لا نسميها جبل فغاية الأمر طبيعتها شفافة وطاقاتها تختلف متفجرة عملاقة عجيبة لا أنها ليست كذلك.

إذا هذه الأمور مهمة جدا فمن الخطأ أن يقيس الإنسان الأحكام الموجودة على ابدأن المعصومين ولذلك يؤكدون انه موجود في خصائص بدن وروح النبي ﷺ انه كان ينظر من خلفه أو ليس له ظل .

أن أي أفعال من أكل وشرب ونكاح ونوم فهو ينام ولكن تنام عينه

ولا ينام قلبه، فالعين تتعب وتنام أو بقية الجوارح تتعب وتنام وشبيه الإنسان الذي قبل أن ينام فانه يسمع ولكن عينه معطلة وشمه معطل وإحساسه معطل وربما سمع ضعيف موجود والقلب موجود وهذا لا يبطل الوضوء كما قالوا مع أن النوم حقيقي للعين ونوم حقيقي للحس والشم والذائقة مع أدنى مراتب السمع وان كان مشوش.

إذا نفس النوم فيه أفعال ودرجات والأكل فيه درجات والشرب فيه درجات والفروسية لها درجات والبطولة لها درجات والسير له درجات وطي الأرض لها درجات فهي أفعال لكنها مختلفة، وفي تعبير يسأل الإمام الصادق كيف أنت تشهد كل هذا ولا تتأثر فقال أن قلوبنا غير قلوبكم وكذلك أرواحهم غير الارواح وأبدانهم غير الأبدان وفي التعبير القراني ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ يقول العلامة المجلسي أي وللبسنا عليه كاللبس وإلا جوهره وقدراته غير ولذلك فصلنا ناطق أو عاقل أما فصل النبي صلى الله عليه وآله يوحى إليه وكما أن الإنسان في فصله الأخير ليس واحد فواحد ملك وآخر شيطان وآخر بهيمي والملائكة طبقات، فالتكامل يختلف فإذا كانت ابدأنهم بمنزلة أرواحنا فكيف نقايس أبداننا مع أحكام ابدأنهم وكيف نقايس ابدانهم مع أرواح حتى الكفار أو أعدائهم بل أن ابدأن المؤمنين لا تقايس مع أرواح الكفار وهذه ترتبط بعلوم فيزيائية إلى الآن لم يكتشفوها وهذا موجود في الروايات وهي تثبته وتقول ابدان المؤمنين لا قياس في قدراتها مع أرواح الكفار فأرواح الكفار خلقت من سجين وأبدانهم خلقت من اسجن

سجين ومعنى ذلك هناك اختلاف حتى في الأبدان مع أنهم كلهم بشر.

الآن هناك أبحاث وهو أن المؤمن اختلاف صحته عن الذي لا يؤمن، والآن اكتشفوا أن الطاقة التي تنبعث من العصاة خبيثة ومشوشة ومبعثرة أما المؤمنين على خلاف ذلك وهذه احد أشعة ما يذكر من جهة الاختلاف فالفيزياء هي اكبر من ذلك، مثلا في نجاسة الكافر يثبت ابن سينا ان ذلك فلسفيا قابل للتصوير و كيف روح الكفر تنجس البدن وقد بحثها عقليا تجريديا وما اكتشفه البروفيسور الياباني أن أفعال المعاصي تلوث البيئة من الماء والأكل وحتى المكان وتكدر البيئة والأفعال السيئة أفعال فطرية تدركها شريعة فطرة كل البشر التي أودعها الله فيهم والكلام السيئ يلوث الطعام فإذا كانت أفعال فتكيف بالعقائد والصفات وهي حقائق الى الآن لم يكتشفها البشر ولذلك المعصية قد تمنع قطر السماء أربعين يوما فهذه الأمور لحد الان ما اكتشفناها ولكن لابد أن نعتقد بها لأنه أكد عليها في نصوص المعارف.

ونكتة نذكرها ان أحوال المعصومين فيها أوراق مشتبكة كثيرة من الصعوبة أن الإنسان يفكك الأوراق فلابد ان يكون الامر شيء فشيء إلى أن يصل إلى حقيقة الحال وكثير من الاعتراضات في عصمة المعصومين هي للتشابه أو الاشتباك يسبب تشابه الأحوال عندهم فينظر الرائي بسطحية أو بسرعة ويحكم بحكم خاطئ على تلك الأحوال بينما هي يراد لها تفكيك وأكثر الموارد التي رصدوها على الأنبياء أو سيد الرسل في القران وإنها لا تثبت عدم العصمة التي تدعوها أن سببا اشتباك الأوراق واشتباك الملابسات وإذا فككت خطوة وعينة عينة يتضح وضوح

المنظومة وهذه نكتة منهجية مهمة ويمكن أن نسميها قاعدة اخرى في بيان أحوال عصمة المعصومين وهي اشتباك الأحوال أو ملابسات الأحداث والأوراق أو الحيثيات، وهذا التشابك والتشابه هو الذي يستعصي إبصاره على الناظرين والباحثين أما إذا اتأدوا في تفكيكه يسهل عليهم البحث، وهذا المنهج شيده الإمام الرضا في دفاعه عن عصمة الأنبياء في المحاجات التي حصلت بينه وبين علماء النصارى واليهود الجاثليق والصابئة والمذاهب الإسلامية الأخرى وهو اشتباك واشتباه الملابسات متداخلة ومترابطة بعضها بالبعض ولا يستطيعون أن يفككوها أو لا يبسطوا طياتها فتشتبه عليهم الأحوال.

# ملحق حول آثار قوم عاد

وقد نشر موقع (جامعة الإيمان ـ في اليمن) على الانترنت بحثاً مفصلاً إعداد الباحث عادل الصعدي ننقل منه:

(في سنة ١٩٨٤ م زود أحد مكوكات الفضاء بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار يعرف باسم جهاز رادار اختراق سطح الأرض Ground Penetrating Radar Or GPR.

فكشف عن العديد من المجاري المائية الجافة مدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً. وبمجرد نشر نتائج تحليل الصور المأخوذة بواسطة هذا الجهاز تقدم أحد هواة دراسة الآثار الأمريكان واسمه نيكولاس كلاب إلى مؤسسة بحوث الفضاء الأمريكية المعروفة باسم ناسا (NASA) بطلب للصور التي أخذت بتلك الواسطة لجنوب الجزيرة العربية (٢٤)، ونيكولاس كلاب هو الذي اكتشف مدينة إرم، وهو عالم آثار مغرم بكل ما هو عربي مع كونه منتجاً للأفلام الوثائقية الساحرة، وتبدأ قصته عندما عثر على كتاب مثير جداً بينما هو يبحث حول التاريخ العربي، وعنوان ذلك الكتاب «أرابيا فيليكس» لمؤلفه «بير ترام توماس» الباحث الإنجليزي الذي ألفه عام ١٩٣٢، و «أرابيا فيليكس» هو الاسم الروماني للجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية والتي تضم اليمن والجزء الأكبر من

عمان.

أطلق اليونان على تلك المنطقة اسم «العرب السعيد»، وأطلق عليها علماء العرب في العصور الوسطى اسم «اليمن السعيدة»، وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة كانوا أكثر من في عصرهم حظاً، والسبب في ذلك يرجع إلى موقعهم الاستراتيجي من ناحية؛ حيث أنهم اعتُبروا وسطاء في تجارة التوابل بين بلاد الهند وبلاد شمال شبه الجزيرة العربية، ومن ناحية أخرى فإن سكان تلك المنطقة اشتهروا بإنتاج «اللبان» وهو مادة صمغية عطرية تُستخرَج من نوع نادر من الأشجار. وكان ذلك النبات لا يقل قيمة عن الذهب حيث كانت المجتمعات القديمة تُقبل عليه كثيراً.

وأسهب الباحث الإنجليزي «توماس» في وصف تلك القبائل «السعيدة الحظ»، ورغم أنه اكتشف آثاراً لمدينة قديمة أسستها واحدة من تلك القبائل، وفي إحدى رحلاته إلى تلك المنطقة، أراه سكان المنطقة من البدو آثاراً شديدة القدم، ولكن «توماس» الذي أبدى اهتماماً شديداً بالموضوع، توُفي قبل أن يتمكن من إكمال بحثه. وبعد أن راجع «كلاب» ما كتبه الباحث الإنجليزي، اقتنع بوجود تلك المدينة المفقودة التي وصفها الكتاب ودون أن يضيع المزيد من الوقت بدأ بحثه.

استخدم «كلاب» طريقتين لإثبات وجود مدينة «إرم»:

أولاً: أنه عندما وجد أن الآثار التي ذكرها البدو موجودة بالفعل، قدم طلباً للالتحاق بوكالة ناسا الفضائية ليتمكن من الحصول على صور لتلك المنطقة بالقمر الصناعي، وبعد عناء طويل، نجح في إقناع السلطات بأن يلتقط صوراً للمنطقة.

ثانياً: قام «كلاب» بدراسة المخطوطات والخرائط القديمة بمكتبة

«هانتينجتون» بولاية كاليفورنيا بهدف الحصول على خريطة للمنطقة. وبعد فترة قصيرة من البحث وجد واحدة، وكانت خريطة رسمها «بطلمي» عام ٢٠٠ ميلادية، وهو عالم جغرافي يوناني مصري، وتوضح الخريطة مكان مدينة قديمة اكتُشفت بالمنطقة والطرق التي تؤدى إلى تلك المدينة. وفي الوقت نفسه، تلقى أخباراً بالتقاط وكالة ناسا الفضائية للصور التي جعلت بعض آثار القوافل مرئية بعد أن كان من الصعب تمييزها بالعين المجردة وإنما فقط رؤيتها ككل من السماء.

وبمقارنة تلك الصور بالخريطة القديمة التي حصل عليها، توصل «كلاب» أخيراً إلى النتيجة التي كان يبحث عنها؛ ألا وهي أن الآثار الموجودة في الخريطة القديمة تتطابق مع تلك الموجودة في الصور التي التقطها القمر الصناعي، وبدراسة تلك الصور اتضح وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي، وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلو مترات، وقد احتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار، فلجأوا إلى عدد من المتخصصين في تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم وفي مقدمتهم الأمريكي جوريس زارينز، والبريطاني رانولف فينيس، وبعد دراسة مستفيضة أجمعوا على أنها هي آثار عاصمة مملكة عاد التي ذكر القرآن الكريم أن اسمها (إرم) كما جاء في سورة الفجر، والتي قدر عمرها بالفترة من ٣٠٠٠ ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية، وعلى الفور قام معمل الدفع النفاث بكاليفورنيا (معهد كاليفورنيا للتقنية) بإعداد تقرير مطول يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التي تملأ فراغاً في تاريخ البشرية، وكان

عنوان التقرير هو: البعثة عبر الجزيرة The Trans-Arabia Expedition، وتحت العنوان مباشرة جاءت الآيتان الكريمتان رقما ٨،٧ من سورة الفجر، وقد أرسل التقرير إلى الدكتور زغلول النجار لدراسته، وقد قام بذلك وقدم رأيه فيه كتابة إلى المسئولين بالمملكة العربية السعودية.

وقد ذكر التقرير أن اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهما زيارة مملكة عاد في أواخر حكمها، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة زاهرة، والأنهار فيها متدفقة بالماء، والبحيرات زاخرة بالحياة، والأرض مكسوة بالخضرة، وقوم عاد مستكبرين في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة فيها، وذلك قبل أن يهلكهم الله تعالى، وكان أحد هؤلاء هو (بليني الكبير) من علماء الحضارة الرومانية، والآخر كان هو الفلكي والجغرافي (بطليموس الإسكندري) الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية، وقام برسم خريطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة، وطرقاتها المتشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سماها باسم (سوق عمان)، ووصف بليني الكبير حضارة عاد الأولى بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها، حيث كانت على مفترق طرق التجارة بين كل من الصين والهند من جهة وبلاد الشام وأوروبا من جهة أخرى، والتي كانت تصدر إليها البخور والعطور والأخشاب، والفواكه المجففة، والذهب، والحرير وغيرها.

وقد علق كثير من المتأخرين على كتابات كل من بليني الكبير وبطليموس الإسكندري بأنها ضرب من الخرافات والأساطير، كما يتشكك فيها بعض مدعي العلم في زماننا ممن لم يستطيعوا تصور الربع الخالي - وهو من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافاً اليوم- مليئاً في يوم من الأيام بالأنهار والبحيرات والعمران، ولكن صور المكوك الفضائي جاءت مطابقة لخريطة بطليموس

الإسكندري، ومؤكدة لما قد كتبه من قبل كل منه ومن بليني الكبير كما جاء في تقرير معهد الدفع النفاث.

وفي يناير سنة ١٩٩١م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية واسمها الحالي (الشيصار)، واستمرت إلى مطلع سنة ١٩٩٨م، وأعلن خلال ذلك عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سميكة الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار وقطرها إلى ٣ أمتار.

وفي ١٧/ ٢/ ١٩٩٢م نشر في مجلة تايم (Time) الأمريكية مقال ذكر فيه الكشف عن إرم.

وبتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٩٢م كتب الدكتور زغلول النجار مقالاً بعنوان: «اكتشاف مدينة إرم ذات العماد» ونشر بجريدة الأهرام القاهرية، وقد لخَّص فيه ما وصل إليه من أخبار ذلك الكشف حتى تاريخه. وفي سنة ١٩٩٣م نشر بيل هاريس كتابه المعنون بـ: (Bill Harris: Lost Civilizations).

وبتاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٩٨م نشر (Nicholas Clapp) كتابه المعنون: The Road to Ubar وبتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٩٩م نشر بيكول إير (Picolyer) كتابه المعنون: ( Falling off The Map: Some Lonely Places in The World) وتوالت الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدولية منذ ذلك التاريخ، ولكن تكتم القائمون على الكشف نشر مزيد من أخباره حتى يتمكنوا من تزييفه وإلحاقه بأساطير اليهود كما فعلوا من قبل في لفائف البحر الميت وآثار (إبلا) وغيرها من المواقع، ولكن كل ما نشر ـ على قلته ـ يؤكد صدق ما جاء به القرآن الكريم عن قوم عاد بأنهم:

١- كانوا في نعمة من الله عظيمة، ولكنهم بطروها ولم يشكروها، ووصف بليني الكبير لتلك الحضارة بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى كأنه ترجمة لمنطوق الآية الكريمة ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

٢- أن هذه الحضارة قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية، وهو ما سبق القرآن الكريم بالإشارة إليه.

٣- أن هناك محاولات مستميتة من اليهود لتزييف تاريخ تلك المنطقة ونسبة كل حضارة تكتشف فيها إلى تاريخهم المزيف، ولذلك كان هذا التكتم الشديد على نتائج الكشف حتى يفاجئوا العالم بما قد زيفوه، ومن ذلك محاولة تغيير اسم (إرم) إلى اسم عبري هو أوبار (٢٨)(Ubar).

وجه الإعجاز:

إننا نلاحظ من العرض السابق لما جاء في كتاب الله تعالى ولما وصل إليه علماء الآثار أن هناك تطابقاً واضحاً بين ما جاء في كتاب الله تعالى وبين مكتشفات العلم الحديث وذلك من عدة وجوه، ويمكن أن نلخص هذه الوجوه في هذه النقاط الآتية:

١. أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف، والأحقاف جمع حقف، وهو ما استطال من الرمل ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وقد أكدت الاكتشافات أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد ينطبق عليها هذا الوصف.

٢. أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد كانت منطقة زراعية، تنتشر بها البساتين، ويوجد بها الأنهار والعيون، وكأنها واحة غناء في وسط الصحراء، ولذلك امتن الله عليهم بهذه النعمة. وقد جاء ذلك مطابقاً للصور التي التقطتها الأقمار الصناعية للمنطقة التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام ١٩٩٠م عن

نظام واسع من القنوات والسدود القديمة التي استعملت في الرَيِّ في منطقة قوم عاد والتي يقدر أنها كانت قادرة على توفير المياه إلى ٢٠٠.٠٠٠ شخص، كما تم تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عاد، أحد الباحثين الذي أجرى أبحاثه في تلك المنطقة قال: «لقد كانت المناطق التي حول مدنية مأرب خصبة جداً ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة».

وأكبر دليل على ذلك هو انتشار المزارع حول هذه المنطقة في الوقت الحالي، وكذلك وفرة المياه الجوفية في هذه المنطقة.

٣. ذكرت الآيات الكريمة أن قوم عاد كانوا يبنون القصور الشاهقة والحصون العالية، وكذلك كانوا يهتمون ببناء الأحواض التي يخزن بها الماء. وقد أكدت الاكتشافات الحديثة هذه المسألة.

٤. جاء في الآيات السابقة أن قوم عاد كانت لهم مدينة تسمى (إرم)، ووصفها القرآن بأنها ذات أعمدة، وقد جاءت الكشوف الحديثة لمساكن قوم عاد لتؤكد هذه الحقيقة، فقد اكتشفوا قلعة ثمانية الأضلاع سميكة الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار وقطرها إلى ٣ أمتار، وقال د. زارينز- وهو أحد أعضاء فريق البحث وقائد عملية الحفر-: إنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعد من العلامات المميزة للمدينة المكتشفة، وحيث أن مدينة «إرَم» وُصفت في القرآن بأنها (ذات العماد) أي الأعمدة الضخمة، فإن ذلك يعد خير دليل على أن المدينة التي اكتُشفت هي مدينة «إرَم» التي ذكرت في القرآن الكريم، والمدينة الأسطورية والتي ذكرت في القرآن باسم إرم Iram والتي أنشأت لِكي تَكُونَ فريدةَ جداً حيث تبدو مستديرة ويمر بها رواق معمّد دائري، بينما كُلّ المواقع الأخرى في اليمن التي اكتشفت حتى الآن

كانت أبنيتها ذات أعمدة مربعة، يُقال بأن سكان مدينة أرم بَنوا العديد مِن الأعمدة التي غطيت بالذهب أَو صنعت من الفضة وكانت هذه الأعمدة رائعة المنظر. وهذا تطابق واضح وجلي مع ما ذكرته الآيات الكريمة.

٥. أن قوم عاد لما كذبوا نبي الله هوداً أرسل الله تعالى عليهم ريحاً شديدة محملة بالأتربة قضت عليهم وغمرت دولتهم بالرمال، ومما أكدته الاكتشافات الحديثة لمساكن قوم عاد أن نهاية قوم عاد كانت بسبب عاصفة رملية هوجاء طمرت مساكنهم تحت تلك الرمال.

وبهذا يكون القرآن الكريم قد أعطى صورة واضحة جلية عن قوم عاد ومساكنهم، وما كانوا فيه من نعمة، وأنهم كذبوا رسول الله هوداً عليه السلام، فأنزل الله بهم أشد العذاب، فأهلكهم وطمر بلدتهم تحت الرمال، وهذا كله صورة من صور الإعجاز التاريخي في كتاب الله تشهد له بأنه كلام البارئ سبحانه وتعالى، وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على الرسول الخاتم الذي تلقاه وجاهد في سبيله حتى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين».

اعداد عادل الصعدي

انتهى....

وبغض النظر عن اتفاقنا معه في تفاصيل الدراسة الا انها بالإجمال نافعه.

□

## فهرس الموضوعات